مذكرات
أحمد محمد نعمان

[سيرة حياته الثقافية والسياسية]

مراجعة وتحرير
الدكتور على محمد زيد

تقديم

فرانسوا بورغا
مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية
(CEFAS)

نادية ماريا الشيخ
مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية
(CAMES)

مكتبة مدبولي
٢٠٠٤

مذكرات

أحمد محمد نعمان

سيرة حياته الثقافية والسياسية

مذكرات
أحمد محمد نعمان
[سيرة حياته الثقافية والسياسية]

مراجعة وتحرير

الدكتور على محمد زيد

تقـديم

فرانسـوا بورغـا
مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية
(CEFAS)

نادية ماريا الشيخ
مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية
(CAMES)

مكتبـة مـدبولى

الكتاب : مذكرات أحمد محمد نعمان
سيرة حياته الثقافية والسياسية
مراجعة وتحرير : د. على محمد زيد
تقديم : فرانسوا بورغا - مدير المركز الفرنسى للآثار والعلوم الاجتماعية (CEFAS)
نادية ماريا الشيخ - مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية (CAMES)
الطبعة : الأولى عام ٢٠٠٣
الناشر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
القاهرة - تليفون : ٧٨٦٣١٩٩
رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٧٣٠٨
الترقيم الدولى : ISBN - 977-208-426-0
ملحوظة : الجمع التصويرى والمراجعة بمعرفة المركز

تقـــديم

فرانسوا بورغا
مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية (CEFAS)
نادية ماريا الشيخ
مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية (CAMES)

لا يشــكل اليمن اســتثناءً على القاعدة التي تفيد بأن معــرفة نظام ســياسي مـــا لا يمكــن أن تــتم خارج إطار الخلفيات التاريخية . فالتحالفات والانشقاقات ، والـــتقارب والتـــباعد، والشد والجذب ، التي بدأت منذ العام ١٩٦٢ ، وإلى ما بعد الوحـــدة فـــي ١٩٩٠ والحرب الأهلية في ١٩٩٤، كلها تلقي الضوء على الثوابت المؤسِّســـة للـــنظام ، وهي، إلى ذلك، تندرج جميعها في تاريخ القرن العشرين. إن القـــاعدة الاجتماعية للنظام ، ونقاط القوة والضعف فيه ، ومتطلبات تحوله وبقائه ، لا يمكـــن فهمهـــا إلا بتقصي السيرة الثقافية والسياسية للشخصيات الفذة التي تمثل الـــيوم القـــوام البشـــري لذلـــك الـــنظام . . أحمد نعمان هو أحد النشطاء المثقفين والسياسيين، وقد لعب دوراً أساسياً في تاريخ اليمن الحديث. كان أول عمل سياسي قام به من اختار له التاريخ صـــفة "أستاذ" هو إنشاء مدرسة ، كأسلوب للتأكيد على أهمـــية التعلـــيم في العملية الثورية وفي التنمية. إن الجهد التحديثي الذي ساهم في ولادة النظام الجمهوري في عام ١٩٦٢م مدين له بالكثير. غير أن نعمـــان سرعان مـــا وجد نفسه في خلاف مع ثوار ٢٦ سبتمبر، فما كان منه إلا أن اختار المنفى. ولمـــا كان صديقه و موضع ثقته محمود الزبيري قد لقي حتفه مبكراً أثناء الحرب الأهلـــية، فـــإن هاتين الشخصيتين لم تجدا حتى اليوم الموقع الذي يليق بهما ضمن مؤسسي اليمن الحديث.

فـــي إطـــار برنامج مخصص لـــ "الأسس التاريخية للانتماءات السياسية في اليمـــن المعاصـــر" أراد العهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية أن تلعب شهادةٌ أساســية لأحد مناضلي التحديث في اليمن دورها في النقاش الدائر، سواءً كان ذلك على مستوى اليمن والعالم والعربي أو على المستوى العالمي. فقط هذا النقاش هو الـــذي سيســمح بكـــتابة تاريخ هذه المنطقة من العالم، علاوة على تاريخ العلاقات الدولية خلال الفترة المفصلية لنهاية عصر الاستعمار .

فـــي عـــام ١٩٦٩م قدم نعمان رواية مطولة عن أهم منعطفات حياته الثقافية والسياســية، إضافة إلى ذخيرة مهمة من الوثائق الشخصية. وقد جاء ذلك في إطار مشـــروع لتســجيل الـــتاريخ الشفهي اضطلع به مركز الدراسات العربية والشرق أوســطية التابع للجامعة الأمريكية في بيروت خلال سنوات الستينات و السبعينات. وهنا، نود أن نتوجه بأجزل الشكر للسيد على زيد، ذلك المؤرخ اليمني اليقظ، الذي تفضـــل بمـــراجعة و تحريـــر النص المدون، والذي نأمل أن يكون صدوره فاتحة لسلسلة من الإصدارات عن الوثائق الثمينة بمكتبة Jafet– A.U.B

من نافلة القول أن نؤكد بأن العهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ومركز الدراســـات العربية والشرق أوسطية التابع للجامعة الأمريكية ببيروت – الذي عُهِد إليه بهذه الشهادة – لا يقدمان أية ضمانات علمية، ناهيك عن ضمانات سياسية، فيما يتعلق بالشهادات الواردة في هذا الكتاب. كما أنهما غير معنيين بالخوض في النقاش الـــذي يسهمان، لا محالة، في إزكائه. ويتشرفان، وإن كان بصورة متواضعة ، في إثرائه.

مقـــــدمة

مضـــى ما يقرب من سبعين سنة منذ أن بدأ أحمد محمد نعمان سيره الحثيث الاســتثنائي نحــو التمرد على بيئته التقليدية الموروثة، للبحث عن مداخل للتغيير والتحديــث، دون أن يطّلـــع المؤرخـــون والمهتمون على حقائق تلك السيرة غير العاديــة، بحيــث لا تكاد الأجيال الجديدة تعرف عنه شيئا، أو لا تعرف عنه وعن العصر الذي عاش فيه سوى القليل. وأقول "العصر الذي عاش فيه" لأنه بدأ كفاحه فــي عصـــر مختلف تماما عن يمن الحاضر على الرغم مما يعيشه يمن اليوم من تخلف ومن صعوبات. ولقد تكلم كثيرون ممن جاءوا بعد نعمان (أو "الأستاذ" نعمان كمـــا سمّاه الإمام أحمد حميد الدين وكما أصبح يعرف فيما بعد، حسب قول نعمان نفســه) فأصـــابوا أو أخطأوا، وقيل الكثير عن المرحلة التي مارس خلالها العمل الــتربوي والنشاط السياسي، لكن المؤرخين والمهتمين ظلوا ينتظرون شهادته من مصدرها الأصلي، أي منه شخصيا، وليس من خلال ما ينقل الآخرون عنه، أو ما يعــتقدون أنه فعل. ذلك لأن أية شهادة أخرى لا تسد الفراغ التاريخي الذي يتركه صــمته الطويــل. لأن شهادته لا تسرد حوادث تاريخ تلك الفترة فحسب، بل ترسم الخطــوات الأولى الحائرة، والمفعمة بالطموح النبيل، في سيرة أولئك الرواد الذين فــتحوا أعيــنهم علـــى عصور الظلام فوجدوا القبول بها مهانة وذل، واستمرارها طــريق انقــراض وفــناء. ولم يكونوا حين بدأت الأسئلة القلقة تعتمل في خيالهم يمتلكون منهجا متاحا أو حتى محتملا للرفض والمقاومة والتغيير، ولا يتوجهون إلى جمهــور قـــابل للاستجابة لدعوتهم، يؤيدهم ويحيطهم بدفء مشاعره، بل غامروا وحـــاولوا، وطرقوا أكثر من باب، وتخبطوا وتمردوا، وتشردوا وسجنوا، وأخطأوا وأصـــابوا، حـــتى نجحـــوا بمرور الأيام القاسية المعذبة في اختراق ركام الظلام المخـــيف، وامتلاك جرأة تحدي حصار الاستبداد والعزلة، وبذر بذور التغيير بقدر ما استطاعوا وبقدر ما أتاحت لهم الأوضاع الصعبة التي عملوا فيها.

والحــق أن الأســتاذ نعمان يعد أنموذجا لعدد قليل من الطلائع الأفذاذ الذين يمــثلون جسرا بين القديم ومحاولات التمرد عليه للانتقال إلى العصر الحديث. فقد بدأ تكوينه الفكري في العقد الثالث من القرن العشرين بالدراسة الدينية التقليدية في زبيد كما تواصلت منذ ما يزيد على ألف سنة دون أن يطرأ عليها سوى القليل من التغيير، ليبدأ فيما بعد أولى محاولات التجديد بالتمرد على زبيد نفسها. ثم شرع في منتصف الثلاثينات بنسج صلته ومن ثمّ صلة اليمن بالعالم الحديث، عن طريق نهل المعــرفة الجديــدة من القادمين من عدن ومما يتسرب عبر هذه المدينة الرائدة من مطــبوعات جديدة صدرت في الحواضر العربية التي سبقت اليمن في التفتح على العالم الحديث، مثل القاهرة وبيروت. وحين اضطره الاستبداد للخروج إلى القاهرة التقى هناك بمثقفين يمثلون الأمل العربي في نيل الحرية، من أمثال الفلسطيني محمد علــي الطاهــر، صاحب جريدة الشورى، وشكيب أرسلان، "أمير البيان" والمثقف العربــي الداعي لتحرر العرب والمسلمين من السيطرة الاستعمارية، وغيرهما من الداعيــن لنهضــة حضارية عربية ربما لم تتحقق بعد. وهكذا تعمقت صلته بدعوة التحديث والتنوير. ولعل هذا القدر الأصيل من تأثير حركة التنوير العربية ما ابتعد بــه عــن تأثير القوى التقليدية على الرغم من محاولات الإخوان المسلمين التأثير علــيه، ومــا نقلــه إلى مواقع الاستنارة التي لن يتخلى عنها قط في جميع مراحل حياته، وجعله دائما يفضل المشاركة الشعبية حتى ولو اتخذت طابع تمثيل الوجاهات ما دامت الشكل المتاح للانتخاب والتمثيل الشعبي. وهو أيضا ما سيجعله دائما على غــير وفــاق مــع الحكم العسكري حتى ولو كان باسم الثورة والتغيير، لينتهي به المطــاف قبــيل اعتزاله السياسة نزيل السجون الحربية في مصر يلخص تجربته المريرة في التعامل مع أنظمة القمع في عبارة مأساوية في هزلها تقول إنه بعد أن أمضــى عمره مطالبا بحرية القول قد أرغم على أن لا يطالب سوى بحرية البول. وهذا دون شك ذروة المأساة التي واجهت ليس رواد التنوير العرب فحسب، بل كل عربــي طالــب بالتغيــير، وهو ما يلقي الضوء على الإخفاق الذي أصاب حركة النهضة العربية، وجعل المنطقة العربية تدخل القرن الواحد والعشرين وهي تواجه أسئلة النهضة والتنوير وكأنها ما تزال في مطلع القرن العشرين.

كـــان الأستاذ نعمان قد خرج من السجن إلى بيروت في أواخر سنة ١٩٦٧ حين كانت بيروت واحة لحرية التفكير، علّه يستمد من أنفاسها الحرة مددا يتغلب به علـــى دواعي الإحباط واليأس. وحين كانت القوى الجمهورية الجديدة تصد حصار صـــنعاء واثقـــة من النصر ومن قدرتها على الدفاع عن وعود الحرية التي مثلها النظام الجمهوري، في وجه توقع الأعداء والأصدقاء سقوط هذا النظام، ربما لاحت في خيال نعمان تجربة زميله محمد محمود الزبيري الذي نفذ بأعجوبة من صنعاء المحاصـــرة سنة ١٩٤٨ ليعيد بعد سقوط الحركة الدستورية تنشيط المعارضة من جديد. ولذلك لم يقبل نعمان إعلان "الجمهورية الثانية" (حسب تسمية موفقة اقتبسها المـــرحوم عـــبدالله البردوني) تعيينه عضوا في المجلس الجمهوري في ٥ نوفمبر ١٩٦٧، مفضـــلا مواصـــلة الدور الذي تمرس على أدائه بحيث لم يعد قادرا على مغادرتـــه حتى وهو يتولى منصبا رسميا، أي دور المعارض المستقل برأيه، غير المســـتعد لأن يســـكت علـــى ما يراه غير صحيح. وكان متوقعا أن ينتهي به هذا السلوك إلى اختيار المنفى ليقضي بقية حياته حرا، قادرا على التعبير عن مشاعره إذا أراد، والسكوت عن قناعة، قبل أن ينأى بنفسه عن مشاغل الحياة كلها.

ولم يكن يرغب في كتابة مذكراته لولا أصدقاء له يكبرون كفاحه من أجل التـــنوير، وفي مقدمتهم يوسف إبش، وهو مثقف سوري على غير وفاق مع النظام فـــي سوريا كان يعمل أستاذا متميّزا للتاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت. فقد أقـــنعوه بأن يتولى "قسم التاريخ الشفهي" في هذه الجامعة تكليف من يسجل سيرته علـــى أشـــرطة صـــوتية. وقبل ذلك العرض بعد تردد، مشترطا أن لا تنشر هذه المذكرات إلا بعد وفاته. وهكذا تم تسجيل أربعة عشر شريطا، أضيفت إليها صور بـــ"المايكروفيلم" للجزء الأكبر من كنز الوثائق التي جمعها. ولعل من الإنصاف أن نســـجل هـــنا للأستاذ نعمان بذل جهد استثنائي (بل معجز في تلك الظروف) لجمع الوثـــائق وحفظها منذ الثلاثينات حتى أصبحت صورها اليوم محفوظة في مكتبتين فـــي بيروت ولندن، عسى أن تلقى الاهتمام بنشرها ذات يوم. ولنا أن نتصور أي وعي تاريخي باهمية الوثيقة، وأي جهد خارق (في بلد يعيش ظروفا قاسية) قام به

شـــخص معارض غير مستقر، متنقل بين السجون والمنافي القسرية والاختيارية، للحفاظ على وثائق لم تبذل المؤسسات العامة أو الخاصة أو الأفراد أي جهد لجمعها والحفاظ عليها. إنه فعلا أمر يستحق الإكبار والإعجاب.

ومـــن المؤسف أن الحركة الثقافية في اليمن لم تبرأ بعد من داء رفض التعدد. ينطبق ذلك على المؤسسات وعلى الأفراد. ولذلك تجد كل شخص غير مستعد لقبول روايـــات الآخريـــن عما شهدوا من أحداث، وما بدا لهم أنهم قد عرفوا أو سمعوا، ويتوقع منهم أن لا يقولوا إلا ما يعرفه هو، وما يناسبه، وما يمكن أن يتخيله. أما أن يكتـــبوا الصفحة الخاصة بهم من كتاب التاريخ، كما عاشوه أو كما بدا لهم أو كما تمنوا أن يعيشوه، فذلك مدعاة لمعارك لا تنتهي، قد لا تقتصر على معارك الكلام. وفـــي هذا الجو الذي تطغى عليه روح نفي الآخر يغيب الجهد الموضوعي للمؤرخ المحـــايد، لأن أحدا لا يعترف بدوره ولا بحقه في جمع الروايات والأدلة وفحصها والمقارنـــة بيـــنها، ودراســـتها دراســـة معمقة للوصول إلى أصح صياغة للنص التاريخـــي. وهذا ما يجعلني أتمنى على الجميع أن يتحلوا بالتسامح، وأن يقبلوا من نعمـــان أن يـــروي سيرته، وأن يكتب الصفحة الخاصة به من كتاب تاريخ اليمن الحديث، وأن يعطوه فسحة لأن يعبر بحرية عن آرائه وعن رؤاه. فهو لم يعد طرفا في المماحكات السياسية المكيافيلية، ولا خصما ينبغي أن تحد كل الأسلحة للإطاحة بـــه. ولـــم يعد على قيد الحياة ليحاجج ويدافع عن آرائه، ويشرح ما بدا غامضا أو غير مفهوم أو حتى غير مقبول. لقد أدى دوره ومضى. والحق أنه كان دورا رائدا وعظيما سواء اتفقنا معه في بعض ما يقول أم اختلفنا.

ومما يحسب له أنه سجل هذه المذكرات الشـــفهية في ربيع ســـنة ١٩٦٩ وقد انتصـــرت الجمهورية، ومع ذلك عبر بوضوح عن موقفه الحقيقي، مثلا، من قيام ثـــورة سبتمبر ١٩٦٢ حتى بعد أن انهزم خصومها، ولم يقم "بأثر رجعي" بإجراء جراحة تجميل لذلك الموقف.

وقد قمت، بتكليف من المركز الفرنسي للدراسات اليمنية في صنعاء، بإعداد نص المذكرات للنشر، خاصة وأن من تولى تفريغ الأشرطة غير يمني، على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله ويستحق عليه الشكر والثناء، صعب عليه أحيانا فهم أسماء الأعلام والأماكن اليمنية والنطق اليمني لبعض الكلمات. كما أن التسجيل يعاني من بعض الفراغات. ومن طبيعة الحديث الشفهي أن لا يصاغ في جمل مكتملة طويلة نسبيا على الرغم من حرص الأستاذ نعمان على الحديث بلغة فصيحة. ونوعية التسجيل في بعض الأحيان غير واضحة. وكان الأستاذ نعمان أحيانا يقطع رتابة الحديث ويتغلب على التعب ببعض الطرائف الممتعة، مما قد يقطع تسلسل الفكرة. وقد تم التسجيل خلال أيام متباعدة لبضعة أشهر (من فبراير إلى مايو ١٩٦٩). وكان الأستاذ أيضا يتحدث على سجيته من الذاكرة، وعلى نحو متقطع مما يؤدي أحيانا إلى الاستطراد أو التكرار. لكن كل استطراد يكشف عن معلومات إضافية وعن أحداث أخرى، وقد يوسع مجال الرؤية. ولعل مما زاد في التكرار أن ابنه محمد الذي تحمس لهذا العمل، عند ما اطلع على الأشرطة المسجلة وجدها لا تحيط بجميع القضايا التي يعرف أن والده يستطيع الحديث عنها. وربما كان واضع الأسئلة الإضافية التي سجلت إجاباتها في آخر شريط، لأنها أسئلة صاغها شخص مطلع وتختلف عن الأسئلة السابقة التي يبدو من صياغتها أن من وجهها شخص غير مطلع على تفاصيل سيرة نعمان. وقد كان الأستاذ نعمان يتحدث عن أشخاص وأماكن وأحداث حاضرة حضورا قويا في ذاكرته بحيث لا تحتاج إلى تعريف أو توضيح. وهو ما استدعى أن أهتم بالتوضيح والتعريف حتى أسهل على القارئ العادي، وبخاصة من الأجيال الجديدة ومن غير اليمنيين، قراءة هذا النص المهم. وقد واجهتني منذ البداية مشكلة الشكل الذي ينبغي أن يتخذه عملي. واستقر الرأي على أن أحرص على بقاء نص نعمان كما هو في صورة إجابة على أسئلة طرحها عليه آخرون فأجاب عليها بتوسع أحيانا وبإيجاز أحيانا أخرى، حسب نوع السؤال ومزاج اللحظة وتداعي الذاكرة. وتركت عبارات نعمان كما هي إلا حين يستدعي الأمر بعض التدخل لإكمال الجملة أو إيضاح الفكرة دون مساس بالمعنى. فهل وفقت؟

والحق أن انتظار القراء لهذه المذكرات قد طال. وإني لأتوجه بالشكر للمركز الفرنسي للدراسات اليمنية في صنعاء على اهتمامه بتحقيقها ونشرها. وأتوجه بشكر خـاص للصديق الكاتب والمترجم فرنسوا بورجا، مدير هذا المركز، على حماسته لإخـراج هذا النص، وعلى الثقة التي منحني إياها، وعلى الدور الذي يقوم به، بما عـرف عـنه من حيوية ومثابرة وحب للعمل، في جعل المركز الذي يديره علامة مضيئة من علامات التعاون الثقافي الفرنسي مع اليمن.

علي محمد زيد

باريس في ١١ فبراير ٢٠٠٣ م

١٠ ذو الحجة ١٤٢٣ هـ

مقابلة مع الشيخ/ أحمد محمد نعمان

س ــ حضــــرة الشيخ أحمد محمد نعمان، أنستطيع أن نعرف أين ولدت، وأين تعلمت، وهل لك أن تحدثنا عن أفراد عائلتك؟

ج ــ الواقع أنا ولدت في منطقة اسمها "ذبحان"، في قمة جبل مرتفع في اليمن، وفي الجنوب منه (تقع في المنطقة المعروفة بالحجرية، محافظة تعز)، في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هــ/ ويصادف بالميلاد ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م. والعادة هناك أن لا يعنون بشيء من تاريخ الإنسان وحياته. وأسرتي أسرة محافظة ومتدينة.

والعــادة هــناك أيضا عند ميلاد الإنسان أن يقيموا في اليوم السابع من ولادة الطفــل احــتفالا صغيرا بمناسبة اختتان الطفل، وهذا أمر مشروع، لا بد من ختان الطفــل، وحلاقة رأسه، ويسمى العقيقة. ويوجهون بمناسبة الاحتفال الدعوة لجميع المعروفين في القرية، يطعمونهم ويذبحون الذبائح.

س ــ يقيمون هذا الاحتفال لولادة الطفل الذكر فقط أم للبنت أيضا؟

ج ــ للصــبيان فقط. لأن الختان غير موجود للبنات. ولكن الختان يعتبر من الناحية الدينية مشروعا، ومن الضروري ختان الطفل الذكر والأنثى أيضا. ويتفنن الفقهاء في وصفه وصفا مفصلا، ويحددونه ويقدرون القدر الذي ينبغي أن يقص من المــرأة حــتى لا يــتجاوز بحيث يضعف شهوتها إذا جازفوا في ختانها. إلا أنهم يذبحــون كبشين يوم عقيقة الولد وكبش واحد للبنت. وخلال هذا تقام حفلة، ويأتي النشادون يقرءون التعاويذ في الليل من أجل سلامة الولد. وعندهم تراتيل يرحبون فيها بمجيء النبي:

مرحبا يا نور عيني مرحبا   مرحبا جد الحسيني مرحبا

ثم يرقصون رقصـــا دينيا (يعقدون حلقات ذكر صــوفية) ويشــترون القات ويسهرون لمضغه.

س ــ ما هو القات؟

ج ــ القات شجر منتشر في بعض مناطق اليمن، يملكه بعض الناس ويبيعونه بأثمـــان لا بأس بها بحيث أنهم يكسبون منه. ويتجمعون في بعض المجالس أو في بـــيوتهم يمضغون هذا القات ساعات من النهار بعد الانتهاء من العمل، ينتشون به. يخـــتزنونه في أفواههم أو يبصقون رحيقه إلى وعاء خاص حتى لا يبتلعوا الشيء الكثير منه. وكلما خف في التخزين ضاعفوا الورق. يستمرون بهذه العملية من بعد الظهـــر إلـــى أن تغرب الشمس ثم في الليل حيث تقام الحفلات وينطلقون بالأناشيد والتخزين. يشتري صاحب الحفلة كمية كبيرة من القات ويوزعها على الموجودين. وهكذا ينتهي احتفال المولد.

ولا وجود لمستشفيات للولادة. وإذا تعذّر الوضع لدى بعض النساء يذهب أهلها إلـــى بعـــض الفقهـــاء والمتدينين ليصنع لها رقية تعلق إلى فخذ المرأة حتى تضع المولود. ويعتقدون أن هذا يسهل عليها الوضع. يكتبون في هذه الرقية أسماء مثل، بطر زهج زاح، يعتقدون أن هذه الكلمات الثلاث أسماء لبعض الملائكة، تكتب في ورقـــة وتطـــوى ثم تربط في خيط ثم تعلق بفخذ المرأة التي يتعذر عليها الوضع، وبذلك تسهل عمليها الولادة.

هكـــذا يعـــتقدون لأنـــه لا يوجد طب ولا يوجد عندهم أي شيء (من الرعاية الطبـــية). وبعد أن تلد المرأة تعالج نفسها بالشذاب والمكوى، تحمّى لها حجرة من الـــياجور تضـــعها علـــى جسمها لتخفف عنها الآلام، لأنه لم يكن معروفا عندهم اســـتخدام الماء الساخن. ثم تشرب من أنواع المر والأدوية البلدية، وتأكل العيش الساخن مع العسل غذاء لها. وتسمى هذه الوجبة "المعصوبة". وهذا هو "النعيم" الذي تنعم به المرأة أيام الولادة فقط، أما إذا انتهت أيام الولادة عادت إلى الجوع.

س ــ هل كنت الولد الأول لوالدك؟

ج ــ كـــلا. كـــان قبلي عبد الحميد، وأحمد، وعلي، وعبد ال له، ونعمان. أنا الســـادس مـــن الأطفال الذكور، ومن ورائي أيضا ذكور وإناث أذكرهم بالأسماء:

زبيدة، وفاطمة، وخديجة، وعبد العزيز، وزينب. البعض قد توفوا ولم يبق إلا أخ واحد أبو عزيزة، زوجة ابني محمد.

وكانــت هذه عادة الأسر. يتزوجون من بعضهم البعض لأنهم حريصون على الإقامة (في أسرهم)، لا يريدون أن يرسلوا بناتهم إلى جهات أخرى لحرصهم على إقامتهــن في البلد (بالقرب منهم). ولم تنفتح لهم الهجرة منذ عهد الجد نعمان. وقد كــان هذا الجد يعتبر عمدة "ذبحان"، ويسمى هناك الشيخ نعمان. وقد أنجب أولادا، هــم أبي وأعمامي، تولوا السلطة في هذه المنطقة كلها. وعرفت أسرة بيت نعمان بــأنهم مشــايخ قضاء الحجرية. وكان أبرزهم عمي أحمد نعمان "بك"، لأنه اتصل بالأســتانة وذهب مع مشايخ اليمن إلى السلطان محمد رشاد ومنح لقب "بك". لكن الأسرة كانت تعيش في بساطة، فلا تجدون فرقا بينها وبين الآخرين، والعيشة عيشة شــظف، مــثلا نتناول في الصباح قطعة من العيش ونذهب إلى الكتّاب (المدرسة البسيطة).

لــنأخذ "سيرة حياتي". أولا قضيت سبع سنين ولم يكن هناك أي شيء اعمله. كنــت ألعــب في الطرقات في القرية مع الأطفال كرة "الشقلح" بعصى صغيرة في طرفها كسر. يحدفونها بالعصى إلى محل بعيد. وكان يحدث بيننا وبين أبناء القرى المجــاورة تبادل الرجم بالأحجار. يغلبوننا أو نغلبهم، وأحيانا تحدث جنايات وكسر رؤوس يسمونه "عديف"، أي أن أبناء هذه القرية يجتمعون ضد أبناء القرية الأخرى "يتحاجرون"، أي يقذفون بعضهم بعضا بالحجارة.

ذهبت في السنين التي بعدها إلى "المعلامة"، وهو "الكتّاب" الذي يعمل فيه فقيه القــرية بتعليم الأطفال. يجلس الفقيه على دكة مرتفعة ولكنها ليست مفروشة وليس فيها حتى حصيرة. نتمرغ في الأرض كما تتمرغ الدواب. ويظل الأبناء متراكمين هــناك والفقــيه يدرّس كل واحد بمفرده، حيث لا يوجد نظام الصفوف. كل واحد يختلف عن الآخر. مثلا واحد يقرأ الألف (أي أول حروف الهجاء) والآخر قد انتقل إلى سورة أخرى من سور القرآن. كانوا يكتبون على الألواح بعد أن يطلوها بنوع

مـــن الحصى حتى تجف، ثم يكتبون عليها بالفحم لأن الحبر لم يكن موجودا بعد، ولم يوجد الحبر والأقلام إلا مؤخرا.

كنا نتعلم القراءة فقط عند الفقيه ونقرأ القرآن ونحفظه غيبا وليس فهما. وربما كـــان الفقيه نفسه لا يعرف المعاني، بل يكتفي بالألفاظ. فكنا نحفظ الألفاظ، وربما حفظنا مغلوطا لأننا لا نفهم المعنى، ولسنا مطالبين بفهم المعاني.

كنا نبدأ بالألف باء. ثم نقرأ بعدها جزء عم (من القرآن الكريم) ونواصل قراءة السور سورة فسورة حتى نصل إلى سورة البقرة.

كـــنا نختم القرآن جزء بعد جزء. وكلما حفظ الشخص جزء من القرآن كانوا يقيمون له حفلة يشـــترك فيها الفقيـــه والزملاء في "المعلامة" ، وتقدم لهم وجبـــة "عصـــيد". والعصـــيد قَدر من الطحين يغلى بالماء ويخلط الماء بالدقيق، ويسمى "العصـــيد". وكان هذا أكل اليمنيين عادة وليس فيه أي نوع من السكر، لأن السكر كـــان نادر الوجود وغالي الثمن ولا يستخدم إلا في الأعياد. ومن المحتمل أن نجد قطعـــة سكر نتضارب عليها، بينما كان العسل معروفاً ولكن ليس بكثرة، لأن الفقر كـــان موجودا ومنتشرا. ومن غير الوارد عناية الناس بالغذاء. ثم إن التعاليم الدينية كانت تقول إن المؤمن يأكل بمعا واحد والكافر بسبعة أمعاء، وأن النبي كان يجلس شهرين لا يوقد في بيته نار ولا يأكل سوى الأسودين التمر والماء. بثّت هذه التعاليم فـــي الناس كثيرا من الزهد ومن عدم الإقبال على الحياة. ولذا نجد الأجساد شاحبة وليست أجسادا متينة متغذّية. عندما كنا نذهب إلى الفقيه نقرأ ونتشاكس يمسك الفقيه بآذاننا، وأحيانا يمسك الحصى ويضعها وراء الأذن ويقرصها حتى يدميها. وكل هذا للتأديب. وأحيانا يمسك بتلابيب الطالب ويروي هذه القصة وهي "إن الله عندما أنزل جـــبريل ليعلم النبي القرآن قال جبريل للنبي: أقرأ فيقول النبي ما أنا بقاري، فيكرر جبريل القول: اقرأ، فيقول النبي: ما أنا بقارئ، ثم يكرر جبريل مرة أخرى. وهكذا اتخذوهـــا دليلا على أن الطفل لا يمكن أن يتعلم بسهولة ، بل لا بد له من عقوبة ، ولا بد من أن يعاقب ليتعلم لأن النبي لم يتعلم إلا (بتكرار وإلحاح).

كانت المعلامة المصدر الوحيد لثقافتنا. كنا نعاني معاناة كبيرة من الفقيه لشدة العقوبة التي كان يفرضها علينا. وكنا نعاني خوفا من الفقيه. فكان أكثر الأولاد يهربون ولا يدرسون ثم يبقون أميين. وكل ذلك بسبب خوفهم الشديد من الفقيه . أما نحن فكانت أسرتنا تريد أن نتعلم، ولا يوجد معلم إلا الفقيه، فنذهب إلى الفقيه. أحيانا يقسو علينا بالضرب أما لكما وإما قرصا. هذا إذا كنا على مقربة منه، أما إذا ابتعدنا فالعصا للمسافة البعيدة. ونرجع للبيت، تنظر الأمهات إلى أجسادنا ثم يحدثن الآباء عن أجسامنا المضروبة والمشوهة، فكانوا يقولون نحن لا نريد إلا العين والعظم فقط، أما اللحم والجلد فللفقيه.

هكذا ينشأ الطفل في هذا العذاب والرعب. وعندما نعود إلى البيت نواجه معركة الصلاة. ولم يكن عندنا الوعي الديني والفهم. كان البرد قارسا شديدا فنضطر للوضوء بالماء البارد. تتقطع أيدينا وأقدامنا من شدة البرد. ونضطر للوضوء من حوض واحد، جميع الناس يتوضأون منه، منهم من يتمخط ومنهم من يبصق، ومنهم من يغسل قدميه. المهم عبادة الله. ثم ندخل إلى المسجد ونظل طوال الليل نغالب النعاس، فيغلب علينا النوم لأننا كنا أطفالا. فيقرصنا الآباء وهم في حالة ذكر، يرددون: الله، الله، الله، الله. كانت روح الصوفية موجودة. وكانوا يرددون أذكارا وأورادا. يتحلقون في المسجد، أي يجتمعون في حلقة للذكر ما بين المغرب والعشاء، فيظلون يرددون: الله، الله، الله ... أولا وهم جالسون، ثم يرتفع الصوت شيئا فشيئا: الله، الله، الله ... وإذا بهم يقفون قياما، ثم ترتفع الأصوات حتى يصلوا إلى مرحلة لا ينطقون فيها اسم الله، وإنما يرددون: آه..آه..آه ... ويتواصل الضجيج والنحيب والناس مبهورون. وعندما ننتهي من هذا نصلي العشاء. وبعد الانتهاء من صلاة العشاء ندخل في ليل مظلم ننتظر العَشاء. يأتي العشاء وهو وجبات من الأطعمة، هنا مائدة وهناك مائدة يسمونها "الفته" وهي خبز بالمرق. نتحلق في حلقات ونبدأ قائلين: "باسم الله. اللهم بارك لنا فيما اجتمعت عليه الأيدي. باسم الله". فيأخذ كل واحد لقمتين أو ثلاث حسب شطارته. والمسكين يأكل لقمة واحدة و يحمد الله يقوم قائلا: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين، ثم يذهب لينام على الطوى.

وهذا ما مارسته أنا أيضا. يوقضوننا في الفجر الباكر، حينما يبدأ ظهور الخيط الأبـيض في الأفق. نخرج إلى الحوض البارد. وقبل أن نمد أيدينا إلى الماء نرتعد بعـض الوقت وبعدها نغامر. ثم ندخل المسجد ونحن نرتعد بردا، والبراغيث تأكلنا أكلاً. ولا يحق لمن يصلي أن يحرك يده ولا أن يحك جسده. ولكننا إذا كانت الدنيا مظلمـة نحـك دون أن يـرانا أحد. وبعد الصلاة تقام حلقة ذكر أخرى. نبقى في المسجد إلى أن تطلع الشمس. بعدها نأخذ لقمة العيش ونذهب بها إلى الكتاب. وحين نصـل الكـتاب نسلمها إلى الفقيه. ويبدأ الفقيه بتعليمنا بعض الوقت. وعندما يوجد ثلاثـون تلميذا يعني ذلك وجود ثلاثين صفا، لأن كل تلميذ يكاد يكون صفا مستقلا، واحد يقرأ والأخر يتهجى إلخ. صياح يدوي في المكان والفقيه مسرور، ويستمع في كل ساعة لواحد من التلاميذ.

س ـ متى تأكلون في الصباح؟

ج ـ عندما نغيّب درسنا عند الفقيه يدعونا ويعطينا نصف اللقمة التي جئنا بها ثـم يأخذ النصف الآخر. نجلس في شكل حلقة، ونكسّر أقراص الخبز ونضعها في حجـر أحـد الأولاد ونبدأ نقرأ: "[بسم الله الرحمن الرحيم: لإيلاف قريش، إيلافهم، رحلـة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خـوف]. يـا أمـان الخائفين أمنا من كل خوف. يا أمان الخائفين، أمنا في الدنيا والآخرة. آمين يا الله". ثم نبدأ في تناول اللقمة بشراهة ونرجع بعدها لنكمل درسنا.

وهكـذا يبقى التلميذ حوالي خمس أو عشر سنين عند الفقيه لأنه لم يستطع أن يختم القرآن. والبعض الآخر يبقي مدة أطول. أما أنا فكنت من الأذكياء الذين ختموا القـرآن خلال ثلاث سنين حتى أنفذ بجلدي من الفقيه. وبعدها وجدنا أننا مجبرون علـى أن نـتعلم الكتابة، لأننا أولاد مشايخ. وقد أصبح آباؤنا معروفين عند الدولة العثمانـية. وكان عمي قائم مقام الحجرية. فلا بد للأولاد من تعلم الكتابة. فقد فتح الأتـراك "مكتب". كان الفقيه يعلّم في معلامة. أما الذي فتحه الأتراك فهو "مكتب" لتعلـيم الكتابة ، على يد الخوجه أحمد مقبـل . وأول ما تعلمت منه: "رب يسـر ولا تعسّر، رب تمم بالخير، وبه نستعين". هذا أول سطر كتبه لنا بخطه الجميل. كنا

نجلس ونتعلم عليه. نكتب ويأتي الخط مختلفاً عن خطه، فيقول: أفتح يدك، وما أن نفتح يدنا حتى يقوم بضربها. وهكذا كان الفقيه قد أخذ نصيبه من أجسادنا، وجاء الخوجة ليضرب أيدينا كما يريد بلوح يشبه المسطرة مأخوذ من صندوق. وإذا عارضت ضاعف الضرب.

أما عقوبة التخلف عن المدرسة فقد كانت الفلقة. هذا لم يكن موجودا عند الفقيه، وإنما وصلت الفلقة مع الأتراك. فهذه حضارة تركية. نعم. لقد جاءتنا الحضارة التركية بالفلقة. وأظن أنكم تعرفونها. يقعد الطالب على الأرض القرفصاء، ثم يضعون عصا خلف ركبتيه ويثني الركبتين إلى الخلف. ثم تُشد الرجلان بحبل إلى العنق، ويقلب الطالب على ظهره بحيث تظل قدماه متجهتين إلى السقف دون أن يقوى على الحركة، وبعدها ينهال المعلم بعصاه ضربا على باطن القدمين. وفي بعض الأحيان لا يكون هناك داع للفلقة، يكلف المعلم بعض الأولاد بأن يرفعوا له رجلي التلميذ ويتولى هو الضرب . ومن عقوبات الغياب أن يجمع المعلم مجموعة من التلاميذ ويذهب بهم إلى بيت التلميذ الغائب فيسحبونه من بيته. مع العلم بأن أهله موجودون ولكنهم يتبرعون منه. وإذا مانع يشدونه من عنقه ويأخذونه إلى عند المعلم . يجرونه من رجليه إلى عند الفقيه ، وإذا وصل إليه لا يرحمه طبعا.

وكانت العادة أيضا طاعة الطفل لإخوته الأكبر منه. يستطيعون أن يؤدبوه. وإذا اشتكى إلى أبيه يقول له: أتشتكي من أخيك الذي أكبر منك! له الحق في أن يدوسك ويضربك حتى "ينقعك"، أي أن يضع رجله في بطنه حتى يفجرها وليس للمضروب الحق في أن يقول أي شيء.

أذكر مرة ضربني فيها أخي الكبير، علي. سافرت مسافة بعيدة لأشتكيه إلى أبي واستنجد به وكان في مكان بعيد. وصلت وكان نائما لأنه في رمضان. فأخبره أحد الأشخاص بوجودي وإني قادم أشتكي من أخي علي. قال والدي أيشتكي من علي؟ والله إذا رأيت وجهه فسأفتك به. خرج الذي أبلغه بالأمر وقال لي: أهرب قبل أن يراك أبوك. رجعت ووجدت أخي الذي ضربني قد مرض، فقالت أمي إنها عقوبة له لأنه ضرب أخاه الصغير. أما هو فقال: سامحني وهكذا انتهت القصة.

فكـــرت أن هناك مدينة مشهورة في اليمن أسمها زبيد. كانت حصيلة ما في القرية من تعليم تقتصر على الكتّاب "المكتب". وكان هذا المكتب امتيازا عندنا فقط، باعتـــبار أن هـــناك مركز حكومي ونحن من طبقة المشايخ. أما باقي أولاد القرى فيـــتعلمون عـــند الفقيه. ولا يتعلم إلا القلة القليلة. ولماذا يتعلمون؟ لأن هناك أوقافا يوقف فيها الناس أراضيهم قبل أن يموتوا من أجل أن يقرأ لهم القرآن على قبورهم مـــن أجـــل التحلل من السوابق والذنوب التي قد يكونون ارتكبوها. فكان الأطفال يـــتعلمون لكـــي يجوّدوا شيئا من القرآن ويحترفوا قراءته فيما بعد. وهكذا يقرأون القـــرآن إلى روح فلان. ولذلك فإن الكثير من الأراضي في اليمن موقوفة، أي أنها لا تـــباع. يوقفهـــا المالك على أن يقرأ القرآن إلى روحه. الكثير ممن يقبلون على التعلـــيم يتعلمون من أجل هذه المعاني وليس لأنهم يفهمون القرآن. هذا في القرى. ولكن كان هناك مدن علمية.

س ــ هل باستطاعتك أن تخبرنا عن عدد السكان الذين كانوا في القرية أو في القرى وعن نسبة العلم بينهم؟

ج ــ القرى حول بلدتنا حوالي ٤٠ قرية، ونسبة المتعلمين في كل قرية ٥ %.

س ــ ما هو نوع العمل الذي كانوا يشتغلون به؟

ج ــ كانوا يذهبون مع آبائهم إلى الحقل للزراعة والحصاد. لا توجد أية مهنة سوى العمل في الأرض ورعى الأغنام والبقر. هذه هي المهنة الموجودة. إنما كانت هناك عدن. وكان الإنجليز قد فتحوا فيها الأعمال والمتاجر، فكان أكثر أبناء اليمن يهاجرون إلى عدن، يبحثون عن العمـــل . ففي أيامنا كان القراء قليلين. ولا يوجد إلا الفقيه في القرية يكتب للناس عقود البيع عندما يبيع المالك أرضه، ويكتب ورقة الطـــلاق بيـــن المـــرآة وزوجهـــا. كانوا يتعلمون الشريعة. وهكذا كان هذا الفقيه متخصصا بهذه الأعمال. وكما قلنا سابقا إن نسبة المتعلمين ٥ %.

وكـــان آباؤنـــا مـــن حيث هم مشايخ يستقدمون العلماء. وكان مستوى هؤلاء العلمـــاء يفـــوق مستوى الفقيه. كانوا يعرفون الشريعة ويعرفون اللغة العربية ولهم معرفة بالعقائد الإلهية. فكان آباؤنا يحرضوننا على أن نصل إلى هذه الرتبة لنصبح

مثل هؤلاء العلماء، لأن الملائكة تفرش أجنحتها للعلماء على الأرض ولهم الأجر مــن الله. والحيتان تسبّح لهم في البحار. فعالم الدين يلقي الله والله راض عنه. والله يرضى عن المتعلم والفقيه.

فــإن فقيهــا واحــدا متعبــدا أشد على الشيطان من ألف عابد

كانــت هــذه مصــادر الثقافة التي ابتدأت ينابيع العلم منها، من الكتب، ومن المعلامة، ومن الخوجة أفندي.

كــان هؤلاء العلماء يأتون إلى عندنا. وكنا نتعلم منهم. في كل مرة كان يأتي حوالي ٣ علماء، يمكثون شهرين عند الشيخ يأكلون ويشربون إلى أن يقوموا بزيارة أهلهم حاملين معهم بعض الطعام أي الحبوب. فكان كل فقيه يأتي نقرأ عنده كتاب "أبــو شــجاع" أو "الغايــة والتقريب" في كيفية الصلاة وشروطها، والعبادة والحج ومناســكه ورمضان. قسم من الكتاب يتعلق بالعبادة وقسم بالمعاملة (البيع والشراء والوقف والهبة والرهن)، وقسم يتعلق بالنكاح (الزواج والطلاق والعقيقة أي شروط ختان المولود)، وقسم يتعلق بالجهاد، قتال الكفار والخارجين عن الإسلام ومحاربتهم (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). فأنا كنت أقرأ مع القادم، وما أن يسافر هذا الفقيه حتى يأتي فقيه ثان ليزورنا ونبدأ بالقراءة عليه من أول الكتاب من جديد. بقيت سنتين أقرأ نفس الكتاب، كتاب "أبو شجاع". يأتي الفقيه ويشرح من أول الكتاب وأكون قد قرأت سابقا ربع الكتاب.

لــم يكــن أبي متعلما تعليما كافيا. كان يسألني هل قرأت الكتاب، فأجيب نعم قرأته. فيسأل ماذا قرأت ؟ أقول له : "فروض الوضــوء . اسمع لي، الأول غســل الوجــه، الثاني مسح اليدين، الثالث مسح الرأس، والرابع كذا، والخامس كذا. يقول لــي: أصلحك الله. يأتي بعد شهرين ليسألني: هل تقرأ؟ أقول له نعم. فيسأل وما ذا حفظت؟ أقول له: المسح على الخفّين، ثم يسأل وما هو المسح على الخفين؟ أجبت: المسح على الخفين جائز بثلاثة شروط، أن يكون كذا وكذا، فيقول لي: أصلحك الله. فيأتي بعد مدة ويسألني ما الذي تغيبته؟ أقول له: الاغتسالات المسنونة. ثلاثة أبواب حفظتها غيبا. فيسألني أمام الناس . وعندما أسرد لهم الإجابة يقولون: ما شاء الله ،

ما هذا الولد الذكي يا شيخ محمد؟ كانوا يعدونني نابغة بين أخوتي. كان عندي أخ أكبر مني، وكان لا يغيب خوفا من أبي . فعندما يسأله لما ذا لم تحفظ غيبا ؟ يقول له: إنني أقرأ نظرا لا غيبا ، فيقــول له : أخوك أصغر منك ويقــرأ غيبا ! ويقوم ليضربه.

وأخيرا، هربت من ضرب إخوتي، نعمان يضربني، وعبد الله، وعبد الحميد، وأبي. فما ذا أعمل؟ أبي كانت أمنيته كبيرة ورغبته شديدة في أن نصبح علماء، فإذا أتــى عــالم عند والدي يقول له: أدع للأولاد حتى يفتح الله عليهم ويتعلموا. فكنت أجلــس دائما إلى جانب العلماء ولا أتغيب عن مجالسهم. ثم كنت أقوم للصلاة قبل إخوتــي جميعا. أريد أن أرضي أبي تماما. وهكذا كان يقول لي دائما: الله يرضى عنك يا ولدي، الله يفتح عليك، الله يجعلك من العلماء العاملين. ثم فكرت في مدينة مشــهورة باليمــن أســمها زبيد. كانت من المدن العلمية الكبيرة، فيها دراسة للغة العربــية وللشريعة. وفيها علماء، أي أنها كانت مدينة مشهورة بالعلم، وكانت فيما مضــى عاصمة لدولة بني زياد. ثم إنها أشهر مدينة بعد مدينة صنعاء، ثم أصبحت مشهورة كأنها مدينة مقدسة.

شــعرت أن والــدي يتشوق لكي أذهب إلى هذه المدينة. فهو يتمنى دائما أن يذهب أولاده إلى زبيد. ففكرت في الذهاب إليها، خاصة وقد كان يقال: من لم يتعلم فــي زبيد فليلمس أحجارها. فحرصت على استغلال مشاعر والدي حتى أنجو من العــذاب الــذي نزل بي، وقررت الهرب من البيت والعائلة إلى زبيد. وذهبت إلى زبــيد، علــى مســافة خمســة أيام، ولكنني قطعت نصف المسافة وكتبت "مكتوبا" لوالــدي، لأنــي كنــت قد تعلمت الكتابة من الخواجة أفندي بعد الضرب الشديد. وتعلمت من الحساب الجمع والطرح والضرب والقسمة، لأن الأتراك كانوا يعتنون بهــذا، غــير ذلــك لا أعــرف شــيئا إلا فــروض الوضوء والمسح على الخفين والاغتسالات المسنونة. كانت هذه هي الثقافة السائدة.

أرســل والدي حمارا لأركب عليه، وأرسل أيضا مجموعة من إخوتي. وصلنا بعــد مســافة خمســة أيام إلى زبيد. وصلنا إلى الرباط، أى المدرسة، كانوا هناك

يســمونها "الــرباط". هناك يرابط المتعلمون في الرباط. وكان هناك أراض كثيرة موقوفــة علــى المعلميــن وعلى المتعلمين طلبة العلم أيضا. فكما هو معروف في الإسلام، يوقف الشخص ثلث ماله، يصرف ما يحصّل من ريع هذه الأرض للإنفاق على طلبة العلم وعلى العلماء. وهذه المدينة مشهورة بذلك. قرأنا كتاب "أبو شجاع" إلــى آخره مع شرحه، ثم ابتدأنا نتعلم العربية والنحو، في كتاب الأجرومية. ولكن أغلــب التعلــيم كــان حفظا عن ظهر قلب وليس فهماً. بقينا مدة نتعلم خلال السنة الأولــى ثــم عدنا إلى البلاد حيث قوبلنا عند عودتنا بحفاوة واحترام في المعلامة. وطلبوا أن أصلي بالناس في المسجد. وبدأ الغرور يدغدغني في السر، فكنت أسمع الهمســات المعجبة بي، وأتظاهر بعدم سماعي لها "اللهِّ، هذا ولد صالح. جزاك الله خيرا ياشيخ محمد" يقولون لوالدي، وهكذا.

س ــ هل مكث معك إخوتك في زبيد؟

ج ــ كلا. إخوتي رجعوا، وأنا الذي بقيت فقط وثبتُ في المعركة. ذهب كل منهم للعمل بالوظائف الحكومية وأنا بقيت أطلب العلم. فلما وجدت كل هذا الاحترام والرضا من أهل البلد، قررت أن أعود إلى زبيد مرة أخرى مع أني بدأت هاربا من ضــرب إخوتي وأبي لي. وهكذا أخذت أدرس سبع سنين في زبيد. وزوجوني وأنا صغير.

س ــ كم كان عمرك حينما تزوجت؟

ج ــ كنــت أبلغ من العمر الرابعة عشرة. ثم ذهبت إلى زبيد وبقيت حتى سن الحاديــة والعشرين. أصبح الزواج شرعا في تلك السن المبكرة. بقيت الزوجة في البيــت عند أبي. رجعت عالما من العلماء لألبس العمامة والقميص المكمم والعصا بيدي. وأصبحت أعقد الحلقات. وكان الناس يأتون إلي عقيدة وحسن ظن. منهم من يطلــب الدعوة الصالحة، ومنهم من يطلب النفحة. والمرأة الوالدة التي يصاب ابنها بحمى يأتون إلي لأكتب لابنها تميمة. أصبح لي عند الناس سمعة دينية. وهكذا بقينا ماضــين في هذا الطريق، أدرّس الناس بدلا من أن يذهبوا إلى زبيد. أصبحت زبيد عندهم. كنا نقرأ في شهر رجب صحيح البخاري، وهو من الأحاديث النبوية، وهو مصدر من مصادر كتب السنة.

وكـــان هذا الكتاب يُقرأ في زبيد خلال أشهر رجب وشعبان ورمضان، لأنها أيام عطلة. فالناس يأتون ويتحلقون لسماع أحاديث النبي. وقد قمت بنقل هذه السنة التي في زبيد إلى قريتي في ذبحان وفتحت المدرسة. كنا نبعث بدعوات، نقول فيها إن قـــراءة صـــحيح البخاري ستكون في الساعة كذا، وتاريخ كذا، نرجو تشريفكم. ونحضّر القهوة والحلوى لتوزيعها. يأتون للقراءة وسماع الأحاديث. وهكذا أصبحت صـــاحب مدرســـة. وكنت أتهرب من الجلوس مع الحكام وأعتبرهم ظلمة. وحتى إخوتـــي كنـــت أتأفف منهم، وأقول "لا تجالسوا الظلمة، ابتعدوا عنهم". كنت أكره الظالمين وأتأفف منهم. وكانت نظرتي إلى الإمام يحيى أنه خليفة الله على الأرض. كـــنا نقوم في منتصف الليل إلى المسجد ونقول "اللهم أمنح النصر والتمكين والظفر والفتح المبين، لمن اخترته لإصلاح أمور الدنيا والدين، مولانا أمير المؤمنين الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، آمين". هذه هي دعواتنا في منتصف الليل، والمؤتمّون يـــرددون: آميـــن، أمين. ونقول: اللهم شد عضده بأبنائه سيوف الإسلام الميامين. وهكـــذا كـــنا نصلي بإخلاص. بدأ الإنسان يتأمل المسألة ويعرف. ويشاهد الحكام الموجوديـــن. لـــم يعـــد الحكم بأيدينا نحن. كنا نحكم أيام الأتراك. فلما زالت دولة الأتـــراك وأستلم الإمام يحيى الحكم في اليمن بعد الأتراك، كل الذين كانوا يعملون مـــع الأتراك ومنهم عمي اعتقل (وظل في السجن) حوالي ٢٧ سنة، ثم أعدم سنة ١٩٤٨ م، وهـــو أبو زوجتي وأسمه عبد الوهاب نعمان. ولما كان الحكم ليس في أيدينا أتى الحكام من عند الإمام، وكانوا من الزيدية ونحن من الشافعية "شوافع".

س ــ ما هو الفرق بين الاثنين؟

ج ــ الفـــرق هو في أصول المذهب. أولئك يعتبرون أن الإمام الهاشمي شرط واجـــب فـــي ديـــنهم، ونحن عندنا أن الإمام ليس شرطا أن يكون هاشميا. ثم إنهم يعتـــبرون أن الإمـــام علي هو أولي بالإمامة بعد رسول الله ونحن ندين بأبي بكر وعمر وعثمان. فروق ليست كثيرة في اليمن وهي فروق بسيطة. فعندما كان يأتي الحـــاكم مـــن غير البلد لا يحسن معاملة الناس. كثير من الناس تألموا من حكمهم لأنهـــم كـــانوا معتاديـــن علـــى المشايخ، الذين يعيش المواطنون معهم. فبدأ الناس يضيقون من الحكم لأنه كان قاسيا ورهيبا.

س ـ إلـى هذه الدرجة؟ كانت الحياة بسيطة فكيف يكون الحكم قاسيا إلى هذا الحد؟

ج ـ البساطة هي بساطة الحياة، لأن الدولة ليس عندها موارد، فمن أين تأتيها الموارد؟ الفلاح الذي يزرع أرضه عليه أن يدفع للحكومة عُشر ما ينتج من الثمار. هـذا من الناحية النظرية. ولكن في الواقع أصبح الفلاح يدفع كل ما يحصل عليه، وفوق ما يحصل عليه. أحيانا يبيع أرضه ليوفي مطالب الحكومة. هذا شيء، ثم من وراء هـذا كانت وسيلة جباية الضرائب من الرعية قاسية. لم تكن الوسيلة التزاما. كانـت وظيفة كل عامل أو حاكم يبعث به الإمام إلى المنطقة جمع الأموال وحفظ الأمـن فـي الـبلاد وأن يصون من العدوان، ويرافقه مجموعة من الجنود، وكان الجنود دائما لا يأتون إلا من الشمال من الزيود، وليس من الشوافع.

الشـوافع هم ما بين زرّاع وتجار، ولكن الزيود هم الحاكمون والجنود، فكان يأتي الحكام منهم ويأتي منهم الجنود كذلك.

ـ ما هي وظيفة الجنود؟

ـ كـانوا يذهـبون إلى بيوت الفلاحين، يعيشون "ضيوفا" على الفلاحين ثم يطالـبون هؤلاء الفلاحين بأن يطعموهم مما يتمنى الفلاح أن يأكله ولو مرة واحدة فـي السـنة. يفرض عليه تغذيتهم بالدجاج والبيض، ويضربونهم ضربا عنيفا إذا امتـنعوا، هذه صورة أمينة. إنه الجهل. كانوا يجلسون عند الفلاح حتى يذهب إلى الحـاكم ويسدد مطالب الحكومة ثم يأتي بوصل يعترف له بأنه سدد ما عليه. عندئذ يذهب الجنود من عنده. هذه صورة من صور الحكم الإمامي. نوع آخر: إذا تمرد الفلاح أو خالف ترسل مجموعة من الجنود ليتسلطوا على القرية بكاملها، وليعيشوا فـي القـرية على نفقة الفلاحين. كانت جميع القرى المجاورة مجبرة على تحضير الطعـام وتقديمه للجنود إلى المركز الموجود في القرية، أو يبقي الجنود في بيوت الفلاحيـن يعيشـون علـى نفقة هؤلاء الفلاحين، بينما وظيفتهم حفظ الأمن وجمع الـزكاة. وترسـل الأموال التي كانت تجمع من البيوت بواسطة الجنود إلى خزانة

الإمـــام لأنهـــا زكاة المسلمين، وعليهم أن يؤدوها إلى إمام المسلمين ليصرفها في المصـــارف التي شرعها الله. إذ لا أحد أقدر على صرف هذه المصارف ولا أحد أدرى بالحاجـــات مـــن الإمام، فهو الأولى بأن تساق إليه الأموال. فكانت الأموال تساق من أنحاء اليمن بهذا الأسلوب وعلى هذا الشكل. ويتوزع حكام الإمام ونوابه أيضـــا لممارســـة الرشوة والاختلاس. كانت الرشوة موجودة وشائعة لأن المرتب بسيط، وكل مسئول يريد أن يضمن مستقبله ويبني له منزلا في صنعاء.

بـــدأ الإنسان يتألم من هذه الصور الظالمة في ممارسة الحكم. لم يخطر ببالنا الإمام. كنا نشاهد كل شيء يقترفه العمال والحكام ويستفيدون منه. وبقينا على هذه النظرة إلى أن أتى الإنجليز.

س ـــ إلى أي سنة تقريبا؟

ج ـــ بقيـــنا على هذه الوتيرة إلى سنة ١٩٣٢. كانت الأمور تجري في اليمن على هذا الشكل وأنا على هذا اليقين بالنسبة للإمام.

س ـــ ما نوع المدارس التي كانت في زبيد؟

ج ـــ كانـــت علـــوم الشريعة واللغة العربية تدّرس في عدة مدارس في زبيد، مـــنها ربـــاط الأهدل، ورباط البطّاح، والمدارس متعددة في جامع الأشاعرة، وفي الجامع الكبير. كان هناك عدة مساجد. وكانت الدراسة تجري في المساجد.

س ـــ من هم المدرسون؟

ج ـــ كـــان المدرســـون مـــن العلماء المشهورين. بنو الأهدل أسرة مشهورة بالعلمـــاء فـــي زبيد. يكادون أن يكونوا هم العلماء وأئمة الشافعية في اليمن. وكان العلـــم منحصرا فيهم. محمد إسماعيل الأهدل من مشائخنا. فبيت الأهدل بيت علم. ويوجد أيضا بيت الإنباري، وبيوت أخرى كثيرة مشهورة مثل شهرة بيت الإنباري، بيـــت الســـالمي، وبيت البطاح من مشاهير العلماء. يتوارثون العلم من أيام مؤلف القـــاموس، الـــذي الفه في زبيد، مجد الدين الشيرازي، أعظم موسوعة عربية ألفها الشيرازي في مدينة زبيد.

س ــ أين كان الطالب يقيم هناك؟

ج ــ كانت إقامة الطالب في الرباط. كانت توجد هناك حُجرات فيها أسرة في غــرف عديدة. وقد كان هذا سببا مفرحا يجعلني أذهب إلى زبيد. كانت الأسرة من خشــب ومــن سعف النخل. كانت زبيد مشهورة بصناعة الأسرة والنجارة وصنع الحبال التي كانوا يشبكون بها الأسرة ويتفننون فيها بحيث أنك تجلس على السرير بــدون الفرش، يعني يبرمون الحبال بطريقة عجيبة، وكلها من سعف النخل. فتجد الطــلاب ينامون هناك ولهم مقررات من الأوقاف للمعيشة. إذ توجد في زبيد قاعدة تقضي بأن أي شخص يموت فرد من أهله، يعود كل طعامه صباحا وظهرا ومساءً لطلبة العلم. فتجد عند كل طالب علم الكميات الكافية من الأكل الذي كان يأتي مما تأكل منه تلك البيوت.

وكــان الغذاء في زبيد حسنا. كانت اللحوم رخيصة وكذلك العسل. يعني أنها كانت مشهورة بالرخاء. فيها أنواع كثيرة من الثمر. تبدأ الدراسة من منتصف الليل، قبل ساعتين من بزوغ الفجر. يظل طلبة العلم ساهرين:

مــن نفســه شــريفة أبــية	**يــربأ عــن أمــوره الدّنــية**
ولــم يــزل يســعى إلــى المعالي	**يســهر فــي طلــبها الليالــي**
ومــن يصــطبر للعلم يظفر بنيله	**ومن يخطب الحسناء يسمح بالبذل**
ومن لم يذل النفس في طلب العلى	**يســيرا، يعش دهرا طويلا أخا ذلّ**

لذلــك يبذل الطلبة أنفسهم من أجل طلب العلم، ويقبلون قدمي الشيخ وركبتيه، ويتبركون بمسح قدميه. وكل ذلك من أجل أن يقرأوا عليه.

كــنا نــأخذ الكتب معنا، "أبو شجاع وشرحه"، والبعض يجلس بعد أن يصلي. يتوضأ كل واحد منهم ويصلي. ثم يتحلقون حول شيخهم ويبدأ الطالب بالقراءة "بسم الله الرحمــن الرحــيم. كــتاب الطهــارة. والماء أربعة أقسام" والشيخ يهز رأسه. والطالــب يقــرأ بدون أن يشرح له الشيخ أية كلمة. كان الطالب يذاكر في النهار ويغيّب الشرح مع زملائه. لا يأتي إلى الشيخ إلا لنيل الشهادة فقط.

س. وما هي الشهادة؟

ج. هـــي الإجازة. كان على الطالب أن يحفظ القاعدة حفظا، أما التطبيق فغير وارد. يـــبدأ الطالـــب في القراءة ويتلوه الآخر إلى أن تطلع الشمس والشيخ جالس يســـتمع إلى القراءة فقط. ولا توجد أية مناقشة بين الشيخ والطالب. ويظل الطالب يقرأ سنة وسنتين أو ثلاث سنين. هذا بحسب ذكائه، تحدد له كتب معينة. فإذا انتهى منها يصبح أحد العلماء وتعطى له الإجازة من الشيخ. وهذه الإجازة تمنح له حرية التعلـــيم، وأن يـــروي عـــن الشيخ كل ما قرأه عليه أو سمعه منه، أو إجازة رواية ما تجوز روايته حتى لو لم يقرأ على الشيخ بعض الكتب. مثلا، قد يقرأ عليه بعض الكتب في الفقه والنحو، ولكن لم يقرأ عليه تفسير القرآن ولا كتب الحديث، فيقول له الشـــيخ أجزتك بكل ما تجوز روايته ونقله من معقول ومنقول. وينتهي الأمر بأخذ الإجازة. وقد جمعت أنا الكثير من الإجازات من العلماء. وحتى حين يموت العلماء ـــ أي أولـــئك الذين يعطون الإجازات ـــ يذهب الطالب إلى الحج ويجد أحد علماء العراق فيطلب منه الإجازة ويحصل عليها. يجد عالما من المغرب مثلا فيطلب منه الإجـــازة، ويجد عالما من الهند فيطلب منه الإجازة، وهكذا، حتى تجوز له الرواية والجلوس للتدريس. وهكذا حتى الجنين في بطن أمه يمكن أن تلحق به إجازة.

وبذلك أصبحت أنا، بعد أن جمعت عددا من الإجازات، من أكابر العلماء لأني حصـــلت على إجازات عديدة. وكمثال على هذه الإجازات، توجد في كتاب "النفَس اليمانـــي" إجازة القضاة أبناء الشوكاني ، وهو كتاب كامل للســـيد عبد الرحمن بن ســـليمان الاهـــدل، روى فـــيه عن مشايخ الإجازات وسلسلها في مجلد واحد غير مطـــبوع (طـــبع بعـــد تســـجيل هذه المذكرات)، لأن كل الكتب في اليمن ما تزال مخطوطة. مدينة زبيد مليئة بالكتب والمكتبات، لا يهتم بها إلا الأشخاص الساهرون علـــى تقليبها، تجدهم ساهرين عليها ومعتنين بها. وكما ذكرت سابقا، كان الطلاب يـــنامون فـــي المساجد أو في الرباط. يحصل البعض منهم على بعض النفقات من أهلهم. مثلا، كان يعطى لي ريال فضي في الشهر لنفقتي.

بقيت الأمور على هذه الحالة في اليمن. كانت وظيفة الحاكم أن يجمع الأموال من الشعب ليصرفها في الوجوه المستحقة. يعطي منها مبالغ محدودة للجنود، ولكن الجــنود والموظفين يعيشون أيضا على نفقة الشعب أي يضاف عبء الانفاق عليهم إلى جانب عبء الضرائب. وبينما تكون الضرائب التي تفرض فوق طاقة الشعب، فمــن أيــن يأتــي المواطنون بالضرائب؟ هاجر اليمنيون بكثرة إلى الخارج، إلى الحبشـــة، وإلـــى السودان وإلى أمريكا وغيرها من البلدان. وكان الإنكليز في عدن يســتوردون الأيــدي العاملـــة اليمنية لأنها رخيصة، ولا تعرف حقوق العمل ولا شروطه. بل كان اليمنيون يفرحون عندما يحصلون على هذا الدخل الذي لا يخطر علـــى بالهم. وكانت البنوك موجودة في عدن، كما كان يوجد أيضا وكلاء للبحارة الذين يعملون في الخارج. وهكذا ترد التحويلات عن طريق الوكلاء الذين يقومون بالبحــث عن الأهالي في القرى، أو يرسل من لهم تحويلات رسلا إلى عدن، لأنها قريــبة من مناطق سكنهم، ويسمونه الطبَل، يعني الذي يذهب ويعود. وهكذا كانوا يذهبون من القرى للعمل في المهاجر أو في البحر والنساء منتظرات لما يصل من النقود. وتظل المرأة ربما عشر سنين وربما أكثر محرومة من زوجها وهو هارب من جنود الإمام.

بعــض النســاء كانت تريد زوجها لا المال. بدليل إنه لما رجع النبي من بعض غزواته، جاءت امرأة تسأله: ما فعل أبي؟ قال لها: أستشهد. قالت: البقاء فيك يــا رســول الله. ثم قالت: وأخي؟ فقال لها: أستشهد. فقالت: البقاء فيك. ثم سألت: وزوجي قال لها: أستشهد، فصرخت وولولت، فقال رسول الله: "إن الزوج من قلب المرأة بمكان".

س ــ ما هي وظيفة المرأة هناك؟

ــ تذهــب تحتطــب من أسفل الجبال، وتنقل ما جمعته على رأسها أو على ظهــرها ، وتــنظف البيــت ، وتطعم البقرة، ويقوم الرجل خارجا من كيس النوم لا يعرف العمل. كيس النوم لأنهم في اليمن لا يعرفون الخيام. كانوا يعملون أكياسا مــن القماش، ووقت النوم يتجرد من ملابسه ويدخله ثم يربطه على جسده. عندما

يسافر اليمني، يسافر وكيسه معه، أينما حل دخل الكيس. لكن بعض اليمنيين انتقلوا إلـى المهجـر. والبعض منهم استوطنوا وتزوجوا هناك. كانت عدن أقرب مهجر. وكان سبب هجرتهم الهرب من سوء الأوضاع، ولأنهم متطلعين إلى الحياة.

وبقينـا علـى هذه الوتيرة حتى سنة ١٩٣٢، وأنا أدرس للميتين في المقابر. والـناس يدعون ويتوسلون بالموتى ويتكحلون بأقفال توابيت أولياء الله المقبورين، لعـلاج من يصاب بالرمد. عندما يعتري الإنسان مرض شديد يسمى الحمى الثالث (أي تـتردد كل ثلاثة أيام)، أما حمى الرابع (كل أربعة أيام) فيسهل علينا علاجها بكـتابة "عزيمة". لكن بعض المرضى يذهب إلى قبر من قبور الأولياء المشهورين ويحمـل معه ذبيحة ويرقد على قبر الولي ويشفى. بهذه العقلية وبهذه الأفكار عاش الإنسـان فـي اليمن إلى سنة ١٩٣٢. وكما ذكرت لكم، بدأت الحرب بين الإنكليز واليمن في سنة ١٩٢٧، وبدأت الطائرات تظهر فما الطريق لمقاومتها؟ أمر الإمام أن يقرأوا سورة الفيل في المساجد، والتي تقول: [ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجّيل. فجعلهم كعصف مأكول]. إنني لأذكر أننا دعونا الناس وقرأنا البخاري، لأن كتاب البخاري ما قرئ في بلد إلا وأذهب الله عن سكانها الخوف والحزن. فدعونا الناس وبدأنا بقراءة البخاري. كان أخي مجندا ومحاربا مع الإمام ويحكم منطقة في حـدود الإنكلـيز. كتبنا له حينما تشاهدون الطائرات تحلق أقرأوا قول الله سبحانه وتعالـي [ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن. ما أنزلهن إلا الرحمن ...]. كان أخي مستنيرا نوعا ما. كان اليمنيون يأتون من عدن متفتّحين، فكانوا يتصلون به ويعطونه الجرائد، فكان يقرأ ويتفتح.

س ــ ما اسم أخيك؟

ــ أخي الكبير علي، أستشهد في الحرب اليمنية المصرية في الستينات. كان يأتي إلى البيت يحمل الكتب وفيها التصاوير (الصور). وكان أبي متدينا ومحافظا، وكان سعيدا لأنه رزق عالما في بيته، يأتي الناس ويطلبون العلم والحكمة في منزلنا بعـد أن كـنا نحـن نبحث عن العلم. كنا في بيئة متدينة. وأتي أخي الأكبر ومعه

الجرائد وفي الجرائد صور لا يجوز بقاؤها في البيت. لأن الله سبحانه وتعالى يقول للمصورين يوم القيامة أحيوا ما خلقتم. كما لعن الله المصورين.

مرت هذه الفترة ومن ثم جاءت الحرب اليمنية السعودية. ولما جاءت الحرب اليمنية السعودية انهزمت قوات الإمام يحيى أمام القوات السعودية بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الذي سيصبح فيما بعد الملك فيصل. وأخذت أفكر كيف أنتصر السعودي علينا وكيف هزم الإمام؟ وأنا في هذه المرحلة وقع تحت يدي كتاب عنوانه "هدي الرسول" لمحمد أبو زيد، الذي كتب له مقدمة يقول في أولها: ما أعسر الدين في كتب الفقهاء. قرأت الكتاب بتمعن.

س. ماذا قال فيه؟

قال إن الإنسان يظل طيلة أيام حياته ينتقل من كتاب إلى كتاب، أما النبي فعلّم الناس ببساطة وقال كذا وكذا. ماذا نفعل نحن في مدارسنا؟ وماذا يفعل الكفار وهم أعداء الرحمن في مدارسهم؟ نحن نتنازع حول جلود الميتة وطهارتها وهم يدخلونها المعامل والمصانع. نحن نتجادل حول تأبط شراً وعمرو بن معدي كرب وفي التركيب المزجي وهم يركبون الأسلاك والمدافع. نحن ننقب في مسائل الحيض والنفاس وهم ينقبون تحت البحار، وبعد ذلك يقف خطيبنا على المنبر في المسجد ويقول "من صام ثلاثة أيام من رجب غفر الله له ذنوبه". كان وقع هذه الأفكار على نفسي مثل الثقاب، لأنني كنت قد مررت بأزمة. فقد قضينا سبع سنوات نقرأ كتب الفقه، ٧ سنوات ندرس، وكلنا نقرأ نفس الكتاب ونفس الأبواب. وحين استوعبت هذه الأفكار الجديدة كانت منطلقا لأن نتوقف عن الاقتصار على كتب الفقه لنقرأ كتب السنّة النبوية. وحين علم المشايخ في زبيد أننا خرجنا على طريقتهم وأننا بدأنا نقرأ ونتحرر ونجدد في كل ما كنا نقرأه من خرافات ومن جمود، قالوا إن الرجل قد أصابه مس من الشيطان. أرسلوا لي رسولا يدعوني لأن أنزل إليهم في زبيد. وذهبت إليهم في زبيد، فقالوا لي: ماذا أصابك، وما حل بك؟ وبقيت أجادلهم لأني اعتنقت مبدء جديدا. فقالوا إنهم سيقرأون القرآن علي لأنني ولاشك قد أصابني مس من الشيطان، أو أن جماعة أخرى فتنتني عن ديني، فلا بد أن ندعو

الله عليهم. لكنني صممت على التمسك بما كنت قد اقتنعت به، ورجعت إلى منطقتي دون تغيير عقيدتي. وبينما أنا أخوض في هذا التيار بانتقالي من مرحلة التقليد إلى مرحلة أخرى أصح، ولكن بقى عندي التمسك بالدين، جاء إلى عندي الأستاذ محمد أحمد حيدرة، وهو شاب يمني تعلم في عدن وفي الخارج. تعلم الجغرافيا والتاريخ. جاء به أخي من عدن لكي يعلم التلاميذ الذين يدرسون هذه المواد في حين أعلمهم أنا الأناشيد. جاء هذا الأستاذ ودخلت إليه ورأيته بلباس لا يدل على أنه عالم وإنما سوقي. سلمت عليه ببرود وعرفت أنه الأستاذ محمد أحمد حيدرة، ثم أمرت الأولاد بأن يتحضروا في المسجد، وكانوا حوالي ٧٠ تلميذا اشتغل بتعليمهم ليل نهار. فتبين لـي فيما بعد بأن الأستاذ يعزف على العود، فقلت بأنه فاسق ويجب طرده من البلد لأن بقـاءه سيجلب كارثة على البلد وغضبا من السماء، وبالتالي لا بد من طرده. ولكـن أخـي لـم يقبل بطرده بل صمم على بقائه. كان الناس قد أخذوا يتفتحون بواسطة الصحف. وبقي الأستاذ حيدرة يعلم مادتي التاريخ والجغرافية. ومرة سمعته يعلمهـم أن الأرض كروية، وهنا جن جنوني ولم أعد أستطيع الصبر، كيف يقول ذلـك والله سبحانه وتعالى قال: "والأرض بسطها للأنام". وهذا الزنديق الكافر يقول إن الأرض كـروية وإن الشـمس ثابتة والأرض هي التي تدور. كيف ذلك؟ أخذ الأولاد جبرا إلى المدرسة وأخذ يعلمهم. ثم بعد ذلك كان يعلمهم الرياضة البدنية ١، ٢، ٣، بدلا من أن يدخلهم إلى المساجد ليعلمهم العبادة. فقلت للآباء يجب طرده من المدرسة، فما العمل؟ منعوا أولادهم من الذهاب إلى المدرسة. فتم إرسال الجنود إلى بـيوت الآبـاء، لأن العـادة كانت أن كل من يرتكب مخالفة يرسلون له العسكري فيسـكن في البيت وينزل في أحسن غرفة في البيت. هكذا كان الحكم، وهكذا فعلوا بالآباء لعدم حضور أبنائهم للدراسة. بعض الأولاد هربوا فأخذوا آباؤهم إلى السجن إلـى أن يـأتوا بأبـنائهم إلى المدرسة. بعض الأولاد استهوتهم الدروس الجديدة، والـبعض استنكروا هذه الدروس والأفكار ورفضوها والبعض الآخر استجابوا لها. كتبنا للسيد علي الوزير، نائب الإمام في لواء تعز آنذاك، وشرحنا له القضية. كان حاكم الشريعة الموجود محمد بن علي المجاهد من أنصاري. علمنا مرة بأن الأستاذ ذهب ليعزف العود هو وجماعته، فصدر القرار باعتقاله. سلم للعامل الموجود، فقال

الحاكم: ما القصة؟ قال العامل: والله إن لم يعاقب لا أبقى في هذا البلد ساعة واحدة، ولا أجلس في أرض يعصى الله فيها. يعزف العود! هذا غير ممكن. سفّروه إلى عدن ورجع الأولاد إلى المدرسة. وابتدأت النشاطات في المدرسة من رياضة وكشافة وأناشيد. حتى الحكومة كانت تقرر لهم الأناشيد مثل:

"اعتزل ذكر الأغاني والغزل"

وكان الأستاذ حيدرة قد أتاهم بنشيد:

"الوطن الوطن يا شباب اليمن ما له من ثمن غير أرواحنا"

ولحنه تلحينا مناسبا. كنت بيني وبين نفسي مسرورا من ذلك ولكن لا يمكن أن أتراجع أمام الناس الذين حرضتهم وأن أغير رأيي بسهولة. أما في قرارة نفسي فكنت متضايقا من الوضع وكنت مستروحا لما يفعله الأستاذ حيدرة وأريد اللعب وقضاء الوقت معهم، لأنني كنت متعبا من المضايقات. فالأستاذ منهك، يمشي رويدا رويدا كأن العلم واقف على أرنبه أنفه خوفا من أن يسقط. أصبح المقصود عندي هو التطلع ومعرفة الجديد، تعلم الجغرافية والتاريخ وغير ذلك. وحين بدأت وقع في يدي كتاب طبائع الاستبداد لعبدالرحمن الكواكبي، وكتاب هدي الرسول لمحمد أبو زيد. كنت قد انتقلت من كتب الفقه إلى مرحلة السنة، إلى الفكر الإسلامي الخالص. الدراسة الأولى كانت دراسة إسلامية ولكن محشوة بالخرافة. فانتقلنا إلى مرحلة الديانة الإسلامية المجردة من الخرافة. وجاء كتاب طبائع الاستبداد وكتاب هدي الرسول، وإذا بنا ننتقل إلى الحكم والسياسية، إلى طبائع الاستبداد وطبائع المستبد. المستبد هو الذي يريد أن يضع قدمه على أفواه الملايين، ويريد من الأمة أن تعيش كبقر الجنة لا يطمحون ولا يرمحون. لا يريد أن يعرف الشعب كلمة لا إله إلا الله، بل يريد أن يخضعهم لإرادته. هذا وصف المستبد. وكانت الشعلة الثانية ما ذا أعمل؟ من أين لي الكتب؟ كان الأستاذ حيدرة قد جلب معه الكتب العديدة وتركها وذهب. ابتدأت أقرأ فيها، وإذا بكتب التاريخ فيها شرح لحاضر العالم الإسلامي. بقيت أقرأ وألتهم الكلمات وأغيّب الفصول غيبا، مثل غرائب الغرب لمحمد كرد علي. كنت أغيب الفصول غيبا عن تطورات الشرق والغرب. أول شيء قمت به

أن عملــت لإعــادة الأستاذ حيدرة. أعددت له المنزل وحشدنا الطلاب وأطلقنا لهم الحرية. وقمت أنا بتدريس اللغة العربية بأسلوب حديث.

س ــ كيف استقبل الناس هذا التغيير؟

ج ــ حدثت مقاومة لنا، ولكن التغيير عند ما جاء من "النبي" كان وقعه خفيفا عليهم، لأن النبي كفر بآياته الأولى والناس معه. بدأت أقنعهم. وهم بدورهم أخذوا يقتنعون. كنت أدخل المساجد وأتحدث معهم. وبدأنا نهيئ الأمور لهم شيئا فشيئا وإذا بمدرسة الحجرية تنشأ وتؤثر وتشتهر. ثم أنشأنا مكتبة، وبدأت الأمور تسير رويدا رويدا، إلى أن دخلنا في صراع مع الحكومة. كان لا بد من أن يحدثوا لنا فتنة، ولا بــد مــن أن يفصــلوا هذا البلد كما فصل لبنان وسوريا. جاء أحد أبناء الإمام إلى الحجرية (الأمير القاسم بن الإمام يحيى حميد الدين الذي زار الحجرية ومعه الأمير علي الوزير في سنة ١٩٣٥م) وقال: "ذبحان هذه ستكون كلبنان". وذهب إلى الإمام الذي أمر بسحب الأستاذ حيدرة فأخرجوه حالا، وأتوا بمعلمين آخرين إلى المدرسة. بعد هذا الحادث سحبت نفسي وقررت أن أذهب إلى الحج. وكانت بعثة مصرية قد جــاءت إلى اليمن وزارت بعض مناطق اليمن ووصلت إلى المدرسة وأعجبت بها وكتبت عنها. سمعوا التلاميذ يخطبون ويدردشون وأعجبوا بهم.

وكانت الحرب السعودية اليمنية قد جاءت سنة ١٩٣٤، وبدأت الأوضاع تتغير وبــدأت الكتــب تصل أيضا. أثناءها قررنا تكوين جمعية هدفها شراء الكتب وغير ذلك، فأوحي للإمام يحيى بأن هذه الجمعية ضد الحكم.

س ــ هل أسميتم هذه الجمعية؟

ج ــ نعــم، دعوناهــا باسم الجمعية اليمنية. أخيرا رحلت إلى الحج في سنة ١٩٣٦، ومــن الحــج إلــى مصر. عند ما وصلت إلى مصر كان في خيالي بأني سأدخل الجامعة المصرية. لأن أسلوب الأزهر وتعليمه يشابه تعليم زبيد. لهذا أردت أن أدخــل الجامعــة المصرية. ولم يكن عندي أي علم بمقدمات الدخول. وصلت واتصــلت بسليمان حزين لأنه كان يرأس البعثة إلى اليمن أيام الملك فؤاد. فأخبرته بأننــي أريد أن أدخل الجامعة؟ قال لي: هل لديك شهادة البكالوريا؟ قلت له: لا. ثم

سأل عن الشهادة الثانوية ولم تكن موجودة، وأخيرا قال لي: لا بد أن يتعلم الطالب اللغات الأجنبية، وأن يكون لديه الشهادة الثانوية أيضا لكي يقبل في الجامعة، لكنني أفضل لك الأزهر لكي تأخذ الشهادة العالمية من هناك. ذهبت إلى الأزهر. استقبلت هـناك وامتحنوني. وكان الامتحان قراءة آيات من القرآن. أخذت أقرأ، ولما قرأت دهشوا وقالوا ما شاء الله، بارك الله فيك. قالوا لي: هل تعرف اللغة العربية والنحو! قلت لهم: أعرف ولكن ليس مثلكم. فقالوا لي: يجب أن تنتسب حالا، وسجلوا اسمي ودخلـت الأزهر. هناك في الأزهر يوجد قسم يسمونه القسم العام، تستطيع فيه أن تأخذ الشهادة العالمية خلال سنة. تسأل عن المواد التي ستمتحن فيها ومن ثم تحضر نفسك للامتحان، ويعطوك الشهادة العالمية. اندمجت في الأزهر بالمجتمع.

ودخلـت روح المقاومـة للوضع في اليمن. كنت قد تشربت بها وخرجت من اليمـن لأن الحكـام فيها لم يمكنونا من العلم، ولأني كنت قد عرفت الاستبداد الذي يسود في البلاد. وكان يتصور لي بمجرد أن يخرج الإنسان من اليمن سيكتب عنه أبو الحسن، وأبو الحسن هذا هو محمد علي الطاهر، فلسطيني من يافا، كان يصدر جـريدة اسمها جريدة "الشورى"، أصدرها في يافا سنة ١٩٢٤، وانتقل بها فيما بعد إلـى مصـر. وكانـت الجريدة الوحيدة التي تصل إلى كل الأقطار العربية وتنشر الأخـبار. وكان الكتّاب فيها من كبار الكتاب، ومنهم الأمير شكيب أرسلان، وسعد الله الجابـري، وأميـن الحسيني. كانت هذه الجريدة تصلنا إلى اليمن ونتصور أن الدنـيا كلهـا أبو الحسن. كنا نخرج ونشتكي له. أحيانا كان ينشر في جريدته نقدا للأوضاع في اليمن ولأوضاع الإمام، ويقول إن اليمن بحكم الإمام متخلف ومتأخر. كان اليمنيون في المهجر يكتبون إلى أبو الحسن ويستقدمون الجريدة. وعند ما كانت هـذه الجـريدة تصل إلينا كنا نرتاح لها، ويخرج الإنسان من اليمن يسأل عن أبو الحسـن، ويشرح له حال اليمن. لم يكن خروجي رغبة في الإقامة بمصر ولا من أجل العلم، وإنما من أجل اللقاء بأبو الحسن. وكان الأزهر عبارة عن مأوى.

وزرت أبـو الحسـن في مكتبه، وحين دخلت إلى مكتبه كان عنده رجال من المكافحيـن الأولين من أجل استقلال الجزائر وتونس. وكان الرجل يتمتع بشجاعة نـادرة. ولذلك تنتشر جريدته خارج مصر. وكانت الحملات تشن على الجريدة من

الإنكليز والفرنسيين لإيقافها. فكان الإنسان يتصور أية قوة وراء هذا الرجل تعطيه هذا القدر من المهابة والتأثير!

دخلـت إلى المكتب. وكنت أرى كيف يتحدث الناس في خارج اليمن. فأنا من اليمن، وفي اليمن كنت أعتبر من العلماء الكبار، ولكن في قرارة نفسي كنت أؤمن بأنني مـن أبناء المجتمع، أو أنني ينبغي أن أعمل من أجل حياة المجتمع. فبقيت أجلس بتواضع. كتب في جريدته بهذه المناسبة يقول: زارنا أحمد محمد نعمان من ذبحان. وصادف أنني في وقت سابق على هذه الزيارة جمعت تبرعات لفلسطين من أشـخاص وأرسـلتها إليه ووقعت الرسالة باسم أحمد محمد نعمان ـ اليمن. ويبدو أنني أضفت "ذبحان" أيضا. فتذكر وسألني: أنت من ذبحان؟ قلت له: نعم، قال لي: أهـلا وسـهلا. وكانوا يدخلون، الأمير شكيب أرسلان وغيره، يجلسون كلهم وأنا أجلـس في مكان متواضع، وأستمع إليهم وعماذا يتحدثون وماذا يقولون، ولم أتكلم بشيء، أخشى أن أتكلم بكلام لا يناسب الوضع. ولكن عند ما أخذوا يتناقشون أردت الكـلام، وأحسسـت أننـي إذا تكلمت العامية لن يفهموا عامية اليمن، وأنا لن أفهم عاميـتهم، فتكلمت بالعربية الفصحى. قالوا لي: هل هذه لغة اليمن. قلت لهم: نعم، قـالوا: مـا شاء الله. اليمنيون الذين قرءوا اسمي في الجريدة، وكنت مشهورا في اليمـن بأنني علامة كبير، كتبوا إلى أبو الحسن يقولون له إنهم بعد ذلك لن يكتبوا للجـريدة عـن اليمن شيئا، لأن عندك العلامة أحمد محمد نعمان، خذ أحوال اليمن مـنه. فلما أتيت إليه حسب العادة، قال لي: يا نعمان عرفناك، قم إلى هنا، قلت له: حيـث مـا أنتهى بك المجلس فأجلس، قال: أبدا. هنا مجلسك. بقيت أجلس مستمعا دائمـا، وكان الزعماء الكبار يأتون. وكان هو ديكتاتورا يقعد على كرسيه لا يتكلم أحد غيره، يفتتح الكلام والناس يستمعون بصمت، وكنت أراقبه كيف يقابل من يتكلم معه ويقول له: "اسكت، لا تتكلم". هكذا بهذه اللهجة القاسية كان يتكلم معهم والناس صـامتون. إلـى أن جـاء يوم إلى عنده محمد الغانم ويوسف مشاري. فلما أنتهى الموعـد همّ أحدهما بالرحيل، فقال له: "أتخرج! دخلت بإذني وتخرج بإذني". هكذا كان دكتاتورا على الكبير والصغير.

س ــ من الذي كان يموله ؟

ج ــ حصــل على عطف كبير، وانتشرت جريدته انتشارا كبيرا. وكان بعض الحكــام العــرب مذعورين من أبو الحسن لأنه يجابههم وذو صراحة كبيرة. كان يعاقب بشدة، لذلك عند ما زاره محمد الغانم ويوسف مشاري، أمسك يوسف مشاري وقال له: "لماذا تضحك يا قليل الأدب ، يجب أن أعرف لماذا تضحك ؟ " قال له : "يا سيد أبو الحسن إنني أضحك لشيء بسيط" ، قال له: يجب أن تقول ، فقال رفيقه محمــد الغانم : "أنا سوف أخبرك" . خرج أبو الحسن برهة فقلت ليوسف مشاري : يا مجنون، الذي يدخل إلى هنا يودع حريته في شارع عبد العزيز. فأخذا بالضحك مــرة ثانية، سمعهما أيضا فقال لهما: الآن أريد أن أعرف على ماذا هذا الضحك. شــرحوا له الموقــف. أما أنا فقلت لهم: كل من جاء إلى عند أبو الحسن يجب أن يحــترم هذه الندوة لأنها ندوة العرب. فقال: عفى الله عن نعمان. وعند ما أصبحت معه بمفردى ، قال لي أبو الحسن : "ما هذا ؟ أتقوم بالدعاية ضــدى من مكتبي ؟ أنا لا أتحمل ذلك". قلت له: فلننس هذا الموقف العارض.

ومــنذ ذلــك الوقت بدأت أكتب القصص عن أوضاع اليمن فيقوم أبو الحسن بنشرها في جريدته. وعرف في اليمن بأنه هو الذي ينشــر هذه القصص وفرحت أنــا بذلك لأنه يجنبني وأسرتي عقاب الإمام ومسئوليه في المنطقة. كنت أكتب في الصــحف وأعــود إلــى أبو الحسن استمع لما يدور من مناقشات. صادفت الأمير شــكيب أرســلان هناك وصاحبته لفترة. كانت يده ترتعش حتى عجز عن الكتابة. وكنــت أجدها حاجة عظيمة جدا عندما يقترن اسمي بالأمير شكيب أرسلان، أمير البيان. كان يملي علي رسائله وأنا أكتب، يرى الخط السليم ويسرٌ بي. وبقينا هكذا مــــدة . وبقيت في الأزهر متهــاونا في الدراســة إلى أن جاء موعد الامتحــان وأنــا مشــغول بالعمل مع أبو الحسن. امتحنونا لنيل الشهادة الأهلية ولم أنجح في الامتحان لأنني لم أحفظ دروسي. فقال لي أبو الحسن: لماذا لم تكلمني قبل أن تذهب إلــى الامتحان، قلت له: لماذا؟ قال: أنت تريد الشهادة بالدراسة أم بالتوصيات؟ ثم قــالوا لي يجب أن تذهب إلى محمد عبد اللطيف دراز، وصلنا إلى هناك، فأعطونا المواد وحضرناها.

وغادر الأمير شكيب أرسلان إلى جنيف. وعند ما وصل إلى جنيف أرسل لي رســـالة يقول فيهـا يا ولدى أريد أن تصـل إلى هنا لكي تسـاعدني في الكتابة وسأخصـص لـك عشر جنيهات شهريا مكافأة لك. وكان ذلك في سنة ١٩٣٩ قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. ثم قال لي : ستقوم بتعليم أولادى اللغة العربية وفي الوقـت نفسه ستتعلم هنا اللغة الفرنسية. فقلت لنفسي إذا، يجب أن أخبر أبو الحسن بأننـي أريد أن أكمل امتحاني. أكملت الامتحان وأعطوني الشهادة العالمية وأصبح بإمكانـي السفر إلى سويسرا. وحين وصلت إلى السفارة السويسرية أعطيتهم جواز السفر، وكان عبارة عن ورقة كتبتها بنفسي، وليس من الأوراق التي يعطيها الإمام باسم جواز سفر. رتبت الجواز لنفسي . ولكن لم يقبلوا هذا الجـواز في السـفارة السويسـرية، لأنه ورقة غير معروفة. ذهبت إلى أبو الحسن وأخبرته بأن السفارة السويسـرية لم تقبلني، فقال لي: كيف يقبلونك وأنت تحمل هذه الورقة وليس لديك جواز سفر؟ ولم أكن أعرف ذلك من قبل. فما قدمته للسفارة كان مجرد ورقة بخط يـدي، حتى الإمضاء أمضيته أنا. لهذا السبب لم يقبل. بقيت في مصر للدراسة إلى أن قامـت الحـرب العالمية الثانية ونحن في مصـر. ولما ابتدأت الحرب قال لي أبـو الحسـن: حتى لا تشعر بالضيق سأقدم لك كل ما تحتاج إليه من مصاريف. وبالفعل، كان صاحب وفاء لا يستطيع أحد أن يتصور ذلك. إذا صحب إنسانا يقاتل مـن أجله قتالا ويعادي الناس جميعا. يروي لك التاريخ كأنه يقرأه. لقد قام بأعمال عظـيمة فـي جريدته. وأخيرا خرج من مصر عند ما قامت الثورة المصرية وفقد حريته وحرية جيله. كان يأتيه من الجيل القديم من يجتمعون عنده ويزورونه. وأنا مـن أصحابه. وقد مضى على معرفتي به اليوم نحو ثلاثين سنة (زمن تسجيل هذا الحديـث سـنة ١٩٦٩)، كنت أتردد عليه دائما، وإذا انقطعت عنه يوما يقلب الدنيا علـي. ذات يوم ألح علي حوالي أربع مرات وهم يردون عليه بأنني غير موجود هناك (هذا بعد الثورة في مصر كما يفهم من السياق)، حتى ذهبت أخيرا إليه وقلت لـه الآن آتـي لأزورك مع العلم بأنني في شغل كثير لأن ابني محمد تغيب ونحن مشـغولون بالنقل من بيت إلى آخر، ومجموعة من العفاريت (الأطفال) في حاجة إلـى حـارس خاص فوق رؤوسهم، العفاريت النفاريت هم شياطين البشر. فصفح عني وجلسنا نتحدث.

وفي مصر، بقيت أنشر في الصحف، وحسنت علاقتي بولي العهد الذي أصبح بعــد ١٩٤٨ الإمام أحمد ، وحاول بنفسه استمالتي . وكان يرسل لي بعض النقود لمساعدتي على الدراسة.

س ــ هل كانت زوجتك معك في مصر؟

ج ــ كــلا. كانــت في اليمن هي وأولادي محمد وعبد الرحمن. بقيت ثلاث ســنوات في الأزهر. للمأوى والاختلاط بالمجتمع المصري. أما اللغة الأجنبية فلم أســتطع تعلّمها. ذهبت لأتعلم في المدارس الأجنبية، مدارس برليتس للغات الحية. وكنــت أول مــا وصــلت أتلفظ بكلمات تضحكهم لأنني كنت أريد أن أتكلم اللغة الإنكلــيزية بــاللفظ العربي الفصيح. اقترحوا علي أن أتلقى دروسا إضافية خارج المدرســة. ذهبت إلى مدرس مصري ليعلمني اللغة الإنجليزية. فأخذ يردد الكلمات أمامي مرات عديدة ويعطيني الكلمات لأحفظها، ثم انشغلت بقضايا أخرى.

ودخلــت بــاب الكفاح. جاء الأستاذ محمد محمود الزبيري وهو زميل لي من اليمــن، وصل إلى مصر وظل حائرا لا يعرف ما ذا يفعل. يريد أن يدرس. فجاء إلى عندي إلى الأزهر، وكنت قد أمضيت فترة في الأزهر، فقال لي: أريد أن ألتحق بدار العلوم. قلت له: يجب أن يكون عندك شهادة تؤهلك للالتحاق بدار العلوم. قال: كــيف ذلك؟ قلت: يجب أن يكون لديك شهادة البكالوريا، قال: لم أسمع بهذه الشهادة مــن قبل. على كل حال سألتحق بدار العلوم كمستمع. وهكذا سجلوه في دار العلوم مستمعا. وصادف مرة أن ألقى قصيدة من شعره، وكان إلقاؤه عظيما، فأهداه محمد رضــا الشــبيبي إلى دار العلوم ديوانه الشعري. كان المطلوب من أدباء الدار أن ينظموا قصيدة للشاعر تلائم كتابه، فساهم الزبيري في ذلك. وجاءت قصيدته متفوقة على بقية القصائد، وكانت القصيدة:

كــيف تهدى من أهلها المعجزات	**وهــي مــن نفحة الكرام هبات**
صــــلة العقل للعقــول وما أعظم	**مــا تــنفع العقــول الصــلات**
جدت يا ابن الفرات بالسائغ العذب	**ولـلــنجل مــن أبــيه صــفات**
فاض في مصــر من نبوغــك فكر	**فالتــقى النيــل عنــده والفرات**

فكانت في القصيدة نغمات تستفز، ونظم القصيدة بدون البكالوريا.

وكمـــا ذكــرت لكم، كانت لي علاقة بولي العهد آنذاك، الإمام أحمد فيما بعد. بدأت علاقتي به منذ أن بدأنا في الحجرية نحن والأستاذ حيدرة. كان هذا الأمير بعد الهــزيمة أمـــام السعودية سنة ١٩٣٤ مغاضبا لأبيه، لأن هزيمة جيش الإمام أمام جيش السعودية أحدثت في اليمن ردة فعل أسقطت هيبة الإمام سقوطا يساوي سقوط هيبة عبد الناصر في هزيمته عام ١٩٦٧ في الحرب مع إسرائيل. كنا نتضايق من الحكـــام الذيــن عــندنا في المناطق، فأردنا استمالة ولي العهد لكي نوجد نوعا من التــناقض بيـــنه وبينهم. فكان يراسلنا ويشدد علينا بأن نعلم التلاميذ الوطنية. ومن جملة عباراته أن نبث "الروح الوطنية في نفوس الناشئة، فإن حقوق الدين والوطن كـــادت أن تكـــون غــير معقولـــة، نسأل الله أن ينتشل هذا القطر من هوة الجمود والغفلة". كان يغري الشباب ويستميلهم ويغري الكتاب والأدباء. وبقيت العلاقة قائمة إلى أن أصبح هو أميرا في تعز. فلما وصل تعز سنة ١٩٣٨ سأل عني وعلم أنني في مصر فكتب إلي. فوعدته بأننا سنواصل إصدار صحيفة من هناك اسمها "اليمن الخضـــراء". لأن جــريدة أبـــو الحسن توقفت بعد أن طاردها الإنكليز وأعتقل أبو الحسن.

كـــان مـــن المفـــروض علي أن أذهب كل ليلة عند أبو الحسن وإلا يشهر بي وبصـــحيفتي. كنت أجلس عنده وأقرأ له الصحيفة، وكان يتتبّع القراءة وأحيانا كنت أكتب لـــه عناوين الصحيفة . وهكذا بقيت ملازما لـــه حتى ليلة اعتقـــاله . فاجأني بالمجيء إلى الأزهر وقال لي: أيمكنك أن تستأجر لي غرفة لأجلس فيها؟ فقلت له: وهـــو كذلك. قال: دعنا نلتقي غدا. وبعد أن تركني تلك الليلة أخذت أمشي في الليل راكـــبا على حمار لأنه لم تعد توجد مواصلات إلى تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولا أســـتطيع أن أذهب إلى الأزهر مشيا على الأقدام. فركبت الحمار. وكنت أقول بينـــي وبين نفسي مازحا ليتهم يعتقلونه. وإذا بالبواب يقول لي في اليوم التالي إنهم اعـــتقلوه. ذهبت إلى زوجته أسالها عن الخبر، فقالت أخذوه إلى سجن الأجانب ولم

يستطع أحد أن يقابله. ألحوا علي بأن أعود إلى اليمن بحرا أو برا، وشرحوا لي الأمور، وأن ولي العهد أحمد الذي كنت أكاتبه من قبل قد نحى أولاد الوزير الذين كانوا يحكمون منطقتنا وأستلم الحكم. ذهبت عن طريق ميناء جده بجواز مصري، وحملت رسالة من أبو الحسن إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، لأن فيصل الذي كان أمير مكة في تلك الأيام كان صديقه.

ولما وصلت إلى الحج أتصلت بالأمير فيصل وتحدثت معه عن أبو الحسن، لأنه كان مشهورا في العالم العربي. ورجعت إلى اليمن وخطبت بين الرجال أذكر الحضارة الفاسدة، النساء السافرات، والأمير أحمد يبكي في المحراب من التأثر بالخطبة. وأخذ يشكرني لأنني كنت أشيد باليمن التي حماها الله من الاستعمار ولم ترفع فيها راية أجنبية. لماذا قلت ذلك؟ لأنني فهمت الوضع. قلت ذلك لأستقر. فسلموني إدارة المعارف. أصبحت مدير المعارف. وأقام أحمد في تعز فكان وليا للعهد وحاكما لمنطقة تعز، ويعتبر نائبا للإمام. توليت إدارة المعارف وأنشأت كتاتيب في القرى على أساس البرنامج الذي يحوي تعليم القرآن وما يتعلق بالصلاة من الوضوء والطهارة، ثم محبة الإمام ووجوب طاعته على الناس وموالاته. وهكذا تكاد المواد الدراسية تنحصر في هذا. تعليم القراءة والكتابة لا داعي له. المطلوب من الفلاح أداء الصلاة ودفع الضرائب المفروضة عليه للإمام. كنا نعتقد أن ولي العهد، الذي سيصبح فيما بعد الإمام أحمد، مع تجاوبه معنا ومشاركته في مجالسه في المساجلات الأدبية أننا ربما نستطيع في بعض المناسبات أن نقنعه بإدخال العلوم واستقدام المدرسين من الخارج، وإرسال البعثات. ولكن كان بينهم وبين الخارج وحشة، ويعتقدون أن اليمن إذا فتحت الأبواب للخارج سيكون ذلك مصدرا للثورة على الوضع في اليمن، سيما وأنهم كانوا يسمعون عن مطالبة الشعوب بالديمقراطية والحرية. فكان بعض الشباب اليمنيين يلتقون ويتشاكون فيما بينهم ويسمعون عن التقدم في مصر والعراق عن طريق الصحف التي كانت تأتي خفية عن طريق عدن. ثم بدأ الراديو يظهر ولكن كان محصورا بالإمام، وبولي العهد وبعض المسئولين. وصادف أنه كانت أيام حرب (الحرب العالمية الثانية) والناس يصغون لحديث الراديو عن الحرب. وكانت اليمن بعيدة عن المعركة الحربية لأن الحرب

كانت تدور في الغرب والشرق الأقصى. والتزمت اليمن الحياد في تلك الفترة. وفي هذه الآونة اشتدت المجاعة في اليمن، وكان الناس يموتون من أزمة الغذاء. فاقترح للإمام أن يفتح ملجأ يقوم بإعالة هؤلاء البائسين. وفي الوقت نفسه كانت الضرائب تجمع بالطريقة التي تحدثنا عنها. مرة استأذنت لأسافر من تعز إلى الحجرية. فلما وصلت إلى الحجرية كان الناس يعتقدون أنني لقربي من ولي العهد بإمكاني أن أطلب منه أن يخفف من هذه المظالم والمطالبات من الرعية لأن الناس في مجاعة. وظل الناس يتابعونني. ولما رجعت إلى تعز حاولت أن أعرض للأمير أحمد سوء الحالة، وإذ قد سبقتني رسائل إلى ولي العهد تقول إن الأستاذ نعمان، وكان لقب الأستاذ هذا ثابت عند ولي العهد من هذا التاريخ، خرج ليكوّن جمعية للعمل ضد الحكومة. فدهشت حال دخولي المجلس المعتاد عند ولي العهد لأننا كنا ندخل فنجلس ونظل نتبادل سويا شعر البحتري والمتنبي والمعري. لأن ولي العهد أديب ومعجب بالأدباء في مجلسه. فسأل قائلا: يا أستاذ ما ذا فعلت في الحجرية في الجمعية. قلت لا شيء من هذا أبدا. قال الرجل لا يكذّب أهله. قلت وهو كذلك. حال رجوعي من عنده أرسلت إليه رسالة تقول إنني وجدت الناس لا يفكرون في الجمعيات ولا تدور هذه الأفكار في رؤوسهم، وإنما يفكرون بما يرفع عنهم العذاب والمعاناة من عبث الجنود الذين يتقاضون منهم الضرائب وهم لا يملكون لقمة العيش. إن نصيحتي ورجائي أن تعفوا الناس من الضرائب هذه السنة، لأن السماء شحت بالأمطار، والزرع قليل لأن الناس لم يبذروا شيئا. هذا هو الشيء الذي أنصح به.

وفي نفس الوقت، كان بعض زملائي، مثل الزبيري وزيد الموشكي وغيرهما، يشكون نفس الشكوى لأنهم يشعرون مع الناس بكل هذا. فبدأ الإمام يرتاب على الرغم من أنه كان يوجد بينه وبيننا ود ومجاملات وإعجاب. ولكن حينما تأتي فكرة إصلاح كان ينفر منها نفورا كبيرا، ينفر من أية فكرة إصلاحية أو من إبداء رأي. فظللنا نجتمع مع بعضنا البعض ونتباحث في الأمور، وعماذا نفعل. كانت تقام حفلات بمناسبة الأعياد، وبصفتي مدير المعارف كنت أتقدم وألقي كلمة بين يدي ولي العهد أذكر فيها اقتراحاتي وتمنياتي. ويقف آخر يلقي قصيدة شعرية، فيعجب

بهـــا الأمير. فكانوا يحاولون أن يوموا بالأفكار إيماء من خلال المدح. وعلى سبيل المـــثال، الأســـتاذ الزبيري الذي كان رائد الحرية في اليمن حتى استشهد، قال في مناسبة أحد الأعياد:

العـــيد مـــن بسمات ثغرك يشرق	**والدهر حول جلال عرشك مطرق**
والأرض نـــيرة بوجهـــك تزدهي	**والشـــعب أفـــئدة بحـــبك تخفـــق**
ربـــتك أمـــتك التـــي تـــرجو بما	**صـــنعته مجدا في يديـــك يحقق**
فنشـــأت فـــي أجفانهـــا وقلوبهـــا	**تخشـــى عليك من النسيم وتشفق**
تـــأوي بصـــدر حـــنانها لم تقتعد	**فـــي عابديـــن ولا احتواك خورنق**

حيـــنما يقـــول ربتك أمتك ... وهكذا، يومي بإيماءآت بعيدة. فولي العهد يهتز للشـــعر ويـــتأثر بـــه. لأنه كان يطرب للشعر ويقرّب الشعراء والأدباء إلى جانبه. وكانوا يقضون الأوقات للجواب على الشكاوى التي تصل تشكو المظالم. كان يتخذ مقعده يوميا لكي يتلقى الشكاوى من المظلومين، فتوزع الرقاع كلها على الموجودين ليجيـــبوا علـــيها. وكل يساهم في كتابة الجواب ويتولى ولي العهد التوقيع. ويقوم المـــرافقون الآخـــرون بلف الأوراق وكتابة العناوين عليها لتصديرها (لإرسالها). وهكـــذا كانـــت تمر الأيام والأوقات ونحن منشغلون بتحرير الجوابات الكاذبة على الناس وإرسالها، ونقول لهم اصبروا، اعرضوا مشكلتكم على الحاكم الفلاني وغير ذلـــك مـــن الإجابـــات. هذا هو حال الدولة، وهذه هي أعمالها تجاه الناس. وأخيرا خطـــرت ببالي فكرة. وهي أنه ما دمنا باقين في الداخل فإننا لا نستطيع فعل شيء. وداعبتـــنا العـــروبة ومـــا نســـمع عـــن العالم العربي ومقاومته للاستعمار، وعن الديمقراطية والحرية في سوريا ولبنان والعراق. كل هذا هيج في نفوسنا التساؤل: لمـــاذا لا تكـــون اليمـــن كالعراق. كنا نقرأ في الصحف ونسمع الراديو يقول بأن لا خلاص لليمن دون الارتباط بالعالم العربي. كنا نلتحق بالزعماء والمخلدين. مع العلم أنني عند ما عدت من مصر كان عندي نوع من الانطباع بأن يقتصر تفكيرنا بالإصـــلاح علـــى اليمـــن، وأن كل وطن يعالج مشاكله بنفسه، وأن هذه الدعوات والتهاب المشاعر ودعوة العروبة، كلها عبارة عن استهلاك ثقافي، أو أن أشخاصا

من العرب يفشلون في أوطانهم فيتقمصون الدفاع عن العروبة، فيكسبون لهم شعبية ضـــمن العالم العربي ولو كانوا خاسرين في بلدانهم. كان مثل هذا الشعور موجود عندي، وكنت ألمسه أيضا في الأوضاع العربية. ثم أن الإمام يحيى كان لديه نظرة غـــير حســـنة عن العرب. وكنا نحن نأخذها وصمة ضد الإمام لأنه كان يقول إن العرب كذابون ولأنه كان يحارب العرب. بسبب هذا النفور أردنا أن نلتحق بالعرب ونطلـــب مـــنهم أن يساعدوا اليمن. فكرنا أن نخرج ونذهب إلى عدن، مركز تجمع اليمنييـــن النازحيـــن، وفيها الحرية لأن الإنكليز هناك، فيمكننا من هناك أن نوجه نصـــائحنا بحرية إلى الإمام، لأنه كان قد حدث أن أشخاصا كثيرين دخلوا السجن بســـبب اتهامهم ببث أفكارهم التقدمية، ولأنهم قدموا مراجعات إلى الإمام ومذكرات يطالبون فيها بالإصلاحات ومن جملتهم الزبيري الذي دخل السجن بأمر من الإمام يحـــيى وظـــل فترة مقصيا في جبل الأهنوم في شمال اليمن. لم يخرج إلا بعد مدة بوساطة وبعد أن بعث قصائد للإمام يعلن فيها توبته، يقول فيها:

نـــور النبوة من جبينك يلمع ... والمجد فيك إلى الرسالة ينزع
يـــا أيها المحسود في عليائه ... لا تـــبغ شأوا إن مجدك أرفع
أعرضـــت عنا لحظة فتحولت ... عنا وجوه الناس بعدك أجمع
من أين يأتيك العدو وأنت في ... أرض تكـــاد صخورها تتشيع

وصـــلت إلى الإمام هذه القصيدة فقال: إن القصيدة طنانة، ولكن الرجل فكره مســـموم فمـــن أيـــن لنا رجوعه. كتب الإمام يحيى بقلمه هذا الجواب. مرت فترة فجـــاءوا يتشفعون مرة أخرى، وتقدم عم الزبيري إلى الإمام يحيى وكان أيضا من جلساء الإمام، فقال له: يا مولاي في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء؟ رحمتكم على عبدكم محمد محمود الزبيري، فإن نساءه باكيات ليلا ونهارا. أخيرا أفرج عنه وجاء إلى تعز. التقينا. ثم ذهبنا إلى عدن وكان معنا الزبيري وأحمد محمد الشامي، هـــذا الـــذي أصـــبح الآن وزيـــر خارجـــية الملكيين في الصف الملكي ونحن مع الجمهورييـــن. التقينا في عدن، فكان هنالك بدء التجمع. بدأنا نعلن ونؤسس "حزب الأحـــرار اليمنييـــن". أصدرنا صحيفة اسمها "صوت اليمن". هناك بدأت المشاعر

تلتهـب فـي اليمن. وكان هذا حوالي سنة ١٩٤٣ عند ما خرجنا. ثم بقينا إلى سنة ١٩٤٦. سـمحوا لنا بإصدار الجريدة ثم أسسنا مطبعة. وكان اليمنيون متمركزين فـي عـدن من عمال وتجار وغير ذلك، فساعدوا الحركة. عند ما ابتدأت الحركة تشتد، أنضم إلينا أحد أولاد الإمام وهو سيف الحق إبراهيم، الذي هرب من أبيه ثم أنضم إلى الأحرار. وكان هذا أكبر دعاية للأحرار. بقينا نرفع مذكرات إلى الجامعة العربـية وإلى العالم العربي. نستنجد ونستغيث بالعالم العربي الذي يعلي رؤوسنا، وكـنا نريد وطننا كلبنان، أو كسوريا، نريد شعبا كمصر. هيج هذا الكلام اليمنيين تهيـيجا كبـيرا، وبدأ آل الوزير يطمعون بالحكم. فقلنا لنتعامل معهم وليسقط حكم الإمام يحيى ويكون الحكم حكما دستوريا. وضعنا المطالب ثم بدأت تنتشر. في سنة ١٩٤٨ قامـت الحركة وأطاحت بالإمام يحيى، وكنا نحن في مقدمة الحركة، نحن والأمـير إبراهـيم وبعـض الزعماء الكبار مثل الزبيري. تشكلت الوزارة، فعينت وزيـرا للـزراعة والزبـيري وزيرا للمعارف، ثم أعلن "الميثاق الوطني المقدس" كدسـتور مؤقت يحدد حقوق الإمام ويحدد حقوق الشعب. كان ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى، الذي كنا من قبل عنده، في تعز حين قتل أبوه في صنعاء وأعلن عبد الله بـن أحمـد الوزير إماما في صنعاء. غادر أحمد تعز مغامرا يريد الذهاب إلى صـنعاء لقمـع الثورة. ولكنه التجأ إلى جبال حجة ولم يلتجئ إلى صنعاء لأن ابن الوزير كان قد سيطر على صنعاء وقتل الإمام يحيى في ذلك التاريخ. وصل جماعة مـنا، أي من جماعة الأحرار، بالطائرة إلى صنعاء، أما أنا فقد مشيت عن طريق الـبر ومعـي مجموعة، وسار آخرون عن طريق الحديدة. ولكن الإمام أحمد أثار القبائل وهيجهم لنهب صنعاء. وعندما سمعت القبائل بهذا داست كل شيء لا تدري بدستور ولا بحرية ولا بأحرار. إذ كان الشعب غير واع بشيء وكانت الأفكار كلها محصـورة في قلة من أبناء مدن ضائعين ليس لهم جذور. فاقتحمت القبائل صنعاء تنهـب وتسجن كل "المدسترين"، أي أصحاب الدستور، منهم السيد عبد الله الوزير إمـام الدسـتوريين، وسـيف الحق إبراهيم، وجميع الوزراء. ساقوهم إلى السجن. وأعلن أحمد أنه الإمام الشرعي. نحن وصلنا إلى ذمار التي تبعد عن صنعاء حوالي ١٠٠ كلـم، وإذا بالقـبائل تحـيط بنا وتعتقلنا هناك. دعونا لتناول الغذاء في دار الحكومة لأننا كنا سننزل ضيوفا في دار الحكومة. دخلنا دار الحكومة الموجود في

المركز، وبينما نحن نتناول الغداء كانوا يرتبون لنا قيود الحديد. ولما خرجنا لنغسل أيديـنا كانوا يلتقطوننا واحدا واحدا ويضعون قيود الحديد في أرجلنا. ثم ساقونا إلى زريبة أو اسبطل غير مفروش، فجلسنا على الأرض ونحن في ثيابنا ممددين على الأرض. وكـنا ننتظر الموت. أيقنا أن ليس لنا حياة بعد الآن، لأن صنعاء سقطت بـيد الإمام أحمد وانتهت الثورة. خرج الزبيري مع أحد أبناء الوزير (عبدالله علي) إلـى السـعودية إلـى الملك عبد العزيز قبل أن تسقط صنعاء ليستنجدوا به. ولأن الـثورة كانـت ضـد الملكية، رفضهم الملك عبد العزيز، ومن جملة من رفضوا الفضـيل الورتلانـي الجزائـري الذي كان يعمل مع الأحرار. فلما رفضهم الملك التجـأوا نحو عـدن ثم ذهب الزبيري وعبـد الله علي الـوزير إلى باكسـتان، أمـا الورتلاني فأتجه نحو لبنان. وقد منعوا من دخول مصـر والبلاد العربية لأن حكـام العرب اجتمعوا في ذلك الوقت على الاعترف بالإمام أحمد واعتبروا القصة مـن عمليات الإجرام. أما نحن فبقينا في مدينة ذمار حوالي عشرة أيام حتى أرسل الإمام أحمد بعد أن انتصر انتصارا كاملا من يأتي بنا نحن ومن معنا من الأحرار. فسـلبوا كل ما معنا من ملابس ووضعوا لنا السلاسل في أعناقنا جاعلين كل عشرة فـي سلسـلة يسمونها "زنجير"، وكل طوق منها مربوط بسلسلة تصل إلى الطوق الثاني. وهكذا ابتدأنا نمشي في الطرقات والقبائل تردد النشيد (الزامل):

لعنة الله على نعمـان واصحابه ما عوى الذئب وما حرك أذنابه

وهكذا بقينا نسمع هذا النشيد ونحن في طريقنا. فتخلعت أقدامنا من المشي لأننا مشـينا مـن ذمار إلى معبر من الصباح حتى العصر. كان بعض الرفاق يسقطون أرضـا من الإعياء، فيهددوهم بالقتل ويأمروهم بالمشي رغما عنهم. وعند ما تعبنا مـن المشـي سـمحوا لنا بالركوب على الحمير لكنهم شدوا أيدينا بالمغالق، وهذه المغالق عبارة عن قطعة من الخشب تثقب من أطرافها لتوضع خشبتين وتدخل اليد فـيها فتثبت بمسامير من الطرفين تحول دون أن يستطيع السجين تحريك يده. أما رفاقـنا الذيـن كانوا مقيدين بالسلاسل فقد كانوا يمدوننا بالأكل لأن أيديهم مفتوحة. وإذا أحـتاج أحد منا الذهاب إلى الحمام جلبوا العشرة المقيدين معه لكي يساعدوه. كان عندهم خوف منا لأن البلاد جبلية لئلا نهرب.

فمشــينا علــى هذا الحال من ذمار إلى معبر، ثم إلى حزيز حتى وصلنا إلى صــنعاء ومــنها إلى الروضة ومن ثم إلى حجة. استغرق السير ستة أيام، إلى أن صــعدوا بــنا جــبل حجة عند الإمام أحمد. فلما وصلنا إلى هناك جاء المسئولون الآخــرون الذين جيء بهم من الحديدة ومن صنعاء فالتقينا أفواجا أفواجا، المشائخ والضــباط والمتعلمين كلهم مقيدون بسلاسل. منهم من شدخت رؤوسهم، ومنهم من كــانوا ملوثين بالدماء، وبعضهم ألقيت عليهم الأتربة مثل السيد حسين الكبسي الذي كان يسمى مندوب اليمن المستمع في الجامعة العربية. ثم أصبح وزير الخارجية في الحكومــة الدستورية. التقت الحكومة الدستورية كلها فأستاقونا إلى سجن اسمه نافع كــان طــبقات تحت الأرض ومؤلف من غرف ليس فيها حصير، باستطاعتنا أن نسميها دهاليز. وضعونا خمسين هنا و ٩٠ هناك. كنا ركاما بعضنا فوق بعض. فلا يدخلون الشخص إلى هناك إلا بعد أن يضعوا في رجليه ثلاثة من قيود الحديد. أما الذيــن يتشددون معهم فيضعون لهم قيدا يسمى المرود، في وسطه قطعة من الحديد ثقــيلة. والــبعض فــي أقدامهم السك، وهو عبارة عن وصلة من الحديد ليس فيها حلقات، توضع ما بين الساقين حتى لا يستطيع الحركة. وقد وضعوا لي هذا السك ووضعوا اثنين من القيود المتحركة في أسفل الساقين وثالث ملزوز بالرجلين. بهذا الشكل لا أستطيع الحراك أبدا. وبعد أن انتهوا من وضع هذه السلاسل قالوا لي: قم يــا عــدو الله وعــدو الإمام. قلت لهم: كيف أقوم بعد أن وضعتم لي أسطولا من الحديــد؟ فأخذوا يدفعونني بالقوة قائلين: عادك عادك تتلغلغ؟. وحملني الذين كانت قيودهم أخف حملا على ظهورهم إلى أن وصلنا القاعة مع المجموعة. وكان عمي عبد الوهاب نعمان، شقيق والدي وأبو زوجتي، مسجونا هناك. جيء به من صنعاء وكان مسجونا من عهد الإمام يحي لمدة ٢٧ سنة. تلاقينا هناك في ذلك الوقت. وكنا كالمرضي كل يئن في مكان من أثقال الحديد. ولكن كان يتحلى بالصبر. وقد خففوا عــنه الحديــد. أما نحن فباعتبار أننا كنا في عدن مع "النصارى" فقد اشتد العقاب. وكنا نتساءل أين المرحاض؟

كانــت توجــد جماعة يساعدون بعضهم البعض فيحملون الواحد إلى هناك ثم يــأتون به. أما بالنسبة للغذاء فمن سيأتي به! في اليوم الثاني أخذ يأتينا. وكنا نعتقد

أن الإمـــام أحمـــد سيقضي علينا نهائيا. وهذا شيء طبيعي لأننا متهمون بقتل أبيه وثائـــرون ضـــده، استمر الحال لمدة ١٨ يوما على هذا النحو، لا نتحرك. ثم بدأت المناداة للاستعداد لقطع الرؤوس. فكانت تأتي الأوامر من تعز تلغرافيا، لأن الإمام أحمد ترك حجة وذهب إلى تعز منتصرا على أعدائه جميعا. أدخلهم السجن وذهب. وابـــتدأ الآن يجري الأحكام غيابيا على المسئولين بالتهم التي تثبت عليهم وإدانتهم. وكـــل من أدين بعث أمرا بقطع رأسه. فيأتي أحد المعنيين (السجانين) وينادي باسم الشخص الذي صدر عليه الحكم. يعلم أنه ذاهب إلى الإعدام فيودع إخوانه ويذهب. ونصـــاب نحن بشيء من الشلل في نفوسنا وجفاف وزهد في كل شيء. وكل واحد منا ينتظر الموت. عندما كان يعود السياف الذي يقطع الرؤوس ويقول اليوم انتهينا، نبدأ نتحرك لتناول طعامنا. وعند ما كانت تعترينا حالة الشلل النفساني كنا نتساءل هل السبب الألم على الذين ذبحوا أم خوفا من أن نذبح؟ ولكن ثبت أنه خوف من أن نذبح، لأننا بعد أن نأمن أننا غير مذبوحين اليوم نتهيأ للأكل.

وكـــان يوجـــد بيننا شخص اسمه علي عقبات، بمجرد ما يسمع صوت النفير يلـــتف بالحصير حتى لا يسمع الصوت، لأن ذلك الصوت كان دعوة ليجتمع الناس لمشـــاهدة القتل، وليعلم كل واحد بأن هناك من سيقتل ذلك اليوم. كان علي عقبات يبدأ من الصباح بلف نفسه في الحصير حتى لا يسمع الصوت.

س ــ هل نادوا على اسمه أخيرا؟

ج ــ نعـــم. دعي ولكن بالغلط، فذعر وأغمي عليه. أراد الذي دعاه أن يمزح معه، فلعنه لعنا شديدا. كنا نلتقي مع بعضنا البعض ونتبادل الأشعار والأذكار. فكان هذا الشيء يخفف عنا إلى أن أعدم مجموعة من الأشخاص.

س ــ لماذا لم يدعوا الحكومة كلها واكتفوا بأخذ البعض من أعضائها؟

ج ــ كان الإمام يحكم (يصدر أحكاما) ويعمل بحكمه. وحقيقة كان متخذاً نفسه إماما. والذي كان يخالف الشريعة من الشعب يحاكمه. وكان الشرع قائما ولو على نحو تقليدي. وكان يراعي ولا يستهتر. فقد حكم على من كانوا مشاركين في العمل. أمـــا بالنســـبة لي، كانت الحملة من الكثيرين تحرض على أن أكون أول من يقتل.

يقولون يجب أن يكون نعمان في مقدمة من يقتل. ولكن الإمام نفسه كان يدافع عني ويقول "ماذا فعل؟ كتب في الجريدة! لم يثبت عليه شرعا أي شيء". هكذا اتخذ هذا الموقف مني. وكان يوجد بيننا ود. وكان حكمه شرعيا. كان يتحرى في إصدار الأحكام الشرعية. كان هناك جماعة لم يحاكموا. وكان الناس يحكمون عليهم. أما هو فلم يرغب في أن يتلقي الأحكام من أفواه الناس، بل حكم على من ثبت أنه متآمر في قضية القتل. ومن المصادفة أننا اعتقلنا في ذمار ولم نصل إلى صنعاء. ولذلك لم نبايع الإمام الجديد. وكل الذين كانوا معنا لم يقتل منهم أحد. الناس الذين سبقونا إلى صنعاء وقعوا على الميثاق ووقعوا على الدستور. فكانت هذه من المبررات، وكان يوجد بعض الأشخاص المؤثرين على الإمام، إلى جانب أنه يقول شرعا لم يثبت عليه شيء. وبعضهم يسألونه لماذا تترك فلان وهو فعل وفعل، فكان يقول إنه لن يحكم إلا على من ثبت عليه شرعاً. بعد عدة أيام طلبوني للتحقيق، ألقوا علي أسئلة فأجبت إجابات صريحة وبكل صدق. حاولوا أن يستدرجوني بأن فلان فعل كذا، فكنت أقول لهم لا. ويسألون من الذي كان يساعد الأحرار ومن الذي كان يمدهم؟ أذكر أسماءهم؟ فقلت: إن "الجمعية اليمنية الكبرى" مجرد ضجيج ودعاية، والذين كانوا يساعدوننا أناس كانوا يتصدقون علينا بالقوت. وأقسم بالله أنني أقدم نفسي إلى المشنقة دون أن أدلي باسم من الأسماء. واصنعوا بي ما تشاءون. هذه الحادثة بالذات نقلت إلى الإمام أحمد. فقال: هذا رجل وفي. ولما رأي السجان هذا الموقف خفف عني القيد الذي كان يضم الرجلين فارتحت. وكتبت أجوبة صريحة وبجانبها نصيحة إلى الإمام تقول: "قد أظهرك الله على أعدائك ونصرك، فقل ما قاله رسول الله عندما دخل إلى مكة وقال ما تظنون إني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء. وربما أن أعداءك بالأمس يكونون أصدقاءك في الغد". وكانت هذه الرسالة بجانب الأجوبة. وبعد هذا التصريح أصبح الإمام يأخذ ويرد مع بعض المسجونين. وبعد حوالي ٤ أشهر انتهت محاكمة المباشرين بالقتل من المتآمرين الذي بلغوا حوالي ٣٤ شخصا، ومن الذين تولوا الخلافة مثل الإمام عبد الله بن أحمد الوزير وعلي بن عبد الله الوزير ومن آل الوزير حوالي خمسة. كان الإمام يعتبرهم منافسين له على العرش وأنهم تصدروا للحكم.

بعـد أربعــة أشــهر نقلت من سجن نافع إلى سجن آخر يسمى القاهرة، وهو حصــن مطــل على السجون وعلى مدينة حجة. كان أخي الأكبر مسجونا فيه منذ أربــع ســنين، منذ أن تركنا اليمن وذهبنا إلى عدن، لان الإمام سجن جميع أفراد الأســرة بعـد هربي إلى عدن. وعند ما دخلت صافحت أخي، ولما صافحته أعتقد أنني صعدت لأقتل. لأن العادة كانت هناك أن كل من ينتقل من سجن نافع إلى هذا السجن يصعد للاستنطاق (ليقول آخر ما يريد قوله ويملي وصيته) ثم للإعدام. لذلك لــم يتماسك عند المصافحة فقلت له: شدّ نفسك. لا يوجد شيء. كنا قد تعودنا على المــوت ولــم نعد نهتم بذلك. فمكثنا سوية في غرفة واحدة وأصبح الغذاء أحسن. وكان هناك مسجونون جرى التخفيف عنهم وجيء بهم إلى هذا المكان. وفكوا عني كل القيود إلا قيد واحد.

وبعد فترة وصلت برقية من الإمام إلى أخي: "من الإمام أحمد إلى الشيخ علي محمــد نعمــان. بلغنا أن أخاكم الأستاذ يكتب مذكراته في السجن منذ مقتل الإمام الشــهيد، وهــذه إذا أضــيفت إلى ما قبلها ستكون من العجائب، فرجاء أن يواصل العمل في هذا السبيل. وقد طلبنا زوجته وأولاده من عدن". والحقيقة أن هذا لم يكن صحيحا حتى إنه لم يكن لدي قلم لأن السجان كان قد أخذه في بادئ الأمر. فأجاب عليه أخي: "مضى على الأخ الأستاذ منذ سجنه أربعة أشهر و ١٠ أيام وهو مستلق على ظهره لا يتحرك في السجن. ومنذ أن صعد إلى عندنا إلى سجن القاهرة لا قلم عنده ولا ورق، ولكنه الآن يستطيع أن يكتب. فتفضلوا بالأمر إلى مدير سجن نافع لتســليم قلــم الأستاذ". ولا يزال هذا القلم إلى الآن موجودا معي. بدأنا نكتب. ماذا نكتــب؟ نكتب عن شخصية الإمام، فإذا بنا نستعرض صحبتنا له في الماضي، وأن الذي وجهنا إلى الوطنية هي كلمته التي وجهها من حجة حين كان ما يزال يتنافس مــع علي الوزير على تولي إمارة لواء تعز. "ونحن قد سجلناها هنا حينما قلتم بثوا الــروح الوطنــية فــي نفوس الناشئة، فإن حقوق الدين والوطن كادت تكون غير معقولة. نسأل الله أن ينتشل هذا القطر من هوى الجمود والغفلة. تلك الكلمة المؤمنة التــي حركتــنا للوطنية وللوطن. وإذا كنا قد أخطأنا السبيل فإن العفو يتسع". فبقينا نتكاتــب، نأخذ ونرد في رسائل بيني وبينه لم تزل إلى اليوم محفوظة عندي. بقينا

نتكاتــب. وإذا بكثيريــن من الإخوة جاءوا إلى عنده يتشفعون ويرسلون المال عن طــريقه، ومــن جملــتها رسالة من الزبيري من باكستان. بدأ الإمام نفسه يستعيد الذكريات وأول رسالة اطمئن إليها "إلى الأستاذ الكبير". ووصل إليه صديقي الأستاذ محمــد ســالم البيحاني، وهو أخ من المكافحين. كنا نقرأ سوية في الأزهر وأصبح صــاحب دعــوة إســلامية في عدن وأسس المعهد الإسلامي وكان له احترام عند الإمــام. ذهب إلى الإمام حين علم أننا في السجن يتوسل إليه. ثم كان بقاء صديقي الزبــيري فــي الخــارج مــن العوامل التي رفعت عني الخطر استبقاء لي لجلب الآخرين. إلى جانب أنه كان في نفس الإمام ود. بعد هذه المراسلات والأخذ والرد ارتفــع الخطــر. وذكر الإمام في رسالته أن "الأستاذ البيحاني وصل إلينا ولم يكن هناك داع لتكليفه، فقد أكمل أمس وأن الأمر قد تم، ونحن علم الله سبحانه وتعالى ما أضــمرنا لك سوء، وإنه ليس معنا لك إلا تلك الكلمة حينما جئت من الحجرية وقلنا لــك إن الرائد لا يكذب أهله. ونحن لا نزال نتذكر المساجلة بين الشعر والنثر وما قلــتموه في أيام الولد البدر، وما ألقيتموه في أيام زواج الولد أحمد زبارة، ... وما قــتل الأحــرار إلا العفــو عنهم". أرسل إلي هذه الرسالة بخط يده عندما كنت في الســجن في حين كنت أنتظر الموت، من رجل أجمع الناس على قتلي ويأتي بنفسه ليكتب لي مثل هذا الكتاب! فقد فعل في نفسي عملا. بادلته الرسائل استصرخه العفو عــن المســجونين بكــل إخلاص، وأبين ما وراء ذلك من فوائد وما من ذلك من مصالح. كان نائب الإمام في حجة عبدالملك المتوكل، والذي كان همزة وصل بيني وبين الإمام، يقرأ الرسائل ويتأثر بها، وينصح الإمام بالعفو عني. وإذا بهذا النائب، وهــو والــد محمــد عبد الملك، قد أرسل إلي أمرا بإزالة القيد الذي في رجلي مدة سنتين وهذا يعتبر نعمة: "ارفعوا القيد الصغير عن الأستاذ وعليه أن يخرج ليكشف لنا عن المدارس والمعارف في حجة". وكان أول خروج لي من السجن بعد سنتين. نتأمل الأضواء والنهار والأولاد. وكان ابني محمد ما يزال صغيرا لم يتزوج بعد، وعــبد الرحمن أيضا، كانا موجودين في صنعاء. وكانت معي الزوجة ومعها بنت والآن همــا في القاهرة. أتوا من صنعاء. فأمر الإمام أن أنزل نهارا تحت حراسة جندي وأذهب إلى المدارس وأشرف عليها ثم أضع مناهج للتعليم ومن ثم أعود إلى

ســجن القاهــرة. كــان في رجوعي إلى سجن القاهرة فائدة، فقد كنت أعود إلى الإخــوان الموجوديــن فــي الســجن مثل القاضي عبد الرحمن الإرياني وعبد الله عــبد الإله الأغبري، وحمود الجائفي وإبراهيم الحضراني، الإخوان الزملاء الذين كــانوا مسجونين معي باقون في السجن. كنا نظل نتسامر نقضي الليل عندهم وفي الصــباح نــبكر إلى المدارس نلتقي بأبناء النائب نعلّهم العربية وبعض المواضيع المحصــورة فــي كتب محددة مثل الوضوء والطهارة، والنجاسة، والنكاح. فتحنا مدرسة اسمها المدرسة المتوسطة. فكان الإمام يلبي كل طلباتنا لأننا قلنا له إن حجة القــاعدة التــي انتصرت منها محتاجة إلى مدارس، وخاصة في المناطق المظلمة مــنها. وإذا بالمدرسة المتوسطة تتأسس ويبدأ التعليم. واستعنا بمعلّمين من الخارج لتعليم اللغة الإنجليزية والرياضة البدنية والكشافة. قاوموا هذا التعليم في حجة مثلما قاومت التعليم في الحجرية أيام الأستاذ محمد حيدرة. كانوا لا يزالون على عقليتي السابقة بينما كنت قد اجتزت هذه المرحلة، وأصبحت الأرض عندي كروية في حين كانــت لا تــزال عندهم معلقة على قرن ثور. قامت ضجة عند الأمام، ولكن لأن عــندي فهم للشريعة الإسلامية استطيع أن أقدم له البراهين من الشريعة الإسلامية. فقد كان الحبشة يدخلون ويرقصون في منزل النبي وكان يسمع الأغاني وكان يقول إن "الــيوم عــيد دعهما يغنيان". كان باستطاعتي أن استدل بأحاديث نبوية فيها من التســامح ما يكبح جماح العلماء الجامدين. وصادف أن كان نائب الإمام يشد أزرنا وأبــناؤه يتعلمون. بعد ذلك بدأنا نستقدم الصحف. أرسل إلي الزبيري برسالة ــ استخرجتها اليوم لأبعثها للقاضي الإرياني ــ يقول فيها: "إن تفكيرنا من أساسه كان مــن ســوق السياسية العربية بما فيها من جمعيات وأحزاب وصحف ومحاضرات وزعماء ودجالين ممن أفسدتهم ولوثت ضمائرهم الخصومات والأغراض والمتاجرة السياســية بمصائر الشعوب. لقد تقبلنا منهم كل شيء وتحمسنا له وجعلنا لأنفسنا مــثلا علياء وحملنا أنفسنا وعائلاتنا ما لم يستطع أن يتحمله أحد سوانا. وذلك بناء مــنا على أنهم أبرار وأتقياء، يقولون ما يعتقدون ويرون حقا وصوابا. وقد تبين لنا بعــد ذلك أن تلك السوق السياسية موبوءة دنسة خبيثة، ويعلم الله أننا كنا أبرياء من هــذا الدنس وبعيدين كل البعد عن تصور هذه الحقائق المرة. أخي إن هذه السوق

هـــي التـــي أضاعت فلسطين وصيرتها دولة يهودية خالصة، بينما كانت الشعوب تتحمس في سبيلها تحمسا جنونيا خالصا. ولما سكنت المعركة بين العرب واليهود، انقلبـــت إلـــى حـــرب أعصــــاب بين العرب أنفسهم، كل منهم يتهم الآخر ويخوّنه ويتربص به. وكان من أثر ذلك أن حدثت في سوريا وهي أنضج البلاد العربية في أقــل مـــن عام ثلاثة انقلابات، وكل انقلاب له زعماء ومؤيدون وأنصار يزعمون الحـــق لهـــم والباطل والخيانة على سواهم حتى ضاع الصواب، وحارت الحقوق وانهـــارت العقائد وتقوض الكثير من الأسس التي يقوم عليها الرأي العربي العام. فساد الشك في كل شيء، وعم البلاد العربية ما يشبه الانحلال العقلي. ولا ريب أنك تأسف إذا فهمت هذه الأحوال وتصورتها. ولكن هذا التصور يضاعف من غبطتك بـــالجو الذي أنت فيه ولا سيما بعد هذا العطف الكريم العظيم عليك وبعد الطمأنينة على جميع المعتقلين". بعث الزبيري هذه الرسالة من باكستان قبل ٢٠ سنة بواسطة الإمـــام إلـــى ســـجن حجة. وأنا أقول للإرياني اليوم هذه هي الصورة التي رسمها الزبـــيري قبل ٢٠ سنة ولم تتغير كثيرا إلا في أن السوق السوداء الجديدة أضاعت إلى جانب فلسطين أجزاء غالية من مصر وسوريا والأردن، وهوت بالأمة العربية إلـــى الحضـــيض وجللتها بالعار. كما أن الانقلابات في سوريا قد وصلت إلى ١٧ لا إلى ثلاثة انقلابات فقط.

كما قلت ، وصلت هذه الرسائل بواسطة الإمام وكنا نحن نواصل التدريس في حجـــة. ومـــرت فترة أثاروا بها الإمام إثارة قوية قائلين إن هناك تطورا، وأن أحد التلامـــيذ فـــي المدرسة يرى أن لا فرق بين استعمال "البرنيطة" واعتمار العمامة. وكانـــت الـــثورة المصـــرية قد قامت سنة ١٩٥٢، ونحن في هذا الجو الناصع مع الإمام. أحدثت الثورة ارتباكا وأثارت التطلعات عندنا، وظننا أن تغييرا سيحدث في الصـــورة التـــي أشار إليها الزبيري في هذه الرسالة. وقلنا الآن آية جديدة، عروبة بشـــكل آخر. العروبة الأولى كنا قد كفرنا بها بسبب سقوط ثورة اليمن الدستورية وعـــدم تحرك الجامعة العربية لمساعدتها. وقد كنا في السجون وحدثت المذابح ولم يصنع العرب شيئا لمساعدتنا. فإذا بالعروبة تأتي بصورة ثانية. عرب ١٩٥٢ غير عرب ١٩٤٨. وإذا بهم يأتون ويضيعون لنا بقية العروبة بكاملها. بدأت هذه الثورة

تحدث ردود فعل ونقمة على الوضع القائم. وإذا بالإمام يتأثر هو نفسه. وبدأ يتنكر حـــتى للأسلوب الذي سمح به بفتح المدرسة. لذلك أمر بإغلاق المدرسة المتوسطة، لأن هذا الطالب لقي مرة صهر الإمام، فظل يتناقش معه. صهر الإمام يحمل على (الرئـــيس المصــــري آنذاك) محمد نجيب. فرد الطالب قائلا إن محمد نجيب رجل مســـلم حــــرر مصر من الرجعية. رد صهر الإمام قائلا: هذا كافر يلبس "برنيطة". و"البرنـــيطة" ليست لكم بل يلبسها النصارى. قال الطالب: طيب إذا لبس النصراني العمامـــة هل يصبح مسلما؟ فلما رأى الطالب الصغير قد أخرسه بالمنطق في حين عجـــز عن الرد رغم تقدمه في السن، ذهب إلى الإمام ينبئه بأن حجة ستشهد ثورة مفسدة للدين. عندئذ أمر الإمام بإغلاق المدرسة المتوسطة. حاولنا إعادة فتحها ولكن ذلـــك كان متعذرا. بعد هذا مرضت، فقلت أريد أن أذهب للعلاج. وسمح بخروجي من حجة لأول مرة. وذهبت إلى الحديدة. هناك التقيت بالإخوان فعاد تسليط العيون علينا.

وكنت أعتقد أنه لا يجوز لي أن أخرج على الإمام بأي حال من الأحوال. كنت أفكـــر بأن الإنسان يستطيع أن يتبصر ويطور أوضاعه داخل بلده بشكل ما، ولكن وجـــدت أيضا أن الإمام قد رفض حتى هذا الشيء المحدود مع أنه كان في السابق مستجيبا لكل شيء معقول. ولكن بعد أن قامت الثورة المصرية أعتقد بأن أي عمل ســـيعمله يخوّفـــه من أن يحدث في اليمن ما حدث في مصر. لهذا ترك كل شيء وعطل الكثير من المشاريع وخف عنده الحماس. وهكذا بقينا نحن مسئولين والناس يـــتطلعون وينادوننا. وكان الأخ الزبيري قد انتقل من باكستان إلى مصر. هيأوا له المجال وسمحوا لـــه بتأسيس الاتحاد اليمني وبالحديث من إذاعة صـــوت العرب. وكانت أحاديثه معقولة. وبقي محافظا على الود للاحتفاظ بسلامتنا ويحاول إغراءنا بالخـــروج. فكـــان يبعث إلينا برسائل لم يعرف بها الإمام لأنه عند ما أصبح ملكا احتجـــب ولم يعد كما كان في أول الأمر. فقد احتجب عن الناس. وكانت الأوضاع تـــزداد سواء داخل اليمن. والناس يسمعون الإذاعات المنتشرة. وثورة مصر هزّت الشـــعوب العربية هزا عنيفا. تطلعوا إليها بلهفة لأن العربي يعشق بالسمع، والأذن تعشـــق قبل العين أحيانا. نسينا بأن العرب يتاجرون بالشعوب. قلنا لا شك في أن

العــرب الآن قــد تغــيروا. وجــاءت فلسفة الثورة، ثورة عبد الناصر، لتدغدغنا وتضرب على الوتر الحساس.

أولا أن هــذا الرجل (الإمام أحمد) لا يقبل بالوشاية ونحن أكثر الناس شكوى من الوشاية. أول خروجنا من اليمن قلت له خشينا أن نذهب ضحية وشاية أو سعاية نمام كاذب، فلهذا ابتعدنا حتى لا نعرّض حالنا للخطر بالسجن أو غير السجن. كانت الوشــاية منتشرة في اليمن. وكل ما يصل شيء إلى الإمام لا نشعر إلا وفلان في السجن، لماذا؟ لا أحد يعلم.

جــاء في فلسفة الثورة كلمة كان لها أعظم الأثر في نفسي. يقول عبد الناصر فــي فلســفة الــثورة: "لو سئلت ما هي أعز أمانيك؟ لأجبت على الفور أن أسمع مصريا يقول كلمة إنصاف في مصري آخر، وأن أرى مصريا قد فتح قلبه بالصفح والحــب والغفــران لإخوانه المصرين. لكن لم نجد إلا هذا يتحدث عن ذاك، وهذا يشــين بهــذا، وهذا يريد أن ينتقم من ذاك. وكأن الثورة قامت لتكون سلاحا في يد الأحقاد. ولكن الثورة لم تكن لهذا". كنت دائما ألهج بعبد الناصر وأنه الذي سيصلح العــرب. وكنت أفكر دائما كيف يمكنني أن ألقاه. هيجنا الزبيري برسائله. وكانت الدعاية فياضة في تلك الأيام. انتقلنا من حجة وذهبت إلى تعز لزيارة الإمام.

س ــ هل كانت أول زيارة بعد السجن؟

ج ــ دعيت مرة حينما عفا عني وألقيت كلمة هناك. أما هذه المرة فقد ذهبت أريــد الخــروج من حجة لأن حجة سجن. ثم أحببنا أن ننتقل من هذه البلاد النائية (حجــة) ونذهــب إلى تعز المنطقة المنفتحة. وصلنا إلى تعز وإذا بثورة تقوم ضد الإمــام أحمد، من يقوم بها؟ قالوا لنا سيف الإسلام عبد الله. لماذا؟ لأن الإمام أحمد أصــبح يقرّب الأحرار الذين كانوا من قتلة الإمام يحيى، ولأننا مرتبطون بالأمير البدر لأنه من ألح على أبيه بالإفراج عنا، وأن الإمام أحمد يريد الأحرار ليتخذ منهم قــوة لولده، وليكونوا عناصر في مواجهة أعمامه سيوف الإسلام أخوة الإمام. نحن أيضا أطلقنا ولاية العهد من حجة وبقينا نتحدث عن وجوب ذلك العهد للبدر. أثارها أولاد الإمــام يحــيى، أي إخــوة الإمام أحمد، قائلين إنها دسيسة وضعها الأحرار

لتفريقهم. كان الإرياني ممن ثبّت هذه الدعوة وكتب صيغة البيعة ووزعت على الناس. وخرجنا منتشرين للدعوة لولاية العهد للبدر. فأوجدنا شقاقا بين الإمام وإخوته ولسنا قاصدين ذلك. ولكن الإمام كان حذرا حتى أنه مرة كتب إلي قائلا في معرض الحديث:

إني على ما ترين من كبرى أعرف من أين تؤكل الكتف

ولذلك أغلقوا هذا الباب. وهكذا أصبح أولاد الإمام ضدنا نحن الأحرار. وكنا نحن نلوذ بالبدر ومرتبطين بالإمام. وحينما ذهبت إلى تعز كان إخوة الإمام متعجلين القضاء على الإمام أحمد، حتى لا يدعوا له مجالا. وبينما أنا في المنزل وإذا بي أدعى إلى مركز الجيش. ذهبت وإذا بي أجد هناك عبد الرحمن الإرياني ومجموعة من الإخوان. سألت الإرياني: ما الخبر؟ قال: أحلام اليقظة. الإمام أحمد محاصر في بيته. كنت غير مرتاح للوضع. ربما كانت خديعة متفقا عليها بين الإمام وإخوته يريدون أن يمتحنونا. وأنا الآن قادم من حجة ولا أريد أن أرجع إلى حجة مرة أخرى. اجتمع الناس. فقلت لهم: "وما هو المطلوب؟" قالوا: "خلع الإمام أحمد." سألت: "لماذا؟" أجابوا: "لتولية سيف الإسلام عبد الله." وسيف الإسلام عبد الله هذا كان بين الحضور وإخوته وأولاد إخوته أيضا كانوا متحمسين يريدون القضاء على الإمام أحمد بحجة أنه كان مريضا ويعيش على المورفين وغير ذلك. فقلت لهم الأولى أن نطلب من الإمام أحمد تنحية رئيس الوزراء الأمير الحسن وتأليف الوزارة برئاسة سيف الإسلام عبد الله، ودعوا الإمام كما هو.

قال سيف الإسلام عبد الله : "وولاية العهد للبدر!" فقلت له: "إذا كان بإمكانك السيطرة على الوزارة في حال كونك رئيسا للوزراء فأنت المتصرف بالأمور، ودع الإمام ليكون إماما دستوريا. أحد الحاضرين أجاب: "من فضلك لا تتكلم، فليخلع الإمام أحمد." وجاء عسكري يهمس لي. وكان هناك بعض الضباط كالثلايا. فقلت لهم: "كما تريدون".

فأرسلوا وفودا، ليعلموا الإمام بالتنازل عن العرش والرصاص يطلق على القصر. كتب الإمام صيغة التنازل لأخيه بصورة ماكرة ولكنه لم يكن متنازلا.

وكانـــت الصيغة بتولي الأخ سيف الإسلام عبد الله الأعمال بالنيابة عن الإمام، وأن فـــي هـــذه العملية دسائس أجنبية. عندما كنت مرتابا ومذعورا تم الأمر. إذا، ما ذا ســيحدث للــبدر؟ وما ذا سيحدث في حجة، معقل الإمام حيث نائبه هناك؟ أوحيت لبعض الأخوان الذين كانوا هناك أن يقترحوا خروجي من تعز لإقناع البدر ونائب حجــة، لأن علاقتـــي بهما كانت معروفة بسبب الإقامة بينهما. وافق سيف الإسلام عــبد الله. تمــت الفكـــرة بســـرعة بالطائرة لأنني رأيت الجو ضائعا. ما هي هذه الحكومة التي تتشكل والإمام داخل البيت، ومقر الجيش في الجبال. والعملية لم تكن ناضـــجة، ولم ارتح لها في نفسي. وإذا بي أصل بعد نصف ساعة إلى الحديدة عند الــبدر. كانت قد انقطعت عنه الأخبار لكن كان عنده بعض المقدمات تعلمه بوجود محـــاولات ضد أبيه الإمام. وكتب تحذيرا إلى أبيه ولكن الأب لم يصدق ولم يرتب فـــي إخوته. وصلت ثم دخلت إلى البدر. فلما رآني قال لي: "هل قتل الإمام"؟ قلت لـــه: "كلا. لكنه محاصر". قال لي: "إذا، سأعلن الإمامة الآن". فأجبته بأنه ليس من المستحسن أن تعلن الإمامة، بل الأفضل بنا أن ننتقل إلى حجة كما انتقل أبوك حينما قتل أبوه ومن هناك نرتب الأمور. وكان كذلك. انتقلنا إلى حجة بعد أن وكل الأمر إلـــى بعض الأشخاص في الحديدة. وصلنا إلى حجة نحن والبدر ومن هناك فكرنا بالاتصـــال بالـــبلاد العربـــية. فقلت له: "علينا أن نبارد بالاتصال بالملكة العربية الســـعودية ومصر وكان بينهما وئام. ويجب أن يتدخلا لحسم الخلاف". قال: "وهو كذلـــك". وهكذا سافرت وفي نيتي إن صلحت الأمور رجعنا وإلا كنا في الخارج. تذللت الأمور وكان معي السيد أحمد الشامي، أخذته معي وذهبنا إلى حرض ومنها إلـــى جـــيزان. وهـــناك كانـــت طائرة تنتظرنا من قبل الملك سعود، لأنهم سمعوا بالأحداث في اليمن، واليمن تهم السعودية لدرجة كبيرة. كما أن لمصر علاقة بالبدر وبالأحـــرار أيضا. أبرقنا إلى عبد الناصر، فأرسل حسين الشافعي مع وفد والتقينا بالـــرياض. وبينما كنا نتداول الأمر قلت للملك سعود قبل أن يصل الوفد المصري، الإمام أحمد محاصر في قصره ولسان حاله يقول:

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل   وإلا فـــأدركني ولمـــا أمـــزق

فهو يستنجد بك في هذه اللحظة. قال سعود: سأجهز عشرة آلاف جندي وأتدبر الأمـــر. ونحن في هذه الحـــالة أرتاح الملك سعود لمشـــاعرى نحو الإمام ، وكنت أنـــا مديـــنا للإمـــام ولا أريد أن تزداد الأمور سوء. فإذا ببرقية تصل تتحدث عن خـــروج الإمام أحمد من الحصار، وقيل لي إن الملك سعود يريد أن يكلمني بنفسه. اتصـــلوا بـــي وقالوا لي: الملك سعود يريد أن يكلمك. كلمني وقال لي: خرج أخي الإمـــام أحمد وأنتصر على أعدائه وقد قتل فلان ومسح عبد الله وخرج راكبا على جواده وسيفه بيده.

س ــ كيف حدثت القصة؟

ج ــ ظـــل الإمـــام في تلك الأثناء يراوغ ويبعث بأشخاص إلى أخيه عبد الله وإلـــى الحامـــيات العســـكرية المحيطة بتعز، وسلطها بإطلاق المدافع على مراكز عـــبد الله مـــن الجبال، فبدأت عملية الرد على الحركة. وبمجرد أن ابتدأت العملية أطلـــق الرصاص من قصره على المركز الذي فيه أخوه. وإذا بالأمور تتفاقم. فثار الناس على الموجودين وانتهت القصة. في تلك الأثناء كنت أنا والسيد أحمد الشامي في الرياض. فما هو المصير؟ أنرجع إلى مصر ولكن كيف؟ فقد كانت المخططات تـــدور في رؤوسنا تأمل أن ينتهي الذين في تعز من الإمام أحمد مع سيف الإسلام عـــبد الله، والبدر مع الأحرار فتقوم حكومة حرة تتعاون مع البلاد العربية، مصر وســـوريا والعـــراق. فمشينا في هذا الخط والتقينا بحسين الشافعي عند ما قدم من مصر. وأخذنا نتخيل كيف سنرافق الأبطال، وكيف سنعانقهم ونندمج معهم، وكيف تكـــون القـــبلات للفاتحيـــن الذيـــن سيخرجون العالم العربي من الظلمات، لمنقذي فلسطين، لمحرري العالم الإسلامي. ونحن بهذا الحديث، اقترحت أن نبادر بالسفر إلـــى تعـــز لأن الإمـــام أحمد سيخرج بنفس جريحة وسيقتل بلا حساب. فعلينا أن نـــتدارك الأمـــور وأن يذهب وفد من السعودية إلى جانب الوفد الموجود من مصر ونذهـــب إلى تعز ونظهر أننا نهنئ الإمام بالانتصار. ولكن علمنا بأن الإرياني في الســـجن وكان قد رجع بالصدفة من ساحة القتل. وإذا بي وبحسين الشافعي والأمير فهـــد بن عبدالعزيز آل سعود، ومحمد بن سعود ننزل في قصر الضيافة. وصعدت مع السيد أحمد الشامي. وقبل أن أصافح الإمام أحمد ذكرته بأبيات الزبيرى:

العرش عرشك لا سواك ولن ترى نـداً إلـى آفـاق عرشـك يرمق
وإذا افـترى قـوم بـه قلـنا لهم هـذه السـماء ثبوا إليها وارتقوا
أنـت الـذي خلقـتك آمال الورى ملكـا وآمـال الـورى قد تخلق

إلى أن يقول له:

ربـتك أمـتك التي ترجو بما صـنعته مجدا في يديك يحقق
أفهـل تـراها بعد هذا ترتضي شخصـا سواك لعرشها يتسلق
أم هـل ترى أما وقد كبر ابنها وغـدا يصب لها النعيم ويغدق
تأبـي بـنوية وتذهـب تدعي ولدا سواه تضيق منه وتزهق
هذا لعمركم المحـال ولن ترى شعبا على خلق المحـال يعلق

فقال: "شكر الله سعيك. شكر الله سعيك. دعني أقدر سماحتكم. قلت له:

طر حيث شئت بنا فإنا معشر سنطير إثرك في العلي ونحلق

قال: "نعم طرت. كنت تريد تمتشع" وكلمة "تمتشع" تعني تريد أن تنجو بنفسك.

فـي الحقيقة كان أذكى حاكم عربي. وله ذوق أدبي ممتاز. ولهذا لم يثق بعبد الناصـر أبـدا. ولـم يقبل أن ينزل عند مروره بقناة السويس عائدا من روما سنة ١٩٥٩م. حيـنما خـرج عبد الناصر إلى بور سعيد يريد منه أن ينزل إلى مصر للزيارة، فلم يقبل، وسلم عليه من مقعده. ولكن عندما دخل أمين الحسيني وغيره قام لهم.

بعـد هذا (وصول الوفدين السعودي والمصري إلى تعز) رتبنا كيفية استقبال الضـيوف حسـين الشـافعي والآخرين. فأمر أن يصعدوا إليه. وصعدوا فتهللت أساريره لمقدمهم، وأخذ يحدثهم عما صنع عبد الله وماذا صنع هؤلاء وما يريدون. تمت المقابلة وكان ما يزال يروى لهم ويقول "أنت يا شافعي صليت في القاهرة وأنا أصلي بعدك، أنت إمامي."

جلسنا لمقابلة ثانية في خطبة يوم الجمعة. أما في اليوم الثاني فكان متهيبا أمام الذيـن جـاءوا من مصر. فدفعني بأن أخطب وأصلي بالناس. فخطبنا ولفتنا نظره

للعفو، وبعد الصلاة قال: "والله كأن الإسلام كان يتكلم من فم هذا الأستاذ وإن قلبي رق" وخـــرج ليقـــتل في ذلك اليوم ثمانية أشخاص. مجموع من قتلهم سبعة عشر شخصـــا، ومـــن جملتهم أخويه عبد الله والعباس مع أنه لم يكن لنا رغبة في سفك الدماء. وكنا نحاول أن نصرفه على أن يكتفي بالاعتقال والسجن. كان عبد الله في هيئة الأمم المتحدة وتولى وزارة الخارجية.

وهكـــذا حدثت ثورة بلهاء. طالما حدثت ثورة في سوريا فيجب أن تحدث في اليمن ثورة كذلك. وكما قيل "المطر في موسكو والمظلة في روما".

بعـــد هذا اللقـــاء والمقـــابلة قرروا أن ينصحوا بالهـــدوء وبتغيير الأوضـــاع وتطويرها وتحسين الأحوال، وأن استمرار الحال على هذا النحو مستحيل، فرحب وسهل واصطفاني في تلك الأيام كثيرا. فرحبوا بهذه الفكرة.

وبمجـــرد ذهاب الوفد إلى الحديدة ذهبت أنا والبدر إلى السعودية ثم ذهبنا إلى مصر لمقابلة عبد الناصر. زرنا عبد الناصـــر على أمل أن تثبت كل من مصـــر والسعودية وجودهما في اليمن ويشدا أزر البدر يرسلوا الخبراء. اتفقنا نحن والإمام، وإذا به يوحي للبدر أن لا يقبل مصري. والبعثة التي كانت موجودة في اليمن يجب أن تعود إلى مصر. تفادينا ذلك بجهد عظيم وقلنا لا يمكن أن نرفض البعثة لأن في ذلـــك إســـاءة لمصـــر التي أظهرت التضامن والتأييد. كان يريد أن يظهر أن تلك الحركة ليست من الشعب وإنما هي مدفوعة من جهات أجنبية. ولم نرجع من مصر إلا وقد كان الإمام منقلبا تماما.

س ــ كان البدر بسيطا أليس كذلك؟

ج ــ كلا. كان ذكيا إنما بطيء الحركة.

وقبل عودتنا من مصر ألقيت حديثا من صوت العرب عن زيارتي لمصر. ثـــم رجعـــت إلى اليمن فوجدت الإمام منقلبا انقلابا شديدا وبدا كأن في نفس البدر شـــيئ. كانوا هم أكثر اقترابا من بعضهم البعض. وكنا نجد التجاوب أينما ذهبنا، عند السعوديين وعند المصرين. فكأنه أوحى لأبيه بشيء. فقال: "يا أستاذ، نريد أن

نعــرف مـــا هي الرجعية؟" قلت له: "ما هو الداعي لهذا السؤال." قال: "في خطبتك التي ألقيتها من صوت العرب، إنهم حرروا مصر من الرجعية." فقال أحد الجلساء: "الرجعــية هــم المتمسكون بدينهم وبلغتهم. هؤلاء رجعيون". فقال: "هكذا يا أستاذ نعمان، أعطاك الله بيانا لتدافع عنا؟." قلت له: "استأذنكم أن أقترب منكم". ـــ لأنني كنــت في آخر المكان ـــ فقال: "تفضل". ـــ كانوا يجلسون على الأرض في ديوان وكـــل في زاوية لا يسمع الصوت إلا بمكبر صوت ـــ بعد أن استأذنت اقتربت منه وبقينا نأخذ ونرد حتى لانت عريكته، وقلت له: "كلمة الرجعية اصطلحوا عليها في العصر الحديث ولها معنى ليس كما قالوا إنها تعنى الخروج من الإسلام، بل معناها الذي يجمد على وضع معين يكون غير صالح يقولون إنه الرجعية. أما نحن والحمد لله الآن عــندنا المعارف والوزارات. ثم قلت له إنكم الآن تنفقون على المعارف ٣ مائـــة ألـــف ريال كل سنة. لكن هذه المدارس ماذا تخرج في كل سنة؟ قال: "والله صـــدقت، الآن الأســـتاذ يكـــون مستشارا للمعارف في اليمن كلها. يا قاضي محمد العمـــري. اكتبوا أمرا بأن الأستاذ نعمان مستشار لعموم معارف اليمن ويعمل وأنا أؤيده بقلبي وبقلمي وبكل ما عندي. استلمت مرسوما طويلا عريضا بختم من الإمام وقلت: "الحمد لله خرجنا من الجلسة بأمر".

أخـــيرا جاءت إحدى الجلسات فاقترحنا تشكيل وزارة وأن يكون البدر رئيسا للـــوزراء، وتكـــون أنت المرجع" قال: "ألا يكفيكم الفتنة الأولي تريدون أن تجددوا الفتن أنت والإرياني؟" قلت له: "أية فتنة". عندئذ استدعيت البدر وواحد من أصهاره وقلت: "أنت قاتلت من أجل أن تعيد العرش لإخوتك وكنا نحن في السجن. أردنا أن نـــرد لك الجميل بأن نطالب بولاية العهد لأبنك. فوقف اخوتك هذا الموقف بدلا من أن يقدروا الجميل لك كما قدرناه نحن". قال: "والله صدقت والله أني كنت محاصر والرصـــاص يطلـــق على بيتي وأن أخي عبد الله بالغرفة عندي وأنا أنصحه بعدم الخـــروج لئلا يصيبه الرصاص. صنعت له كل واجب. أما ابني فلا أفلته. قلت له: "نحـــن لم نعمل أي شيء". إلا أننا وفاء بما قدمته لنا أردنا أن نفعل ذلك. والآن إذا أردت تأجيل هذا الأمر فلا مانع من ذلك." توقفنا وبدأ حسد المقربين للإمام والذين أصبحنا أقرب منهم يتسربون إلى الإمام ليلا عن طريق النساء وغير ذلك ليرجعنا

للتعليم إلى حجة . ففي فترة من الفترات ، ونحن في جلسة دخلت لأصافحه قال : "لا تصافحني أبدا". سألته: "لماذا؟" قال: "طلبت منك كلمة تكتبها للإذاعة ضد الإنكليز خدمة للإسلام فما سمحت نفسك أن تكتب هذا الكلمة". قلت له: " افتروا علي افتراء عندك. من الذي أبلغني ولم أعمل. ولكن ها هو القاضي محمد العمري والقاضي محمد الشامي، طلعت إليهم يوم الجمعة بكلمة للإذاعة حول هذا الموضوع الذي تطلبه دون أن يبلغني أي طلب. وطلبت منهما أن يرسلوها إليكم". فقال القاضي العمري: "نعم أنا أرسلتها إليكم". فقال: "يمكن أني لم اقرأها إلى الآن". حاول أن يخلق من هذا سببا. فات هذا السبب. فاقترحت عليه: بما أن الاستعمار الآن حول اليمن ونحن صامتون، يجب أن يشكل وفد وأن نسافر إلى الحجاز، وبمناسبة مجيء عبد الناصر وسيلتقي مع الملك سعود. فلو تقترحون سفر البدر وفلان وفلان وإذا عندكم ثقة بي فأكون مرشحا نفسي سكرتيرا للوفد. أرسلت الرسالة فصادفت هوى في النفس وإذا به يستدعي العمرى والشامي وقال لهما : "ما رأيكما بعمل كذا وكذا وبالسفر إلى الحج ونطلب الولد البدر من صنعاء والنعمان يكون معكم؟". فقالا: "وهو كذلك". وكنت قد طويت النية على الخروج نهائيا من الحج إلى مصر. وكان الزبيري يلح علي من هناك بالكتابة. وبعد اللقاء مع عبد الناصر عند ما زرت مصر مع البدر، جذبني هذا اللقاء إليه جذبا شديدا، لأنني التقيت به على انفراد بدون البدر. ففتحت شهيتي لأكون مع أولئك القادة، أمني نفسي بأني سأصبح بمساعدتهم منقذاً لليمن عن طريقهم. سنلحقها بمصر وتصبح جزاء من مصر.

استجاب الإمام طلبنا وسافرنا إلى الحجاز عند سعود. ثم أتممنا مناسك الحج وأنا أرتب الأمر مع عبد الوهاب عزام، سفير مصر في السعودية، وهو يرتب لي الأمر لأنه كان يحقد في نفسه على الإمام الذي رفض أن يقابله عند ما زار اليمن. فقال لي: "خير ما أعمله أن أيسر لك السفر". ولما كنت مع البدر في سهرة في القصر قلت له: "جاء حجاج من الحريم من اليمن من أقاربنا، سأخرج معهم لأسهر عندهم . فخرجت إلى السفارة المصرية ومنها إلى المطار . وتوكلت على الله ، وسافرت إلى القاهرة بمفردى .

س ــ في أي سنة ؟

ج ــ فـــي أغسطس سنة ١٩٥٥ . افتقدوني في الحجاز. أبرقت لأبني محمد وكان في تعز. وقد تفاهمت معه إذا قررت السفر سأقول لكم نحن بعد مناسك الحج سنســـافر إلـــى المدينة المنورة في تاريخ كذا، فيفهم ماذا أعني. وهكذا سافرنا إلى مصـــر العزيزة فاستقبلونا بالترحاب. وكان الحديث من صوت العرب، من أرض الأحرار، من الأرض التي أنجبت جمال عبد الناصر. عند ما بلغ الخبر إلى الإمام أحمـــد كـــان جهاز الراديو بين يديه فضرب به الجدار حتى حطمه. وأخذ يتساءل: "وفيت معه وقتلت إخواني وفعلت كذا وكذا حتى يصبح أخيرا ضدي بهذا الشكل؟"

(حصل انقطاع في الحديث في نصف الوجه الثاني من الشريط.)

... أعدنـــا إصدار "صوت اليمن" كما كنا قد فعلنا قبل ١٩٤٨ في عدن. أعدنا أســـمها مـــن جديـــد ويوضع فيها اسمي الزبيري ونعمان، رئيس تحريرها ومدير سياستها، الاثنان معا لنحيي في نفوس اليمنيين الذكرى. مما سبب ضجة كبيرة في مصر. وهدد الإمام أحمد بأنه سيلتحق بحلف بغداد. وإذا بهم يقولون لنا توقفوا، لا داعي لصوت العرب ولا لصوت اليمن. تفاهم الرئيس عبد الناصر مع الإمام أحمد والملك سعود. فأدركنا أننا ملعونين في الدنيا والآخرة، وهذا بسبب النفاق. ولكن هذا لم يجعلنا نسيء الظن، بل اعتقدنا أنها سياسة حكيمة.

س ــ هل واصلتم مقابلة عبد الناصر؟

ج ـــ لـــم يعد يقابلنا ولم نر له وجها. لقد ذهب البريق الذي كان لنا ونحن في الســـلطة وأصبحنا من أبناء الشعب. وأنتم تعرفون قيمة الشعوب عند الحكام. بقينا نحـــن والزبيري. انزوينا لأنفسنا وتركنا كل شيء. وساد الصمت. ماذا نعمل؟ لقد دخلـــنا فـــي مقامرة وصرنا نشعر بحزن أمام الشامتين وأمام الأعداء ولسان حالهم يـــردد: "ماذا سيعملون؟، ماذا عمل لهم عبد الناصر؟ لو بقوا في بلادهم لكان خيرا لهـــم". فأردنـــا أن نثبـــت أننا أقوياء وأن مصر أرادت أن تطبق سياسة بعيدة بهذا

العمـــل. وهكـــذا صرنا نخلق المبررات والأعذار لنحفظ ماء وجوهنا من الهزيمة البشـــعة والغلطـــة المنكرة. وهكذا تواصلت الأمور ونحن نصدر الكتيبات ونحاول الاحـــتجاج ولكـــن لـــم يحدث شيء إلى أن جاءت الوحدة العربية. تحققت الوحدة العربية بين سوريا ومصر . رقصنا لها مع الراقصين ، وقلنا جاء اليوم الموعود. الذي يجب على اليمن أن تلتقي مع العرب وتلتحق بهم. وكانت قصة الإمام كقصة الحاخام. يقال إنه: "كان على أيام الدولة العثمانية في حمص حاخام يضطهد اليهود اضـــطهادا شديدا. فقرر اليهود لكي يتخلصوا من نفوذه الذهاب إلى الوالي التركي ليعلنوا إسلامهم ليرفع عنهم ولاية الحاخام اليهودى . فعلم الحاخام بسفرهم فسبقهم. وصـــل إلـــى الوالـــي وأسلم على يده. فأصبح شيخا وعاد إلى بلاده. وصل اليهود ليســـلموا، فظـــن الوالي إن ذلك بتأثير الحاخام. ففرح بهم. وحينما رجعوا وجدوا الحاخام في المئذنة يؤذن للصلاة: الله أكبر الله أكبر" .

ونحـــن كـــنا ندعو الإمام أحمد للعروبة فإذا به ينظم لاتحاد الدول العربية مع الجمهوريـــة العربية المتحـــدة . وأصبح ثالث الثلاثة ، أبطال العرب التحرريين ، عـــبد الناصـــر وشكري القوتلي والإمام أحمد. وصرنا نحن خارج اللعبة. أين مقر وزراء الاتحاد؟ في القاهرة. لأن الإمكانيات كثيرة. فكان من نصيب عبد الناصر ٦ وزراء يـــتحمل نفقاتهم ، ٤٠٠ جنية شهريا لكل وزير ، وسيارة ، وسائق وسكن . بعضـــهم زملاء مثل أحمد الشامي من وزراء الاتحاد . وكنت أنا والزبيري نجري لـــنلحق الأتوبيس وهو يمر بالسيارة ويضرب لنا سلام . ويمزح قائلا : عيشوا مع الشـــعب يا أبطال. تحملنا هذا كله وصبرنا. أتي الوقت الذى اختلفوا فيه مع الإمام حيـــنما رفض أن ينزل إلى مصر. فاحتدمت المعركة بينه وبين عبد الناصر. ونظم قصيدة شعرية يهاجم فيها التأميم والاشتراكية، ويندد بهما ويوجه الشتائم من الإذاعة إلى الإدارة. وكان الرد من عبد الناصر إن ألغى الاتحاد. فلما ألغى الاتحاد تحركت فـــي نفوســـنا الأشواق لنستغل الموقف . بما أن عبد الناصر غاضب هيا بنا ندخل المعركة . فاتصلنا بهم نريد أن نقوم بنشاط نعيد به صحيفة صوت اليمن والحديث من صوت العرب. لم يستجيبوا لنا أنا والزبيري. لماذا؟ لأننا نحمل أفكارا صحيحة ومتعلقيـــن باليمـــن ونـــرى تحريـــرها بالفعل وليس بمجرد الشعار. وإذا بنا نفاجأ

بالدكـــتور عـــبد الرحمـــن البيضــــاني يذيع من صوت العرب. استغرب اليمنيون. وتساءلوا أين نعمان والزبيري اللذين عاشا للحرية والأحرار؟ لماذا لم يتكلما؟ كانت مجلة روز اليوسف تنشر كل ما يذيعه البيضاني من هجوم سافر على الإمام وعلى أســرة الإمـــام. ونحـــن لا نقـــبل ذلـــك الأسلوب، أثار نعرة التفرقة بين الهاشمية والقحطانـــية والـــزيدية والشافعية، وأخذوا يعملون عملا دون أن نشترك فيه. فبقينا على ابتعاد. وإذا بنا نهاجم من صوت العرب. الأحرار القدامى الذين يدعون للعقل وللحكمـــة ولا يـــريدون حمـــاس الشباب ولا جنون الشباب. فصبرنا وإذا بنا أيضا نفاجأ بثورة ١٩٦٢. كل ما كان للأحرار من مشاعر ومن مكتسبات، تبناها الدكتور عبد الرحمن البيضاني. وكما كان عبد الناصر يقول: البعثيون سرقوا شرف الكفاح وســـرقوا شـــرف النضال العربي فإذا بعبد الرحمن البيضاني يخطف في ليلة كفاح الأحرار من عهد الإمام يحي وتضحياتهم. وقامت الثورة وإذا بالدكتور عبد الرحمن البيضاني صدرها وأمها وأبوها. ونحن باقون في القاهرة. بقينا نرقب الأحداث. بعد خمســـة عشر يوما أتصل بي حسين الشافعي وكان بيننا وبينه صداقة من أيام سنة ١٩٥٥ وهو ظل على علاقته بنا كصديق. وكنا نتردد إليه حينما حدثت تلك الأعمال حيـــنما جرت تلك الأعمال ضدنا في القاهرة، استدعانا وسأل: "لماذا لم تسافر إلى اليمن؟" قلت له: "لماذا أسافر؟" قال: " كل ما كنتم تهدفون إليه تحقق. انتهت الإمامة وانتهى الإمام. قلت له: "البركة في الحاصل." قال: "لا. أريد أن أعرف لماذا؟" فقلت له: "من البداية لم اشترك فى هذه العملية، فلا أريد أن آخذ كفاح الآخرين."

وحدثنـــي عن أن الأمور في اليمن كانت قد بدأت تسوء في أول الثورة. كانت مواجهـــة البيضاني للناس مفاجئة لهم. كانت القبائل قد ألفت الإمام، فمن أين جاءهم هذا البيضاني؟

ومـــن خـــلال الأخـــذ والـــرد قلت لحسين الشافعي: "لا أعرف كيف تصرف البيضــــاني. فهـــذا لم يكن تصرفا يمنيا ، لا أدري كيف كان ذلك العمل؟ " قال : "وأنـــا أيضـــا لا أدري بقضية اليمن ، المتخصص فيها هو السيد أنور الســـادات." وأنور السادات له علاقة بالبيضاني علاقة صهارة. والبيضاني مولود في مصر من أم مصرية والأب غير معروف. ثم قال لي: "دعني أتصل بأنور الســـادات وأبحث

الأمـــور معـــه ثم نلتقي مرة أخرى " . قلت له : " وهو كذلك ". وبعد أن أتصـــل بـــأنور السادات دعاني إليه وقال : " هل تعرف أنور الســـادات ؟ " قلت له : "كلا. لا توجـد معرفة شخصية إنما أراه في الحفلات فقط". قال: "لا بد أن تتعرف عليه لأن قضـــية اليمـــن بيده وهو المســؤول عنها". قلت له: "وكيف ذلك." قال: "نحن حددنـــا الموعد، في الساعة العاشرة من يوم الجمعة من شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢. تذهـــب إلى منزله". وهكذا ذهبنا وتصافحنا وأخذنا نتبادل الأحاديث من هنا وهناك، وإذا بـــه يسرد لنا قصة الثورة اليمنية التي قاموا بها ولمن سردها؟ للثوار اليمنيين. قلـــنا: "علـــى كل حال كيف ما كانت الوسائل فعلينا أن نصحح من الآن فصاعدا. وعليـــنا أن نتعاون في العمل للتصحيح". قال: "وهو كذلك. عليك أن تقابل الرئيس وترتب نفسك لتسافر معنا إلى اليمن". كانت مفاجأة عنيفة بالنسبة لي. في الليل ذهبنا وقابلـــنا الرئـــيس جمـــال عبد الناصر الساعة الثانية عشرة، منتصف الليل. فقلت للرئـــيس عبدالناصر: "هل تذكر أين التقينا؟" قال: "نعم، أذكر، على أيام البدر سنة ١٩٥٥". ثم قال: "نحن نعمل لخدمة الشعب اليمني. ولا بد من نتائج حسنة، فاذهبوا مـــع إخوانكـــم ونحن سنقدم لكم كل مساعدة. كنا نجهز الطائرات التي لم تزل في الصناديق ونرسلها في طائرات كبيرة، ولم نعرف لماذا إخواننا هناك كانوا خائفين. كل ساعة يقولون نحن في حاجة إلى قوة %. قلت له: "لربما لم يتخذوا بعد التدابير الكافية للعملية." عند ما كانوا يبحثون معنا القيام بأية حركة كنا نقول إن اليمن غير مستعدة للقيام بأية حركة. فكل حركة ستقوم في اليمن معناها أنها ستؤدي إلى مزيد مـــن الصـــعوبات ومضاعفة المتاعب على شعب اليمن. ولم يكن في الحسبان أن مصـــر ستقف تلك الوقفة الجبارة بجانب اليمن إلى هذا المستوى. لأننا كنا نتساءل عمـــا إذا كانت أية دولة تستطيع أن تساعد اليمن إذا قامت بأية حركة. كنا نعتقد أن مـــن الممكـــن أن تقدم لها الدعم المعنوي بكلمة في الإذاعة. أما أن تقوم باحتضان الـــثورة فهذا كان مستبعدا في نظرنا. لأنني كانت عندي نظرية استنتجتها من كلام جمـــال عـــبد الناصـــر جعلتني على يقين بأن مصر لا يمكن أن تتدخل في شؤون اليمن. كنت أظن ذلك مستحيلا. أستخلصت ذلك مما نشره هيكل من أن عبد الكريم قاســـم عـــند ما كان في الأردن هو وعبد السلام عارف، كانا يرغبان في أن يقوما

بانقلاب في العراق، فطلبا من عبد الناصر المعونة. فكان رد عبد الناصر بالحرف الواحد: "أكتم سرك حتى عنا، لا تطلب معونة أحد حتى معونتنا. أن كنت بنفسك فأنت ثائر، وأن استعنت بغيرك فأنت متآمر. ونحن مع كل ثائر حر بكل ما نملك وبكل ما نستطيع". هذا ما جعلني استبعد وأرفض أن تعيننا مصر، مع أنهم كانوا يقولون لنا لو قمتم بحركة فإن مصر ستمدكم بالمال والسلاح. ثم أن عبد الناصر يقول كلمة أخرى: "أية ثورة لا يوجد من أبنائها جيش يحميها، لا يمكن أن يحميها أي جيش من الخارج مهما بلغت قوته". ورفض أن يتفق مع العراقيين عند ما قاموا بثورتهم واتفقوا على أن تأتي الجيوش المصرية لتساعد الجيش العراقي. ولكن ما كل ما يقال يعمل به حرفيا.

في تلك الليلة عند ما جئنا لتوديعه قال: "الآن يقولون إننا مستعمرون". قلنا: "ينبغي أن لا تكون عندكم حساسية زائدة. ولكن ما دمتم تعملون من أجل خدمة العروبة ومن أجل كرامة الإنسان اليمني الذي أكرمه الله بها، فينبغي أن لا تعطوا أي اهتمام لذلك".

خرجنا بعد الوداع وكان معنا كمال رفعت (أحد الضباط الأحرار المصريين المقربين من عبد الناصر، وأحد المسئولين المصريين آنذاك). وصلنا إلى اليمن. ذهب أنور السادات وكمال رفعت إلى القيادة العربية (كانت هذه تسمية قيادة القوات المصرية في اليمن آنذاك)، بينما نحن دخلنا إلى القصر الجمهوري مع السلال والضباط (وهذا يعني أن استقبالا كبيرا قد رتب للواصلين في المطار، وسار الموكب وعلى رأسه الرئيس عبدالله السلال وقائد القوات المصرية في اليمن). ولكن النفوس معبأة ضدنا (أي ضد زعماء حركة الأحرار، وبالأخص نعمان) من اليمنيين أنفسهم من قبل الثورة، ومنهم الضباط الأحرار، بأننا رجعيون، وعملاء للإنجليز. كنت ألمس بأن هناك جوا غير عادي. ولكن عندما علم الزملاء والأصدقاء بوصولي أقبلوا من كل مكان. الذين جاءوا من عدن، والذين جاءوا من تعز. كل هذا أحدث رد فعل عند السلال والبيضاني. فبقينا نحاول ونعتقد أننا سنعالج الموقف. ولكن أين مكتب الحكومة ؟ بل أين الحكومة ؟ لا توجد حكومة. كل

مـــا يوجد هو الجيش المصري والسلال والضباط يقتلون ويخرّبون وينهبون. فأين وجــه الــثورة؟ لا بــد على الأقل من وجود مكتب يجتمع فيه ذوو الرأي والفكر ليضعوا خطة للإذاعة، خطة لاستقبال الناس. عند ما طالبت بذلك قال السلال: "أنا موافــق علـــى هــذا." وحـــالا خصصنا جناحا في القصر الجمهوري، واستدعينا مجموعة. استدعينا مثلا عبد الرحمن الإرياني. فقررنا إبقاء العسكريين على حالهم ونحن نعمل ما صممنا على عمله. بدأ الناس يتوافدون إلينا من أجل حل مشاكلهم. صدر إعلان من البيضاني يمنع دخول أي فرد إلى القصر الجمهوري إلا بتعليمات مــنه. وإذا بالـــناس يصـــيحون من الخارج: "يا أستاذ، يا أستاذ، لم يسمح لنا أحد بالدخول. سألت لماذا هذا المنع؟ قالوا: يخشى من وضع قنابل في القصر قد يضعها المندسون. عندئذ علمنا بأن الأمر غير سليم. فماذا نعمل؟ عقدوا المجالس وقالوا إن علـــى نعمـــان أن يخرج ممثلا لليمن في الجامعة العربية. البعض تساءل إذا كنت موافقا! كان الرد: "إذا لم يوافق سينفذ الأمر بالقوة". أما عبد الرحمن الإرياني فقال: "أنا أســـال نعمان ." وجاء الإرياني وقال لي: "ما رأيك ؟" قلت له: "هل أنت موافق على ذلك؟" لم يجبني حتى لا يقول إن الجو مكهرب ومتوتر. عندئذ قلت له: "على كـــل حال لا مانع عندي." ولما اجتمعنا قلت لهم: "من الأفضل أن نجتمع بالرئيس عـــبد الناصر ونخبره بالأمر على حقيقته". قلت ذلك ولا يزال الغباء مسيطرا على الجـــو. قالوا: "منسوب الذكاء عند العربي لم يصل إلى مستوى الانتفاع من تجارب غيره، حتى ولا بتجارب نفسه".

وهـــذا مـــا جـــدد الأمل لدي بأن للخروج فائدة. عند ذلك وجدت من الأفضل الموافقـــة. فقلـــت للقاضـــي عـــبد الرحمن الإرياني: "ما رأيك بأن تذهب معنا إلى الســـعودية، نطلب من الملك سعود الاعتراف بالجمهورية وتحسين العلاقات ونرفع عـــنكم الجـــيش المصري لأنه لن يعود يوجد أي مبرر لوجوده". قال: "إنها فكرة." ذهب الإرياني وطرح الفكرة علنا في المجلس. وإذا بالبيضاني يتخذ قرارا بخروجي أنا والإرياني ومحمد علي عثمان والمروني وأحمد المعلمي، وإبراهيم الحضراني، ومحمـــد الفسيل (جميعهم من الأحرار الذين شاركوا في ١٩٤٨)، وحمود الجائفي (أحـــد الضـــباط الكبار وكان المرشح الأول لتولي منصب أول رئيس للجمهورية

ولكــنه لم يقبل)، ومغادرتنا اليمن جميعا حالا إلى القاهرة. وأبرقوا بهذا القرار إلى القاهرة قائلين إن هؤلاء يريدون إرجاع البدر. ولما عاد إلي عبد الرحمن الإرياني قلت لــه: "لم يتم مشــروع أمس." قال: "لا تخف. أنا الآن معك." أتســع البرنامج وأرسلونا بالطائرة إلى القاهرة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢.

س ــ ما هي المدة التي قضيتموها في اليمن؟

ج ــ أربعة عشر يوما. وصلنا يوم ١٣ أكتوبر ١٩٦٢ وبقينا إلى يوم ٢٧ من الشــهر نفسه. ثم رجعنا إلى القاهرة حيث بقينا هناك وهم يعملون ما يشاءون. بعد فــترة رجــع الإرياني وبعض الإخوان، أما أنا فبقيت مندوباً في الجامعة العربية، أو "مــنذوق" فــي الجامعة العربية كما يقولون في اليمن. بقينا هناك ما دام الأولاد يدرسون إلى سنة ١٩٦٤ . ساءت الأمور في اليمن. الجيش المصري ظل كما هو لم يتقدم. والناس يتطلعون إلى حل يعيد الجميع إلى الوطن. عندما عدت إلى القاهرة مع الإرياني أرسلت مذكرة للرئيس عبد الناصر.

ينقســم اليمــن إلــى قسمين. شافعية وزيدية. الزيدية هؤلاء هم أتباع الإمام وشيعته. الجنود منهم، إذ لم يكن يجند من الشافعية، وإنما يجندون دائما من القبائل الموالــية لهم العساكر والعمال (مسئولي المناطق) والموظفين، وحكام المناطق، أي قضــاة الشــرع علــى اعتبار أن المذهب الزيدي مذهب الإمام وهو المذهب الذي يعتقدون أنه الصحيح وبالتالي ينبغي أن يسود في البلاد ويحكم بقواعده وقوانينه. لم يكــن هــؤلاء الزيود يشتغلون كثيرا بفلاحة الأرض ولا بالتجارة، بل كانوا تحت الســلاح يلبون نداء الإمام للجهاد في سبيل الله. ويطلق عليهم المجاهدين في سبيل الله. حتى إنهم ينصبون أعلاما كبيرة يكتب عليها اسم الإمام "أمير المؤمنين نصره الله"، والجهــاد تحت ظل السيوف. وكان شعارهم "جعل رزقي تحت ظل رمحي"، باعتبار إنهم يغزون البلاد الكافرة فتصبح بلاد الكفار غنيمة لهم. وكل من كان غير مــوال للإمــام لا يعتــبر في نظرهم مسلما كاملا إذا لم يكنْ مرتبطا بعقيدة الإمام وولائــه ومذهبه. حتى إنهم وضعوا قاعدة يقولون فيها: "من أنكر على الإمام بقلبه فهــو فاســق، ومن أنكر عليه بلسانه فهو كافر، ومن أنكر عليه بيده فهو محارب،

وفـــي كل الأحوال فهو عاص يستحق العقوبة". حرموا حتى الإنكار بالقلب مع أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب عليه. يقول النبي: "إن الله لا يحاسب أمة عما حدثت به نفسها". حتى أن الناس يساقون أحيانا إلى السجون ولا تعرف الأسباب التي أدت إلـــى إدخالهم السجون. ولا يمكن أن يسأل الإمام لأنه فوق الشبهات وخليفة الله في الأرض. وخليفة الله لا بد أن يكون متصفا بصفات الأصل. والله يقول لا يسأل عما يفعــل. وكذلك الخليفة لا يسأل عما يفعل. وتعتبر قلة أدب أو خروجا عن المألوف أن تسأل الإمام لما ذا تصنع كذا. إذا قلت لماذا؟ يقول لك لأن الإمام ينظر بنور الله ولا يمكــن أن يـــأخذ أحدا بدون سبب. وهكذا قد يتحدث الإمام بنفسه ويجيب عن التساؤلات التي يشعر أن الناس يتساءلون بها عن سبب حبس فلان، فيقول إن فلانا هــذا خبيث لا يحبنا. أو هذا فلان نيته غير سليمة، وهكذا. فهؤلاء الشيعة موالون للإمـــام بهـــذه الـــروح. ولكـــن كيف يمولهم الإمام؟ كيف يعطي المرتبات لهؤلاء المرتـــزقة والمواليـــن، منهم الجنود يوزعهم على أنحاء اليمن وفي مراكز اليمن؟ فيجعل كل جماعة منهم وكل قبيلة تحت اسم شيخ من مشائخ هذه القبائل عند الحاكم الفلانـــي فـــي المـــنطقة الفلانية، يبقون هناك ليتكسّبوا. ماذا يصنع الحاكم بهؤلاء القـــبائل؟ أي فـــلاح يبلغهم عنه خروج أو سوء أو مطالب للحكومة، أو يكون عليه واجبات، ضرائب جائرة، للحكومة، يرسلون إليه جنديا لينفذ به الحكم. وهذا الجندي يـــأخذ أجر المسافة التي قطعها إلى بيت الفلاح من الفلاح ويأخذ أيضا أجر المبيت إذا بـــات عنده ليلة أو ليلتين، فتكون ضريبة على الفلاح ويكون الجندي ضيفا عنده ويسمونها "الممسى". ثم أن الفلاح يطعم هذا الجندي مما لا لا يستطيع أن يطعم به نفسه. هكذا كانوا يرغمون على الاعتناء بغذاء الجنود. ولكن عند ما ظهرت حركة الأحرار وتقوت بدأت الشكاوى تزداد إلى الإمام وتضج من هذه الأساليب، وتطالب بـــأن يوجـــد جيش لـــه مكانة وله رزقه. كذلك أحيانا لم يكن للجيش ثكنات، فكانوا يدخلون بيوت الفلاحين جاعلين منها ثكنات وعلى الفلاحين أن يخدموهم وأن يقدموا لهم كل ما يلزم من الخدمات.

هـــذه من الأسباب التي أدت إلى الثورة. ضج الناس وقالوا نريد إيقاف التنافيذ والخطاط، "التنافيذ" إرسال الجنود على الفلاحين، يجب أن تنشأ خطوط للاتصالات

ويتصـــل بالمطلوب لحضوره بدلا من أن يستخدم الجندي ويذهب ثم يقبض الأجور مقـــابل الذهاب من الفلاحين. هذا من جهة التنافيذ. وهناك "الخطاط"، عندما تتذمر القــرية، يبعــث إليها جيش من هذه القبائل ليحتل القرية ويعيش على حساب أهلها وينهب أثاثها وكل ما فيها حتى تصبح القرية معدمة. ويعتقلون الرهائن ويأخذونهم. فهذه شيعة الإمام وجنوده يعيشون معه على هذه الطريقة.

فلمـــا بدأ الإمام أحمد بعد ضجة الأحرار وبعد أن أخذ الناس يضجون، يحاول أن يغـــير مـــن هذه الأساليب، دون أن يجعل للقبائل موارد ولا مصانع ولا أعمال يشـــغلهم بهـــا، عندئذ بدأ السخط ضد الإمام، لا لأنه خرج عن جادة الصواب، بل لأنهم حرموا من الأموال. ووجد للإمام منافسون من إخوته يثيرونهم أيضا، قائلين إن الإمـــام يســـتمتع بالأموال ويخص جماعة أخرى بحراسته والعمل معه ويلغيكم أنـــتم. كانـــت هـــذه صـــورة من الأحداث التي أدت إلى سخط الشيعة على الإمام ومحاولة قتله والخروج عليه والثورة، بسبب حرمانهم لأنهم لا يدرون كيف يعيشون ولا يجدون فرص عمل أخرى لكسب العيش دون حاجة إلى تسليطهم على الرعية.

كنت قد ذكرت لكم أنني رجعت من صنعاء إلى القاهرة وأردت أن أقدم رسالة إلـــى عبد الناصر. وكما قلت، رأينا أن الأمور لا تحتمل، وأن مصر يجب أن تتخذ سياسة غير هذه السياسة التي كانت تتبعها آنذاك في اليمن. وخطر في بالنا أن عبد الناصـــر لا يعرف شيئا عن هذا. فلما حملونا على الخروج تحت تلك الأسباب التي شرحناها، كانت تثار ضدي بالذات دعاية بأنني أنا الذي أعمل ضد المصرين، وأن الصـــحف في سوريا نشرت أنباء ضد مصر حينما كان الخلاف محتدما بين سوريا ومصـــر، وأن هذه الأنباء لا يمكن أن تكون من أحد إلا من نعمان، وأنه هو الذي نشـــرها. كنـــت قد مكثت خمسة عشر يوما في صنعاء. ولما رجعت إلى القاهرة كانت هذه الأنباء قد انتشرت، ثم كانت تنشر أنباء عن سوء التصرفات، وعن تدخل المصريين، و تمس بالبيضاني، وتقول إن بينه وبين أنور السادات قرابة أو صهارة، وبالتالي فإن السادات هو الذي أراد أن يجعل منه واجهة. فكان السادات يسمم الجو عند عبد الناصر ويقيم الحجب بيني وبين عبد الناصر. لهذا قررت أن أكتب مخلصا

رســالة لعبد الناصر على أمل أن الحقيقة محجوبة عنه. ولكن من أي طريق أبعث بها إليه؟ ثم تمكنت من بعثها عن طريق كمال رفعت الذي كان وزير العمل. وكمال رفعــت من الرجال الممتازين وكان لـــه رأي في أسلوب التعامل مع اليمنيين غير رأي أنــور الســادات والمشير عبد الحكيم عامر. فذهبت إليه وقدمت لـــه رسالة وشــرحت له الأوضاع. وكان يشاركني في وجهة نظري. ثم قلت له: أريد أن تقدم هــذه الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر، وكان تاريخها يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٢، لأن الــثورة قامت في ٢٦ سبتمبر ونحن رجعنا في أواخر أكتوبر من اليمن. وفي ١٤ نوفمبر قدمت الرسالة. وكان القاضي الإرياني قد وجد فرصة للالتقاء بعبد الناصر.

س ــ ما هو فحوى الرسالة؟

ج ــ فحــوى الرســالة كما أذكر هو: كان في الزمن القديم سليمان بن داود، وكانت في اليمن بلقيس، وكان طير اسمه "الهدهد" ذهب إلى سليمان بن داود يقول له: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين). وأنا الآن أعتبر نفسي الهدهد في القرن العشرين، وقد جئتك من سبأ بنبأ يقين، وأحطت بما ربما لم تحط به علما. لم أقل كما قال الهدهد أحطت بما لم تحط به. كنت أكثر من الهدهد تواضعا وجعلت عــبد الناصر أكبر من سليمان وقلت له أحطت بما ربما لم تحط به علما. وشرحت له القضية، وقلت له إن الشلة التي تحكم اليوم مع البيضاني أسوأ من الشلة التي كان الإمــام أحمد يحكم بها اليمن. وأنا أؤكد لكم أن هناك حقيقة تتصرف بحياتي وتدور معــي فــي هــذه الحياة، إنني أتعامل مع الناس ومع الحكومة على أساس مصلحة اليمن. ولولا أن هذا هو مدار تحركي في حياتي ما خرجت على الإمام أحمد الذي أنقذنــي مــن الموت وأنا متهم بالخروج عليه وبقتل أبيه، وهو الذي يقول إن البدر عينــي اليمــنى ونعمان عيني اليسرى. ولكن كانت اليمن وقضيتها أثمن من كسبي الشخصي. وأنت، تتعلق بك أحلام العروبة وآمال العرب، فلا أريد لهذه القداسة أن تصــاب بشـــيء من الشبهات والشكوك فيما يتعلق بقضية اليمن. فإن الأمور تسير علـــى غــير مـــا يقتضيه العدل وتقتضيه المشاعر العربية والكرم العربي والخلق العربـــي. فأناشـــدك أن تستدعي من رجال اليمن الإرياني والزبيري والشيخ محمد

علـــي عثمان ومجموعة من هؤلاء الرجال لتبحث معهم قضية اليمن حتى لا تذهب الأمور إلى غير ما قصدت أو أردت. وإني أؤكد لكم أن الأمور إذا سارت على هذا الـــنحو فـــإن الجمهوريـــة العربية المتحدة ستخسر كرامتها وسمعتها وهيبتها. بهذا الـــتحديد وهذا اللفظ أرسلت الرسالة سنة ١٩٦٢ بعد الثورة بشهر ونصف. وأخذت انـــتظر الـــرد. فلـــم يأتنـــي الرد. ولكن بعد أسبوعين من تقديمها استدعاني أنور السادات، فلما أتيت جلس بوجه عابس، وهو دائما عابس الوجه، ولأن وجهه قطعة مـــن الظـــلام لا يتبين زيادة الظلام فيه. وفي ما قال نوع من الكلام يوحي بالحقد المريـــر. وممـــا قـــال: "لقد دعوتك لأحدد معك موقفا من مسألة اليمن، فسوف لن نشـــتغل فيها إذا كنتم ستخونوننا وتتهمـــوننا . الرســـالة التي أرســـلتها للرئيس عبد الناصر"، وأعطاني إياها: "ما كنت أحسب أن نعمان بهذه الروح، سوف يعمل لنا أكثر من السوريين". قلت له: "لقد قدمت الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر، على أساس إنه المرجع وأنه الأب، فأردت أن أعطيه بحسب إخلاصي، حسبي أني كنت مخلصـــا، وأنـــا لـــم أقـــدم بيانا لدولة أجنبية ولا رفعت لمخابرات ولا نشرت في الصـــحف. ولكننـــي عرضـــت للمسؤول الأول عن القضية لأنها قضية خطيرة." وأضـــاف "جاء في الرسالة إن البيضاني صهر أنور السادات ويريد أن يؤثر على الـــناس بهـــذه الدعوة. فمن أين لك إنني صهر البيضاني". فقلت له "هذا ما يرويه ويـــتحدث به للناس ولكن هذا ليس بالمهم. عندما رأينا أنك تسيء الظن بنا، وجدنا أنه من الأفضل أن نعرّف الرئيس عبد الناصر باعتباره المرجع الأول والأخير لنا. وأنـــا الآن لـــم يعـــد يهمنـــي شيئ من هذا، كل ما يهمني هو أن زوجتي مصابة بالانفصال الشبكي في عينها والعملية لم تنجح في مصر، فأريد أن أسافر إلى ألمانيا الغربية للعلاج، وأترككم تتصرفون كما تريدون. فتلك نصيحة قدمتها." قال: "على كل حال لم أتوقع أن تشتمنا وأن تحمل علينا؟" قلت لـــه: "هذا ليس فيه شتيمة وليس فيه أي شيء".

كانت هذه هي العقدة التي بدأت بيني وبين المصرين، ومن ذلك الحين ابتعدت عنهم وخرجت إلى ألمانيا الغربية. وكان ذلك في أواخر ديسمبر. قضيت هناك شهر ديسمبر وعدت في فبراير ١٩٦٣ إلى القاهرة على أساس أن اعتزال العمل، فألحوا

على أن أتولى منصب المندوب الدائم في الجامعة العربية، من أجل خدمة القضية. وقـــالوا إن الأمـــور تتحســـن الآن، والأمور تسير إلى خير، وإن أمريكا اعترفت بالجمهورية.

عـــند ذلك أصبحت مندوبا دائما في الجامعة العربية وبقيت في هذا العمل لمدة سنة. وكانت الأمور في اليمن تزداد سوء، والحرب دائرة. وأردنا أن نحل المشكلة من خلال الجامعة. كنا نتحدث إلى الأمين العام للجامعة وإلى السفراء العرب الذين يتعاطفون معنا ويتجاوبون مع سعينا للحل. ونقول لهم يجب على العرب أن يتدخلوا لحل القضية، بينما كانت مصر لا تريد أن يتدخل أحد من العرب. كان المصريون يعتبرون أن عملي هذا ضدهم، فيثبطون كل مشروع حتى لا تتدخل أية دولة أخرى بشـــؤون اليمـــن غـــير المصرين. ولكن من جهات متعددة دفعنا الكثير من الدول للمحاولة، إلى أن اتخذوا قرارا بضرورة خروج لجنة من الجامعة العربية للاتصال بالســـعودية وبالأردن وبصنعاء. وقد حصل الإجماع، حتى السعوديين الذين كانوا حاضرين في مؤتمر القمة العربي وافقوا على هذا القرار. لم نطلب سوى أن تخرج لجـــنة للتوفـــيق. لا نريد أن تخرج لجنة لتدين أية فئة من الفئات، ليس بيننا وبين الســـعودية خصـــومات، وإنما نعتبر أنفسنا أخوة وجيران. وكنا نقول للآخرين إن أســـاس الخـــلاف هو بين مصر والسعودية، وليس بين اليمن والسعودية. ولم يكن دخول مصر إلى اليمن إلا لكي تتخذ من اليمن خطوة إلى السعودية. لم يكن عملها في اليمن لوجه الله أو لوجه اليمن، أو لتستنقذ اليمن وتحرره، ولكن لتتخذ منه قاعدة للوثوب إلى السعودية. أقنعت هذه الحقائق الكثيرين من مندوبي الجامعة الذين رفعوا إلى حكوماتهم. وهذا أدى إلى اتخاذ القرار بأن تتدخل الجامعة العربية. وقلنا ليست الأمم المتحدة أقرب لنا من الجامعة العربية حتى تأتي الأمم المتحدة لتتولى القضية. وإذا كانـــت مصـــر والســـعودية تقبلان بتدخل الأمم المتحدة، وباتفاقية إنفكاك بين السعودية ومصر تحتاج إلى بعثة من الأمم المتحدة تصل إلى اليمن وتقيم فيها لمنع الحـــرب، فلماذا لا تكون الجامعة العربية أقدر منها على ذلك. فقرروا عند ذلك أن يذهب أمين عام الجامعة ورئيس الدورة في تلك الفترة، وكان رئيسها الدكتور ناصر الديـــن الحاني متجاوبا ومتفاعلا، وكان آنذاك وكيل وزارة الخارجية العراقية ومن

خـــيرة رجال العرب. اتخذ القرار وخرج الإثنان، الأمين العام ورئيس الدورة إلى الأردن وإلى الرياض وإلى صنعاء. أرادوا أن يقابلوا عبد الناصر ولكن لم يتح لهم ذلك، حتى أن الأمين العام للجامعة العربية آنذاك، عبد الخالق حسونة وهو مصري، أعطـــى تصريحا بأن حل المشكلة بيد مصر، إذا أرادت مصر حل المشكلة فالحل بيدها. فلما نشر هذا التصريح أنزعج حسونة باشا لأن ناصر الذين النشاشيبي نشره فـــي جـــريدة الأخبار. ويبدو أنه تحدث إليه حديثا خاصا ولم يكن حديثا للنشر لكن النشاشـــيبي نشره مع أنه يدين مصر. عند ذلك غضب ناصر الدين الحاني وأعلن سخطه ورجع إلى بلده وقال كلهم قابلونا إلا مصر رفضت أن تقابلنا. وناصر الدين الحاني هذا هو الرجل الذي اغتاله الثوريون في العراق أخيرا، وقد كان سفيرا هنا في لبنان.

وبعـــد أن تكونـــت هـــذه اللجنة بدأت مصر تشعر بأن الناس بدءوا يفهمون الحقيقة، فحاولت تدارك الأمر. واتخذ عبد الناصر من قضية فلسطين ومؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٤ مبررا في حين كان يريد أن ينتهي من قضية اليمن. كان يحس أحـــيانا بالاستنكار العالمي والعربي لهذه العملية في اليمن. وشعر بأن لا بد من أن تحل المشكلة في اليمن. ولكن كيف يمكن أن تحل وهو لم يحقق أغراضه التي دخل اليمـــن مـــن أجلها، والسعودية لا تزال السعودية. وهذا غير سليم في رأيه. عقدوا مؤتمـــر القمـــة. وإذا بالملك سعود يحضر مؤتمر القمة. ولأول مرة، اعتبروا أنها خطـــوة توفـــيق بيـــن السعودية ومصر لكي تحل مشكلة اليمن، لأن العرب كانوا متألمين كثيرا من هدر الطاقات العربية والأموال العربية والدماء العربية التي كانت تهدر في اليمن. ففي حين نعلن للناس بأننا نحرر اليمن، هل نحررها بقتل اليمنيين؟ هذا مستحيل. كان إرهاب عبد الناصر يخيف حكام العرب في كل مكان.

ولمـــا عقـــد مؤتمر القمة هيأوا وفد اليمن من أشخاص ميولهم مصرية وعلى رأســـهم الســـلال. ومع أنني كنت المندوب الدائم في الجامعة، أرادوا أن يجعلوني عضـــوا بعـــيدا وليس عضوا أصيلا يحضر الجلسات. وإذا بالقدر يتدخل فيمرض وزير الخارجية مصطفى يعقوب. وبلغ الإرياني بأن الأستاذ نعمان يجب أن يكون

إلــى جانب السلال في كل جلسة. فحضرت الجلسة المفتوحة والجلسة المغلقة. ففي الجلســة الأولــى كــان السلال جديدا على المؤتمرات العربية، حتى أن المصرين أنفسهم حينما كان يتكلم يشيرون إلينا أن ننصحه بأن يسكت، فنقول لهم تفضلوا أنتم اسكتوه، فنحن لا يحق لنا أن نسكته. وكان يتكلم إلا أنه لعدم اختلاطه بالعالم العربي كثيرا، كان يستخدم الكلمات العامية اليمنية التي لا تفهم أحيانا. ومن جملتها في أول جلســة كنا أعددنا له خطابا مكتوبا، فكبر عليه وأحب أن يرتجل الحديث. وبمجرد مــا طلــب رؤســاء الوفود الكلمات، أراد أن يسبق شعوره بالنقص ويثبت أنه من الكــبار، فأشار إلى رئيس الجلسة وكان يرأس الجلسة في مؤتمر القمة عبد السلام عــارف، باعتــبار أن رئاسة تلك الدورة من دورات الجامعة كانت للعراق. طلب الكلمــة، وتكلم كلاما سريعا غير مفهوم، ومن جملة الكلمات "إسرائيل تعمل وتجمع و"تــبرم" للعــرب، و"تــبرم" بعامية صنعاء تعني تحوك الدسائس. وسكت بعد هذا الكــلام. رأى الرؤســاء جميعا يتكلمون من الخطابات التي في أيديهم. فالتفت إلينا يــريد الخطاب، قلنا لــه: "الخطاب معك منذ الصباح". قال: "تركته في الفندق في غــرفة النوم. ائتوني به." قلنا لــه: "قد ذهب وقته فســتأتي فرصة أخرى." انتقلت الجلســة إلــى جلســة مغلقــة. وفي الجلسة المغلقة كانت الجزائر والعراق دولتين مهتمتيــن بإنقــاذ عبد الناصر من الورطة في اليمن. وتصديا للأمر ليحلا المشكلة ويوفقا بينه وبين السعودية. لكن الملك سعود لم يكن أقل من السلال خبالا وضياعا. فكانوا حريصين على مجيء فيصل لأن فيصل كان نائب الملك وظل في السعودية. وحــاولوا اســتقدامه. في هذه الجلسة. دارت المحادثات وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن البواعث لدعوة مؤتمر القمة العربي، وعن مد يده لكل العرب المتفقين معــه والمختلفيــن مــن أجل القضية الفلسطينية. وقال إن الذي حمله على هذا أن مندوب سوريا في مجلس الدفاع في الجامعة كان يقول ليس عندنا من القوة ما يكفي وليس عندنا كذا، "وتبين لنا أننا في حاجة لكي نجمع شملنا، وأنا أشعر أن بيننا وبين سوريا أزمة ثقة". وكان رئيس وفد سوريا الفريق أمين الحافظ. فلما سمع كلمة "بيننا وبيــن سوريا أزمة ثقة" طلب التعليق على هذه العبارة وقال: أنا أريد أن أصحح. "أزمــة الــثقة آتــية من أين؟ هل آتية من سوريا؟ أزمة الثقة ولدها صوت العجم

لا صوت العرب، وأنا أقسم بالله لم نجئ إلى هنا رغبا ولا رهبا، إنما جئنا مؤمنين مــن أجل قضية العرب وكرامة العرب. ولكن صوت العجم يشتم أعراضنا ونحن مــرابطون في خطوط النار، ويفضح كرامتنا. والله إن اللسان التي تمتهن كرامتنا إنمــا نقصــها بــالمقص، ولا نقبل على كرامتنا شيء، نحن نموت جوعا ونقتطع لميزانيتنا ولجيشنا الأموال الكثيرة البالغة من أجل أن نعد أنفسنا للمعركة، ثم تقولون أزمــة ثقــة بينما صوت العجم وأكررها ولا أقول صوت العرب يشتمنا ويهاجمنا. وكــان فــي كلامــه هذا يشفى غليل بورقيبة ويقول ما في نفس الملك سعود وكل الموجوديــن. كان لعبد الناصر أعصاب قوية على اعتبار أنه هو صاحب الدعوة، فتحمل وصبر ولم يعلق بشيء. فجاء دور الملك حسين في الكلام وتكلم عن قضية اليمــن وعن مساهمته، وقال إنه آن الأوان لكي نحل هذه المشكلة. وقال في الواقع نحــن لم نعد مشتركين فيها. فرد الملك سعود بصراحة وبلهجة بريئة شبيهة بلهجة الطفل، وقال للملك حسين إننا لا نزال نعمل سوية ومازلنا نعمل الاثنين معا ما دمنا في هذه المعركة. والمعركة موجهة ضدنا. ونحن لا نقاتل. لقد آوينا هؤلاء اللاجئين من اليمن والذين تقصفهم الطائرات، نحن نطعمهم، ماذا نعمل! إنهم عرب مشردون مؤمــنون بــالله. وكنت قد نبهت السلال، إذا وصل دورك فقل لهم إن الوثائق مع الأستاذ نعمان وهو الذي سيتكلم. فلما جاء دور السلال قال لهم: "الوثائق مع الأستاذ وهــو سيتكلم". كنت جالسا في الكرسي الخلفي، فوقفت لكي أسمعهم صوتي وقلت لهم: "لقد كانت دعوة كريمة من قلب رجل مؤمن مخلص، لقيت هذه الدعوة استجابة مخلصــة مــن المحــيط إلى الخليج والألم العربي مشدود إلى هذه القاعة في هذه اللحظــات وآماله معلقة على هذا المؤتمر، والله يطل عليكم من علياء سمائه يهيب بكم عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون. يا قادة العــرب، قضــية اليمــن هي قضية العرب جميعا، وما يهدر فيها من طاقات ومن أرواح ومن أموال ودماء، يجب أن تعد كلها من أجل المعركة الكبرى. واليوم جمع الله شمل العرب في هذه الجلسة ونحن لا نريد أن نثير خلافات ولا خصومات، ليس بيننا وبين السعودية إلا الحب والإخاء. ليس بيننا وبينها حرب ولا خصومات. إنهم جيراننا الأدنون وأبناء عمنا الأقربون. وقد نزلت باليمن نوازل كثيرة كان الإخوان

السعوديون مفزعنا دائما. ففي عام ١٩٤٨ جئنا إليهم وفي عام ١٩٥٥ حينما قامت الحـــركة لجأنـــا إلـــيهم. وهذا الملك سعود وأنا ذهبت إليه بنفسي كما جاء وفد من الجمهوريـــة العربية المتحدة والتقينا في الرياض. فكان الملك سعود متجاوبا معنا. وأنـــا أذكّره الآن. ربما غاب عن ذاكرته أنه كتب للإمام أحمد رسالة ينصحه فيها بتغيير الوضع في اليمن ويقـــول لـــه إن الوضع أصبح عارا على العرب أجمعين، ويجـــب تغييره. هذه شهادة أقولها لله بحضور الملك سعود. واليوم اليمن في حاجة إلى تغيير، وفي حاجة للأخذ بيدها.

كانت كلمة بهذا الأسلوب فتأثر بها المجتمعون. وعلى إثر الجلسة قرر الرئيس الجزائري بن بلا والرئيس العراقي عبد السلام عارف أن يتصلا بالأمير فيصل بن عـــبد العزيـــز (نائب ملك السعودية، وكان حينها الملك الفعلي قبل أن يزاح سعود رسميا ويتولى فيصل منصب الملك رسميا) تلفونيا ليذهبا إليه حتى يحضر لكي تحل المشـــكلة. ولكـــن تعـــذر الاتصال التلفوني فقرر مؤتمر القمة تشكيل وفد في تلك الجلســـة، بحيـــث يذهب إلى اليمن وفد عراقي ويذهب وفد جزائري إلى السعودية. وبدأت قضية اليمن تطرح على جدول أعمال الوضع العربي منذ هذا التاريخ. وكما أعتقد، لم يكن عبد الناصر راضيا عن هذا الوضع. ولكن رأى أن الإجماع موجود فقرر مسايرته. وأذكر أن بورقيبة، وكنت على غير معرفة به، قال: "رأيت أن هذا الأســـتاذ كـــان دبلوماســـيا إلى حـــد كبير بحيث لم يثر في الجلسة ما يعكر صفو الحـــــوار مـــع السعوديين". فقال لـــه عبد الناصر: "هذا سجنه الإمام سبع سنين. تصـــور. أما دوره معي فسيأتي". كانت هذه الجلسة في مؤتمر القمة. حاول بن بلا الاتصال بالملك فيصل تلفونيا إلى الرياض هو وعبد السلام عارف على أساس أن سعود لم يكن بيده شيء في تلك الفترة، وكان فيصل هو المسؤول عمليا والمسيطر علـــى الأمـــور ولم يكن سعود في الفترة الأخيرة إلا عبارة عن رمز. وحاولوا أن يستأذنوا بالذهاب إليه لكي يحلوا الخلاف بين مصر والسعودية حول اليمن. وتعذر الاتصـــال، فقرروا إيفاد وفد. وقيل إن مؤتمر القمة أتخذ في الظاهر قضية فلسطين هدفا له ، لكن عبد الناصر كان في ذلك الوقت حريصا على حل مشكلة اليمن وعلى التخلص من الورطة التي وقع فيها. لأنهم كانوا يعتقدون أن مجرد قنبلة واحدة تقتل

الإمـــام، حسب ما خطط وما كان قد وعده به رجال مخابراته، تكفى لحل المشكلة، تبين له أن اليمن ليست بهذه السهولة.

هكـــذا إذا قرروا تشكيل وفد من الجزائر والعراق ليذهب إلى السعودية لمقابلة الملك فيصل. وبالفعل ذهب وفد الجزائر برئاسة أحمد توفيق المدني، ووفد العراق برئاسة شامل السامرائي. والتقى هناك الوافدان وتداولوا كثيرا مع السعوديين حول العلاقـــات بمصـــر وتنقية الجو العربي وحل مشكلة اليمن. ثم عادوا وترددوا على الســـعودية، وحالوا البحث عن حل ولم يصلوا إلى نتيجة إلى أن عقد مؤتمر القمة الثانـــي فـــي الإســـكندرية. وكـــان الجـــو قد تحسن بعض الشيء فيما بين مصر والسعودية.

س ــ ما ذا كنت تعمل في تلك الأثناء؟

ج ــ كنـــت مندوبا في الجامعة العربية. لكن في المؤتمر الثاني للقمة العربية كنـــت قـــد رجعـــت إلى اليمن. وكانت الوساطة العراقية والجزائرية قد نجحت في تحسين العلاقات بين السعودية ومصر وبدأت حدة التوتر تخف. وكان مراقبو الأمم المـــتحدة قـــد وصـــلوا إلى اليمن وفقا لاتفاق سابق بوساطة أمريكية بين السعودية ومصـــر على أساس أن يكون في الحدود مراقبون من الأمم المتحدة كانوا برئاسة اسبنالي الإيطالي، من مندوبي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. بعدهذا التحسن في العلاقـــات بيـــن السعودية ومصر، وهدوء الوضع العسكري الناتج عن هذا الاتفاق قرر عبد الناصـــر القيام بزيارة اليمن لأول مرة، وكانت الزيارة الوحيدة لـــه إلى الـــبلاد. وكانت الأمور تزداد سؤ بالنسبة للوضع الجمهوري. فأراد عبد النصر أن يتفاهم مع السعودية على أساس أن الجمهوريين برئاسة السلال لم ينجحوا في شيء، بـــل زادت الأمـــور سوء عند ما كنا ما نزال في مصر. فبدا لعبد الناصر أن يعود هـــؤلاء الذين في مصر إلى اليمن ومنهم نعمان. وأذكر أنه ودعنا في المطار عند عودتـــنا إلى اليمن في إبريل سنة ١٩٦٤ وقال: "شد حيلك يا نعمان. أذهبوا اعملوا مـــن أجـــل بلدكم". فوصلنا إلى صنعاء وإذا به يلحق بنا بعد أربعة أيام. وقد كانت زيارتـــه الأولى إلى اليمن. وحاول تجميع الجمهوريين بمن فيهم نحن الذين كنا في

القاهــرة. وكـــان معـــنا الجائفي وبعض الذين أبعدوا من أول الثورة، حتى يظهر الجمهوريـــون مؤتلفيـــن في موقف قوي. وقد شكل حكومة جديدة برئاسة الجائفي. علـــى أن يتأســـس مجلـــس الشورى ويكون رئيسه الأستاذ نعمان. فتكوّن مجلس الشـــورى في مايو ووضع دستور وقرأه عبد الناصر أمام المشايخ الذين دعاهم إلى صـــنعاء وعقدوا مؤتمرا وقرأ أنور السادات دستورا لليمن. فأبدا بعض الحاضرين ملاحظـــة كيف يسن هذا الدستور دون أن ندرسه ودون أن يكون لنا رأى. كنت أنا في ذلك الوقت أقول ربما كان هذا بداية تفاهم حقيقي فقلت لهم: "باعتبار أن مجلس الشـــورى الآن سيقوم وسيعرض الدستور عليه، يمكنه أن يدخل التعديلات إذا ثمة تعديـــلات وينتهي الأمر". وكان عبد الناصر قد أكمل الزيارة خلال ثلاثة أيام، يوم قضـــاه في صنعاء، والثاني في تعز وفي الثالث رجع إلى صنعاء. وبعد أن أعطانا الدستور وشكلت الحكومة ومجلس الشورى، رجع إلى القاهرة.

وبقينا نحن لأول مرة في اليمن بعد السنين الطوال التي قضيناها ما بين سجن أو تشرد. كانت هذه أول مرة نستقر فيها في اليمن خلال فترة قيام مجلس الشورى. ومن وحي وضعنا هذا قال الزبيرى رحمه الله:

ربـــاه، مالـــي لـــم أزال فـــي محـــنة متوالـــية
أمـــا غـــريبا شـــاردا أو موثقـــا فـــي هاويـــة

وكانـــت هـــذه أول لقـــاءات برجال اليمن وقبائل اليمن. وبدأنا نكوّن مجلس الشورى ونختار أعضاء المجلس. وكنا نريد أن نجعله مجلس شورى حقيقي. فأقمنا مبـــنى حديـــثا فـــي صنعاء. لأول مرة يكون لمجلس الشورى مقر. جاء مهندسون مصـــريون تولـــوا بـــناء المجلس. واستحدثت مقاعد للأعضاء لأول مرة، ورتبت المنصات، وأتخذ الشعار، وتم اختيار شعار له علاقة ببلقيس التي حكمت اليمن قبل الإسلام، أي قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة. وكان الشعار الآية القرآنية الكريمة:

[يا آيها الملاء أفتوني في أمري ما كنت قاطعة آمرا حتى تشهدون]

اتخذنا هذا الشعار في مجلس الشورى لنقول إن اليمنيين ورثة حضارة وورثة ديموقراطية عريقة. وأنه أيام كانت جزيرة العرب في الجهل والعمى والبداوة كانت اليمن هي وحدها المتحضرة في ذلك التاريخ، تبني السدود وتشيد القصور، وتنشئ الحدائــق. فازدهرت الطريق بين الشرق والغرب ازدهارا هائلا حتى أطلق عليها "العربية السعيدة"، وبنى اليمنيون السد الشهير بسد مأرب الذي أنهدم بحكم الأطماع (الإهمــال؟)، وتدفقــت مــياهه ودمّر ما أمامه من المدن والقرى، وطمر الآثار. ولم تزل الآثار مطمورة كلها تحت الأرض إلى الآن. توجد بعض الآثار أخذت إلى الخــارج وجــاء بعض البحاثة للبحث والتنقيب، ولكن ليس إلى حد كبير، ولم يتم التنقيب عنها التنقيب الكامل، لأنها حضارة قرون مضت عاشت فيها اليمن مزدهرة بحضــارتها. ومن الآثار عرش بلقيس المشهور الذي قال عنهم القرآن على لسان الهدهــد: [وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله]، أي أن اليمنيين لم يعبدوا الأصــنام والأوثــان، بل كانوا يعبدون الشمس إله النور. **[ولها عرش عظيم]**، أي العــرش الذي كانت بلقيس تجلس عليه وتستعين بقومها. فكنا نثير هذه المعاني في نفوس اليمنيين حينما جاءت فكرة مجلس الشورى.

لــم يكــن المصــريون يرضون عن هذا الاتجاه لإحياء الذات اليمنية . وكان اليمنــيون يــتأثرون بهــذه الأحاديــث وتنبعث فيهم الحمية. أما المصريون فكانوا يــتظاهرون معــي بأنهم راضين عن الأسلوب، مع أني لا أنكر أن المصريين لهم الفضل ، فقد وصلوا وساعدوا على أمل أن نجعل العلاقات بين الشعوب علاقة ود لا علاقة بغض وكراهية. وأنا حقيقة كنت ومازلت أحب مصر لأن لا ذنب عليها. كانــت ترشــد بــالعلم والحكمة والفكر والكتاب، يعني إنها مدرسة روحية للعرب وللعــالم الإسلامي. ولكن جاء العهد الذي يصدّر القنبلة بدل الكتاب، ويصدر الدمار والصاروخ. حتى أنني عند ما كنت في السجن في مصر كنت أقول: "لم تكن مصر دار حقــد وحــرب، إنها دار ألفة وسلام". كنت بفطرتي أحرص كل الحرص على إيجــاد نوع من الألفة بينما كان اليمنيون يشمئزون عندما أذكر مصر. وانصرفت عنــي الكثير من القبائل لهذا السبب، حتى دمغوني بأنني عميل مصري، في الوقت الــذي كان المصريون غير راضين عن ذلك الأسلوب الذي يبعث في اليمني ذاته

ووجـــوده. وبقيت أربعة أشهر حرصنا على التوصل إلى اتفاقية تنسيق بيننا وبين المصريين، وكنا نقول يجب أن يوجد نوع من العلاقة الواضحة بين مصر واليمن.

س ـــ من كان معك في مجلس الشورى؟

ج ـــ كنـــت رئيســـا للمجلس، والمفروض أن يكون السلال رئيسا للجمهورية والجائفـــي رئيســـا للوزراء، وكان العمري نائبا لرئيس الجمهورية وكان متعاطفا معي.

س ـــ كم كان عدد أعضاء مجلس الشورى؟

ج ـــ المفـــروض أن يكون مؤلفا من ١٥٠ عضوا. ولكننا كنا لا نزال نختار الأعضـــاء. وكنا قد بدأنا ننتخب بعض الأعضاء ونكوّن الأمانة العامة على أساس أننـــي ســـأفتتح المجلس في عيد الثورة في سبتمبر. فكان معنا مايو ويونيه ويوليه وأغســـطس وسبتمبر. بقيت أربعة أشهر انجزنا في يوليه اتفاقية تنسيق بين مصر واليمـــن. واردت أن يقـــوم نوع من العلاقات الفكرية والسياسية والاجتماعية، وأن يوجـــد نـــوع من العلاقة الحقيقة وأن لا تكون فقط علاقة عسكرية. فوقعت اتفاقية التنسيق بيننا وبين مصر في ١٣ يوليه في زيارة للقاهرة ثم عدنا إلى اليمن. وكان مقـــررا عقد مؤتمر القمة الثاني في سبتمبر. وبقينا نستكمل اختيار أعضاء مجلس الشـــورى. وكانـــت أســـماء الأعضـــاء ترد من صنعاء، ومن تعز، ومن مختلف المـــناطق. وخلال هذه الفترة، قررت أن اوجه دعوة لبرلمانات البلاد العربية وإذا أمكن البلاد الصديقة، لنفتتح أول برلمان في اليمن، أي مجلس الشورى. فأعترضوا على هذا وقالوا إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال.

س ـــ من الذي أعترض؟

ج ـــ الحكومـــة التي في اليمن، الجائفي. ولكن يظهر أن المصريين كانوا من وراء ذلـــك. مجيـــئ وفود من الخارج إلى اليمن، لم يكن المصريون يرغبون في دخول أحد لا في وساطة ولا في مشاركة، حتى أننا اقترحنا ذات مرة أنه يجب أن توجـــد قوات رمزية في اليمن من سائر البلاد العربية لئلا يقال أنكم أنتم المصريين بـــالذات تريدون احتكار اليمن واستعمارها، وحتى تشعر السعودية أنه ليست مصر وحدهـــا المتشددة. قلنا نجرب ولو رمزيا من العراق والجزائر وتونس. لكنهم كانوا

فـــي الواقـــع لا يريدون أحدا، لأنهم كانوا الحاكمين في اليمن. وكل ما يذرونه من الـــرماد في عيوننا إنما هو للمغالطة. يقولون جمهوريتكم وبلدكم في حين ليس لنا رأى في بلدنا. فلما فكرت بهذا العمل وأردت أن أطلب الوفود رفض هذا وقيل إنه لا يمكن وأننا لا نقبل أحد.

س ـ إلى من توجهت بهذا الطلب؟

ج ـ طلبـــت مـــن الحكومة، أي من السلال رئيس الجمهورية، ومن الجائفي الـــذي كـــان رئـــيس الحكومة. طلبت من الاثنين أن نتفق على توجيه دعوة، لأن حضـــور وفـــود إلى اليمن للمشاركة في الاجتماع سيكون قوة لليمن. ولكن رئيس الجمهوريـــة ورئـــيس الوزراء كانوا بيد مصر. من هنا بدأ الخلاف. فقلت إذا كان الأمر كذلك وإذا كان مجلس الشورى سيصبح خاضعا للحكومة ولرئيس الجمهورية، فمعـــنى ذلك لا قيمة لهذا المجلس، بل يجب أن تكون لـــه السلطة العليا على الكل. فقدمت الاستقالة. استقلت من مجلس الشورى. وقد فرحوا بعد الاستقالة. وتمت في ســـبتمبر اللقاءات بين السعودية ومصر للتوصل إلى اتفاقية الإسكندرية لحل مشكلة اليمـــن. وكنت عضوا في وفد اليمن مع السلال لأنني كنت ما أزال رئيسا لمجلس الشـــورى فـــي هـــذه الفترة، ولم أعد سفيرا في الجامعة العربية. وكان المصريون والســـعوديون يتفاوضـــون لحل مشكلة اليمن دون أن نشعر ماذا يعملون ودون أن يـــأخذوا مـــنا رأيـــا. كـــان الســـلال يقول لي أسأل المشير عامر ماذا يعملون هم والسعوديون. قلت لـــه : لا أستطيع أن أسأله، سأكون فضولي. هم ملغين وجودنا، نحن لسنا طرفا في القضية. البلد بلدهم، يتفاوضون كما يشاءون. انتهى مؤتمر القمة وكـــان فيصل بن عبد العزيز آل سعود رئيسا للجلسة في هذا المؤتمر. وقد تحسنت العلاقـــات ووقعـــوا اتفاقية الإسكندرية، واعترفوا بوجود أطراف معنية في اليمن. فكانت هذه مفاجأة لليمنيين.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم شهود

يعني يستقوى علينا ونحن شهود ولا نسأل ! حصل عندي رد فعل، وجاء أيضا مقـــترنا برفضـــهم للدعـــوة التي دعوناها من أجل افتتاح مجلس الشورى، فقررت الاستقالة. استقلت في تلك الفترة.

بعــد هذا بشهر قالوا يعقد مؤتمر "اركويت" (في السودان، على شاطئ البحر الأحمــر) نتيجة اتفاقية الإسكندرية، على أن يجتمع الطرف اليمني والطرف الملكي لمناقشـــة التوصـــل إلـــى حل. ولم يكن أحد يعترف بالملكيين بحال ومن الأحوال. فجـــاءت مصر واعترفت بالطرف الملكي، وعلى اليمنيين أن لا يعترفوا، أرغمتهم على أن يشكلوا وفدا يذهب ويتفاوض مع الملكيين في "اركويت" في السوان. وذهب برئاسة الزبيري رحمه الله. واتفقوا على وقف إطلاق النار وعلى عقد مؤتمر وطني في حرض، وهي مدينة صغيرة في تهامة قريبة من الحدود مع السعودية. وكان هذا مؤتمر حرض الأول وليس الثاني. وذهبنا نحن لنشترك في مؤتمر حرض. وتشكل وفد الجانب الجمهوري وذهبنا إلى حرض. انتظرنا مجيء الجانب الملكي فلم يأت، لأنه أختلف مع السعودية ومع مصر. أرسلنا المصريون إلى حرض وأرجعونا من حــرض. هنا عدنا وقد تبلور لنا الفكر أنا والإرياني والزبيري بأن اليمن لا تحكم بأبـــنائها بـــتاتا. يســـتقبلنا المصريون في المطار، ويذهب بنا المصريون، ويعيدنا المصـــريون. يجـــب أن نتخذ موقفنا. فالتقيت مع الإرياني والزبيري وقررنا اتخاذ قـــرار بالاستقالة. استقلنا وبينا أسباب الاستقالة ونشرنا موقفنا في كتيب في بيروت بعنوان "نحن والمصريون"، وكان فيه تعريض بالمصرين وملاحظات على الدستور الذي جاءوا به ووضعنا قانونا للإصلاح. فالتف حولنا مشائخ القبائل، واستقال أكثر أعضاء الوزارة التي كان عبد الناصر راضيا عنها برئاسة الجائفي، وبقي الجائفي رئيســا للـــوزراء وحـــده. انضـــموا إلينا مطالبين بالإصلاح وموقعين على قانون الإصلاح الذي وضعه الزملاء الثلاثة نعمان والزبيري والإرياني.

س ــ ماذا يتضمن قانون الإصلاح؟

ج ــ قـــانون الإصـــلاح موجـــود في كتيب صغير نشر في بيروت وأساسه المطالـــبة بمجلـــس جمهـــوري أدخلنا فيه إصلاحات كثيرة. وإذا بالمصريين، ماذا يصـــنعون؟ نزحنا أنا والإرياني إلى تعز بعد الاستقالة. أما الزبيري فغادر صنعاء وذهـــب إلـــى جبال برط حيث اغتيل. أراد السلال أن يخضع لرأى القبائل ويسلم

بالأمـــر الواقـــع فقـــبل بالمشروع الذي تقدم به الثلاثة. وكان كلما قبل أرغم على الـــرفض. وأخـــيرا وقـــد كادوا يتفاهمون ويتفقون وكاد يوقع على قانون الإصلاح الجديـــد، إذا به يطير بطائره هو والعمري وبعض الأعوان إلى القاهرة في الوقت الـــذي كان قد وعد المشائخ بأن يوقع على القانون. وأخذت الأحداث تتفاعل داخل اليمـــن. وكـــان ذلـــك في ديسمبر سنة ١٩٦٤. وإذا بنا نفاجأ في ٥ يناير ١٩٦٥ بوصول حكومة تشكلت في القاهرة برئاسة الفريق حسن العمري. وتشكلت الوزارة بكاملهـــا، واســـتبعدوا رئيس الوزراء السابق الجائفي لأنه كان هادئ الطبع. فوقع الضـــجيج حول هذه الوزارة وزاد الرعب. ووصلوا من القاهرة إلى اليمن لإعلان الأحكـــام العرفية، معلنين أن كل خمسة أشخاص يتجمعون يعاقبون بالسجن، وغير ذلك من القوانين. ووافق المصريون على هذه القوانين. فأمروا بمحاصرتنا ووضع الحراســـة علينا على أن نظل في بيوتنا. وكما ذكرت لكم ذهب الزبيري إلى جبال بـــرط وأخذ يهاجم من هناك بمقالاته الأوضاع في صنعاء و يندد بالتدخلات. وكان يقول لا نريد أن يكون فيها لا حكومة عسكرية ولا ملكية.

ولمـــا اتخـــذت هذه الإجراءات ضدي وضد الإرياني، طلب منا أن نذهب إلى القاهـــرة، فرفضنا. أخيرا خرج المشير عامر وأنور السادات ووصلا إلى صنعاء. كـــان ابني محمد سفيرا في الجامعة العربية خلفا لي، فعزلوه أثناء هذه الإجراءات. وكان ابن عمي محافظ تعز، فعزلوه وعينوا شخصا آخر مكانه. ونقلوا كل العناصر التـــي كانـــت تـــتعاطف معـــنا من أعمالهم إلى أعمال أخرى. عندها بدأ الصراع المكشـــوف. وعند ما خرج المشير عامر وأنور السادات إلى صنعاء والفريق أنور القاضـــي أرسلوا طائرة إلى تعز لتنقلنا إلى صنعاء. لم نتردد في الذهاب. ذهبنا إلى صـــنعاء. وكـــان الـــناس قد تنكروا وبدأوا ينقلبون مثل الناصريين اليمنيين. فقلنا سنذهب لنخفف من حدة العداء والتوتر. ذهبت أنا والإرياني إلى القيادة العربية، أي القـــيادة المصـــرية، فاستقبلنا المشير عامر وأنور السادات وأخرجا الاستقالة التي قدمـــناها ووضـــعاها أمامنا ثم قالا: "أنتم تطعنوننا من الخلف؟" قلنا: "لماذا؟ نحن اســـتقلنا." كان الرد: "استقلتم لكي تجعلوا السعودية تقوم علينا من جديد!" قلت: "كل واحـــد يســـتقيل وتنشـــر استقالته في كل مكان." قال أحدهم: "ولكن نحن في حالة

حـــرب." قلت: "هذا لا يؤثر على أي شيء. فالدولة ديموقراطية والجمهورية التي عـــندنا ديموقراطـــية، وبـــناء على ذلك لا يوجد أي تأثير، نحن استقلنا واليمنيون نشـــروها، وأنتم شكلتم حكومة ونحن ملازمون لبيوتنا. فقد نحيتم محمد نعمان من الجامعة العربية ثم نحيتم ابن عمه من تعز وانتهت المشكلة، والإصلاحات استكملت في اليمن ولم يعد يوجد أي شيء. ثم قلت عندما تسمعون ببيت نعمان أو بيت فلان فـــلا تظـــنوا أنـــه بيت البدراوي، أو وبيت الوكيل وبيت سراج الدين (من الأسر الإقطاعـــية المصـــرية التي كانت تناصب النظام الناصري في مصر العداء)، هذه البيوت والأسر لا تملك شيئا أبدا وليس عندها أي شيء. وعلى كل حال، الآن لماذا نحن نهدد في بيوتنا؟" قال: "كلا. لم يحدث ذلك قط". قلنا: "بلا. لقد صدرت الأوامر بمحاصـــرة بيوتنا والحراسة عليها وعدم خروجنا. لم نفعل سوى الاستقالة. فكيف تفهمون الاستقالة؟ وكذلك محمد نعمان في القاهرة، ما معنى إنه مراقب ولا يخرج إلا وسيارة تراقبه ليل نهار وهو عندكم في القاهرة؟ لماذا يسحب جوازه؟ قال "نحن لـــم نفعل ذلك، إنما حكومته التي فعلت". قلت: "أية حكومة فعلت ذلك؟ أأنتم بوليس بـــيد حكومته؟ هذا تصرف حدث في مصر، ومصر ليست سجن، اخرجوه إلى بلده وحـــاكموه هـــناك. ولكن تسجنوه داخل مصر وتفرضوا هذه الرقابة، أين الأخوة؟" قـــال: "لا داعي لهذا الكلام يا نعمان. قلنا "هذا عتب. إنه ضيف عندكم وإن لم يكن ضيفا فليكن ابنا من أبنائكم. لماذا يجب أن يعامل بهذه المعاملة؟ وأن يظل محاصرا هو وأولاده والرقابة في وجه بيته، وعند ما يخرج هو وعائلته تطاردهم سيارة أينما ذهـــبوا؟" قـــال: "نحـــن سنعالج هذه المسألة". قلنا: "على كل حال نحن بالنسبة لنا لا نـــريد أي شـــيء". قـــال: "نحـــن شـــكلنا حكومة، دعوهم يجربوا". قلنا: "نحن لم نعترض على الحكومة في شيء. ولكن لا نستطيع منع الأهالي إذا كانوا ساخطين علـــيها". رفـــض الزبـــيري أن يأتـــي لأنـــه بقي في برط بين القبائل ونحن بين الناصريين.

س ــ لماذا لم تنزحوا معه إلى جبال برط؟

ج ــ كانـــت صنعاء في الوسط وكنا نحن في الجنوب في حين ذهب الزبيري لجهـــة الشـــمال، ولم نستطع أن نخرج من صنعاء. أخيرا تم الاتفاق على أن تسير

الحكومة في عملها، وأن لا نتدخل نحن في شيء. وكانت الأمور تزداد تدهورا والحكومة لا تستقر، والأحداث والفتن داخل الحكومة عدا عن الخلافات مع الملكيين. وحدثت الفتن بين القبائل. ووقع قتل في صنعاء بين قبائل حاشد وقبائل بكيل، والحكومة لا تستطيع التدخل. وليس للقبائل سوى نعمان والزبيري لأنهم يعتبروننا من القبائل وتلك القبائل متعاطفة معنا. فذهبت أنا والإرياني إلى بلاد القبائل في منطقة خولان لنحل المشكلة التي وقعت بينهم حتى لا تستغلها الحكومة. وخلال ذهابنا إلى خولان التف القبائل حولنا بصورة كبيرة. وأكملنا رحلتنا إلى أن صعدنا إلى جبل برط. وجبل برط يبعد مسافة خمس ساعات ركوبا على الحمير. فقطعنا الوديان والمسافات إلى أن صعدنا إلى قمة جبل برط. كان ذلك في أواخر شهر مارس سنة ١٩٦٥. استقبلتنا القبائل، ذو محمد وذو حسين، وأضافونا عندهم. وبقيت القبائل تتنازع على ضيافتنا فيما بينهم دون أن نعلم الأسباب. ذهبنا مع الزبيري يوم الخميس الواقع في أول يوم من إبريل. وألقى الزبيري هناك قصيدة نظمها خلال الأحداث الأخيرة يتهكم فيها بالسلال وبالحكومة وبالمصريين. ومن جملة أبياتها:

أتصنعون قوانين العبيد لنا	**ونحن شعب أبي مارد شرس**
هناءة الحكم قد أطغتكموا ولها	**عن الكوارث واستغواكم الحرس**
من حظكم أن هول الأمر مستتر	**عنكم وأن شعاع الشمس منطمس**
وأن صوت الخراب الفظ أغنية	**ترتاح أنفسكم منها وتأتنس**

كانت قصيدة طويلة بهذا المعنى. بعدها ركبنا على الخيل والزبيري على الحمار لأننا ضيوف عنده ورجال القبائل يمشون معنا. وخلال مرورنا في الطريق كان هناك بيت خال من السكان وفيه كمين مؤلف من ثلاثة رجال مسلحين بالرشاشات والبنادق لاغتيال الثلاثة، الزبيري والإرياني ونعمان. سبقنا الزبيري في المسير فأصابته الرصاصات في قلبه وقتل. أما نحن فتوقفنا في أماكننا ولم نتقدم نحو البناء الذي توجد فيه فوهات صوبت منها البنادق نحونا. توقفنا في وسط الطريق. أخذ الذين سبقونا في المقدمة ينادون: يا إرياني يا نعمان، انزلوا عن الخيل. الزبيري مقتول. كنا قد سمعنا الرصاص ولكن اعتقدنا أنه رصاص الترحيب

بــنا، لأن مــن عادة القبائل أن تستقبل ضيوفها بهذه العادة. ولكن عند ما قالوا إنه مقتول توقفنا وإذا بنا نراه جثة هامدة. فدهشنا ودب فينا الرعب لهذا الأمر. فأحاطت بـنا القـبائل لسلامتنا أولا وسلمونا لقسم من القبائل ليوصلونا إلى المكان الأمين، والقســم الأخر منهم حاصروا المسكن. وكان كل واحد من القبيلة متأثرا بما حدث، واحــد يقطع اصــبعه تأثرا مما حدث في بلده والثاني يقص شــعره والثالث يكسر الخــنجر. وهكذا كانت الحالة في دوي عظيم . حدث هذا الفعــل في قبيلة اسمــها ذو حســين فــي حين كنا ضيوفا فيها. فانتقلنا إلى قبيلة اسمها ذو محمد، وقطعت الاتصالات والعلاقات بينها وبين قبيلة ذو حسين بحكم العرف القبلي. لأن الزبيري كان لاجئا عند ذو محمد. وحسب عرف القبائل، يطرد جميع رجال قبائل ذو حسين من أراضي قبيلة ذو محمد ولا سبيل للكلام وللتعامل حتى يتم التوصل إلى حل لهذا النزاع. وهكذا ظلت قبيلة ذو حسين تحاصر البيت التي انطلق منه الرصاص حتى قبضت على القتلة الثلاثة.

س ــ هل كانوا يمنيين؟

ج ــ نعم، كانوا من اليمنيين. ألقي القبض عليهم والتفت قبيلتهم حولهم. وبحكم العــرف القبلــي لا تسلم القبائل هناك ابنها للقبيلة التي تدخل معها في نزاع، وإنما تسلمه للدولة أو لقبيلة ثالثة. اهتممنا بالزبيري، خابرنا صنعاء لإرسال طائرة. وكان العمري رئيس الوزراء، فأنهار لسماع الخبر. وتركز السخط ضد المصريين لأنهم اتهموا بأنهم كانوا وراء هذه الحادثة. وكانت القرينة بأن الزبيري أرسل برقية قبل هــذه الأحــداث بأربعة أيام للقائد العربي (المصري) اللواء أحمد فتحي عبد الغفار يقــول فــيها: "بلغنا أنكم تتآمرون علينا، فنحن لن نقول كما قال الفرزدق ــ أبشر بطــول سلامة يا مربع ــ ولكننا نقول كما قال هابيل لأخيه قابيل" [لئن بسطت إلي يــدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تــبوء بلإثمي وإثمك ...] (المائدة، ٢٨ ــ ٢٩). أخوك محمد محمود الزبيري". كانــت هذه البرقية من القرائن والتهم على أن المصرين كانوا وراء ما حدث. كما أنه توجد قرائن أخرى تدل على أن الأمير محمد بن الحسين، من بيت حميد الدين، قــائد القــوات الملكــية فــي المنطقة، كان على مقربة من المنطقة التي قتل فيها

الزبـــيري. وهو أيضا متآمر وله علاقة بالقتلة. ووجد مع بعضهم رسائل من محمد بـــن الحســـين. اهتممنا بالأمر لئلا تكون هناك فتنة. فذهبت لتشييع جثمان الزبيري وقبره في صنعاء.

تجـــاوب العمـــري في ذلك الحادث، وتجاوبت الحكومة كلها على اعتبار أن الزبـــيري كـــان رائدا من رواد الحرية في اليمن، ولأنهم كانوا شاعرين بالإثم لأن خروجه من صنعاء كان بسبب أساليبهم. جاءت الطائرة وبعض الحرس من صنعاء وانتقلـــنا ــ أنا والإرياني مع جثمان الزبيري ــ وأتينا إلى صنعاء. وصلنا والناس فـــي توتـــر شديد، فأخذنا نهدئ مشاعر الناس. وكان المصريون في حالة ذعر من نظـــرات الـــناس المصوبة إليهم. هدأت الأحوال وشيع جثمان الزبيري في جنازة شـــعبية وعســـكرية كانـــت شبه مظاهرة. جاء السلال من القاهرة على أثر ذلك. وطالبت القبائل بتغيير الحكومة بأي شكل من الأشكال. كانوا يريدون حكومة وطنية من أبناء الشعب. فضغطوا علي لكي أكون رئيس الحكومة، لأن القبائل لا يمكن أن تقبل أية حكومة إلا برئاستي.

قلـــنا لهـــم: "كان الزبيري يدعو لعقد مؤتمر للسلام يجتمع فيه اليمنيون. فلنبدأ بعقـــد هذا المؤتمر ومن ثم نشكل الحكومة". قالوا: "أولا تشكل الحكومة، والحكومة الوطنـــية هـــي التـــي تدعـــو لعقد المؤتمر". استقال العمري وشكلت الحكومة من العناصر التي ترضى عنها القبائل. بمجرد ما شكلنا هذه الحكومة توقفت مصر عن دفـــع الميزانية التي كانت تؤمن مرتبات موظفي الدولة. لماذا؟ لم يبينوا لنا السبب. نحـــتاج إلى إجراءات ونقول الآن الناس يطالبون بالمعاشات وغطاء العملة كله في مصر، والعملة كلها في أيديكم وليس لدينا أي شيء. طالبنا بأن تجرى النفقات التي كانت تصرف في الوزارة السابقة، أي أن يستمر نفس الأسلوب في توفير الميزانية. لكـــن ذلـــك رفض. وكان هذا في ١٨ مايو١٩٦٥. وكان مؤتمر رؤساء الحكومات (العربية) سيعقد يوم ٢٦ مايو. ولم نلتفت لهذا وإنما التفتنا لعقد مؤتمر للسلام. وعقد المؤتمر في بلاد حاشد وعرف باسم "مؤتمر خمر للسلام". وهو المؤتمر الذي كان الشـــهيد الزبيري يدعو لعقده في ذلك المكان. وقلت لا بد أن يكون أول عمل أعماله

عقـد هذا المؤتمر. وعقد المؤتمر. وكان من أهدافه أيضا تأييد الحكومة والثقة بها ووضـع الدسـتور الذي أردناه وتعديل الدستور السابق. وصغنا دستورا جديدا هو "دسـتور خمر" الذي نص على قيام المجلس الجمهوري. وقد أجمع الناس على هذا الدسـتور. وسارت بعد المؤتمر مسيرة شعبية تدعو لمعاهدة سلام إلى قبر الزبيري والقيـت الخطب على قبره. دعونا للسلام مع السعودية وأعلنا من مؤتمر خمر أننا نمـد يدنا للسعودية. وأبرقنا للسعودية كما أبرقنا لسائر الدول العربية لأول مرة من داخل اليمن. وقلنا أن ليس بيننا وبين السعوديين حرب، وليس بيننا وبينهم خصام. فكانـت هـذه كلها من الأشياء المثيرة. شكلنا وفدا برئاسة الإرياني للطواف بالبلاد العربـية علـى أن يبدأ بغير مصر، قلنا حتى لا يتوهموا أننا تابعين لمصر. وهذا العمـل هو خدمة لمصر. فأردنا أن نثبت للعالم أن اليمن تحكم نفسها بنفسها وليس المصـرين الذيـن يحكمونهـا. وبذلـك ندين السعوديين أمام العالم بأن المصرين لا يحكمـون اليمن. وذهب الوفد إلى العراق والجزائر والكويت، واختتم عائدا عن طـريق مصـر. فأستقبلهم عبد الناصر مرحبا. وكان محمد نعمان من ضمن الوفد ووزيـر الخارجية محسن العيني، والإرياني رئيس الوفد. ولكن المصريين رفضوا تحويل الميزانية إلينا لدرجة أن الحكومة وقعت في أزمة مالية. فقلنا سنشق طريقنا إلـيهم مـن أجلهـا. ذهبنا لمؤتمر رؤساء الحكومات العربية المنعقد في ٢٦ مايو ١٩٦٥ فـي القاهرة. وقلنا سنتفاهم مع المصرين أثناء حضور المؤتمر من جانب، ونلـتقى ببعض الإخوان من الحكومات العربية الأخرى لنطلب المعونة من جانب آخر. اتخذ المصريون موقفهم. وجدنا الإخوان في الكويت وقلنا أيمكن أن تساعدونا بخمسة ملايين ؟ لستة أشهر بينما نثبت أمورنا ونبحث عن الموارد. رحبت الكويت وقالـت أرسلوا لجنة ونحن نبعث إليكم بالمبلغ. علم عبد الناصر بالأمر فأثاروا لنا مشـاكل بسـرعة لإجهاض الحكومة. وبينما أنا في مصر والمؤامرة داخل صنعاء بـتحريض مـن السـلال علـى اتخاذ إجراءات وأعمال وكذا. حاولنا التفاهم مع عـبد الناصـر قائليـن إن تشكيل هذه الحكومة يمتص موجة السخط التي كانت موجهة ضد مصر. اليمن دائما متهمة بأن الحكومة تشكل في مصر أو برأى مصر

أو لا يكون لليمنيين رأى فيها. فأنا يشهد الله أردت بهذا التشكيل وبهذه العناصر أن نمــتص السخط ليوجد نوع من العلاقة القوية المتينة. فقال عبدالناصر: "سوف لن تقنعني لا شعرا ولا نثرا. ولن يوجد أي تعاون، هذه حكومة بعثية". فقلت له: "أبدا، لا يوجــد أي بعثـــي". قال لي: "هؤلاء بعثيون. وأنا سوف لن أتعامل مع البعثيين. هــؤلاء البعثييــن أول من سيذبحونك". كان محسن العيني وزيرا للخارجية وكان حاضرا معي في الجلسة، فطلب مني وأنا أتكلم مع الرئيس أن يتكلم هو معه. فقال: "نحــن لسنا بعثيين، هذه تهمة. حقيقة أيام الطلب كان لنا هواية. ولكنني الآن لست حزبيا ولا مرتبطا وأنا في الأمم المتحدة أمثل اليمن حوالي ثلاث سنين، وليس لدي حــزب ولا قواعد ولا أي شيء". فقــال لـــه : "أنا لم أقصدك أنت". قلنا "ومن هم البعثــيون إذا؟ ربما عندكم معلومات غير صحيحة". قال: "أبدا، إنني متأكد. تتعامل أنــت والبعثييــن وعـــاوز منـــي ميزانية؟ أنا لا أتعامل مع بعثي واحد". فلما أشتد الحديــث، وكان القاضي عبد الرحمن الإرياني حاضرا، قال لـــه: "سيادة الرئيس، أهــذا الاعـــتراض علـــى سياســـة الحكومة أم على الأشخاص؟" قال: "تقول ماذا يـــا إريانـــي، يعــنى أنا أبو وجهين؟ أنا لست بوجهين وأنا لست بالسلال. قلت لكم ولم أخبئ ما في نفسي. أنا لا أتعامل مع البعثيين. أما سياسة الحكومة فلم أقل فيها شيء". فقلت لـــه عندئذ: "يا سيادة الرئيس إذا لم تعترض على الحكومة وأنت واثق بي، فأنا المسؤول عن أي تصرف يخرج عن السياسة التي نتفق عليها". قال: "أبدا، سوف لن أتعامل ولن أتعاون". قلت له: "هل باستطاعتي أن ألتقي بكم على انفراد؟" قـــال: "وهـــو كذلك في الساعة الثامنة مساء". عندئذ استأذنا وخرجنا، وفي الساعة الثامـــنة مســـاء ذهبت إليه وإذا بأنور السادات، غراب الشؤم، هناك. كنت أريد أن انفـــرد بالرئـــيس ولكنه كان محاطا بأنور السادات، بطل المجزرة وبطل الدسائس والمؤامـــرات في اليمن. فقال لي أنور السادات: "تشكل حكومة من الحاقدين وتأتي لطلب المعونة منا؟" قلت له: "أنا اجتهدت، فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فلـــه أجـــر. أنا اجتهدت لأن مصلحة مصر ومصلحة اليمن في حل المشكلة. وإذا عـــندكم رأى آخر اعرضوه". هذا قبل أن يحضر الرئيس. أراد أن يشن علي حرب

أعصاب. وجاء الرئيس وجلس. أعطاه أنور السادات ملفا وإذا بالرئيس يقرأ أسماء البعثيين في الحكومة وقال: "يا نعمان، أنت تقول لا يوجد بعثيين في الحكومة. فهناك الكَرشي" . فقلت "عبد الله الكُرشمي" ، ثم قال وعبد الله سلام . قلت له : "عبد الله سلام (ناجي) طالب يدرس الآن في دمشق وليس في اليمن. والكرشمي ليس ببعثي، لا هو في هذا الوادي ولا في ذاك". ثم قال: "وفلان وفلان." قلت: "هؤلاء ليسوا ببعثيين." فقال: "المهم هذه القضية، السادات وعامر هم العارفون بها، دعنا نذهب إلى المشير عامر لنتداول في الأمر". قلت له: "وهو كذلك". قال المشير عامر مريض في البيت سنذهب إليه". ذهبنا ــ أنا والرئيس عبد الناصر وأنور السادات ــ إلى بيت المشير عامر. وصلنا عند القيصر وهو واضع رجلا على رجل، شجاعا جرئيا. جلسنا، أنا والرئيس وأنور السادات وأمامنا عامر متربع على مقعد تعبان على إثر إجراء عملية "الدودة الزائدة" التي فاجأته. وكنت زرته في المستشفى فقال لي: "أطمئن يا نعمان. كل شيء على ما يرام." قال لي ذلك عند ما كان مريضا ولكنه تغير". قدموا لنا الشوكلاته، أخذ عبد الناصر واحدة وفتحها فوجد الفأل المكتوب: عدو عاقل خير من صديق جاهل" فضحك وقال: "أنظر يا نعمان، عندنا عدو عاقل". قلت له: "سأرى الفأل الذي عندي". فتحت الشوكولاتة فوجدت: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره". وقرأت له ما هو مكتوب. فبدأت أتحدث للمشير عامر على اعتبار أنه لم يحضر الجلسة الأولي. فقال عبد الناصر: "لا تتعب نفسك أخبرناه كل شيء. هؤلاء الثلاثة لا يخبئ أحد شيئا عن الآخر". قلت: "إذن ما العمل الآن وماذا تريدون أن نعمل؟ الرأي رأيكم". قال عبدالناصر: "أنظر يا نعمان، أنت وصلت إلى طريق مسدود". قلت: "يا حضرة الرئيس، ليعلم الله نحن أردنا أن نخدم مصر قبل اليمن بهذا الأمر، وأردنا أن نمتص السخط، وأردنا أن نلغي من أذهان الناس أن مصر هي التي تشكل الحكومات وأن مصر مستعمرة لليمن، وأردنا أن نعلن للرأي الخارجي بأن مصر لا تتدخل وأننا شكلنا حكومة أكثر أعضائها ممن لا ترضى عنهم مصر. وأنا المسؤول". فقال عبد الناصر: "فليقل الناس ما يريدون أن يقولوا". وضع المشير عامر يديه على

ركبته وقال: "يا نعمان، تشكل حكومة لوحدك ولا تأخذ رأينا ولا تستشيرنا ونحن شركاء؟" قلت له : " أنا استشرت سفيركم الموجود هناك وقال لي: "باسمي وباسم حكومتي، تشكل الحكومة كما تريد أنت. عتقد أن السفير في صنعاء يمثلكم ومستشار عنكم". فقال عبد الناصر: "لا نقبل إلا حكومة قومية مائة في المائة من القوميين الذين ضربتموهم في الراهدة". لأنه كان يوجد بعض القوميين الناصريين، احترفوا الفرقة. فلما تشكلت الحكومة قاموا بمظاهرات وقتلوا شخصين، فضربوهم ضربة ساحقة وشتتوهم كلهم. كانوا من الركائز القوية. وأضاف: "هؤلاء الذين ضربتوهم ...". قلت: "نحن لم نضربهم ضربهم الشعب بنفسه ... على كل حال، الآن ليس أمامي إلا أن استقيل. لن أغير الوزراء وأبقى وحدي في الحكومة". قال: "افعل ما تريد أن تفعل. هل تريد أن يقولوا لأن المصريين لم يقبلوا الحكومة استقلت؟" قلت له: "لا يوجد أي مخرج أبدا". وكنا قد بعثنا بعثة (وفدا) إلى الكويت ولكن المصرين اعجلونا وأجهزوا على الحكومة سريعا. رجعنا إلى اليمن ووجدنا صنعاء ملغمة، والوزراء في حالة خطر كبيرة، والمصريون وراءهم الجيش المصري ونحن ماذا نعمل؟ هل ننتحر ونقاومهم؟. لا سبيل لعمل شيء. عرضنا عليهم (على الوزراء) الموقف، فقالوا نحن سنخرج من الحكومة طالما المشكلة بوجودنا. فقلت لهم: "لا يمكن. أنا أول من سيخرج إذا فكر أحد بالخروج. فلما رأينا الجو مكهربا قال أحد الوزراء: ماذا ننتظر؟ أن يأتوا إلينا ويدخلونا السجن ويتهمونا بالخيانة! يجب الاستقالة فورا . فقلت له: " وهو كذلك. ولكن نحن نقرر أن نعود إلى مصر ونراجعهم مرة أخرى". وأخذت الإرياني، وتركنا الاستقالة هناك وقلت عند ما نصل إلى القاهرة سنتصل تلفونيا ونعلمكم بالاستقالة.

س ــ لماذا ذهبتم إلى مصر؟

ج ــ لأننا إذا استقلنا ونحن هناك في صنعاء سيقومون ضدنا وستحصل فوضى واضطرابات وسنتعرض نحن للخطر. ثم من جهة ثانية لأن مصر هي التي قالت لا للحكومة وحتى يعرف العالم العربي حقيقة الأمر. ولم نتوجه للرئيس

السـلال بالاستقالة لأن لجنة متابعة كانت قد تشكلت في مؤتمر خمر، وهي السلطة العلـيا التـي تقدم الاستقالة إليها. ذهبنا إلى القاهرة وقابلنا أنور السادات وأخبرناه بأنهم لم يقتنعوا باستقالتنا، وأننا رأيناهم يقسمون بأنه إذا استقالت الحكومة سيذهبون إلـى السـعودية بالإضـافة إلى تهديد ووعيد، فأردنا أن لا يحدث أي شيء ونحن موجودون في صنعاء حتى لا نقع في هذه التهمة. أرسلنا الاستقالة وبلغنا الأخوان. فلما وصلت الاستقالة حصلت ردة فعل وقالوا لا يمكن قبول الاستقالة بأي حال من الأحوال. وتشكل وفد جاء إلى القاهرة. ووصل السلال بوفد ثان والتقى الوفدان في القاهـرة عـند عـبد الناصر. وكانت المحاولة أن لا بد من تشكيل حكومة ثانية. والقـبائل التـي في الداخل تقسم على أن لا تقبل أية حكومة ثانية. صممنا على أن تتشكل الحكومة برئاسة العمري ويخرج السلال ونعمان والإرياني من اليمن ويبقوا فـي القاهـرة. ولما صلوا إلى صنعاء كانت القبائل قد حشدت أمرها وسافرت إلى السـعودية. وحـدث ما لم يتصوره عبد الناصر، فلما سمع بأن القبائل سافرت إلى السعودية ولسان حالها يردد

ألا لا يجهـلن أحـد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أخذ يفكر ماذا يفعل وما العمل. وطار أنور السادات إلى الإسكندرية حيث كان الإريانـي فـي مستشفى المواساة. وعرف الإرياني بأنهم علموا قبل أن نعلم نحن. فقال لـه: "هل نظرت كيف طعنونا في الظهر، سوف يسلمون الجمهورية لأعدائها، الشـيخ فـلان والشـيخ فلان" يعنى مشايخ اليمن "ما هو الحل إذا؟ يجب تداركهم وإرسـال رسـول إليهم. وصل الرسول إليهم وقد التقوا مع الملكيين تحت إشراف فيصل ووقعوا اتفاقية الطائف التي تنص على قيام "دولة". التقى اليمنيون هناك على نظام لا تكون فيه أسرة حاكمة. المضمون جمهوري والاسم دولة، وتنظيم استفتاء. ووقع الملكيون والجمهوريون اتفاقية الطائف يوم ١٢ أغسطس ١٩٦٥. ماذا تعمل مصـر؟ دبـرت الأمـر في الخفاء للاجتماع في أحضان فيصل لتسبق القبائل من الجانـب الآخـر. اتصلوا بواسطة حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس جمـال عبد الناصـر ، الذي التقي بعمر السـقاف ممثل فيصـل ، على أن يذهب

عــبد الناصر إلى فيصل. وإذا بنا نتفاجأ بمجيء السلال والعمري من اليمن. فقالوا إنــنا مدعــوون جميعا إلى جلسة في الإسكندرية للقاء الرئيس جمال عبد الناصر. تحلقــنا فــي الجلسة، فقال أنا ذاهب إلى السعودية. نحن اعتقدنا أنه ذاهب من أجل السلام وحل المشكلة. قال: عندي العلم بأن فيصل سيقول دولة، والدولة تحافظ على كــل ما تغير. وما دام الأجهزة دستورية فالاسم لا يهم. فنحن أردنا أن نجمعكم هنا لنستطلع رأيكم في الموقف، وإذا لم ننجح بحل بالســلم سنحلها حلا عسكريا ، هذا مــا رتبــناه. قلــنا لهم: "لقد طرحتم علينا الحل العسكري ورتبتم للأمر، والإخوان العسكريون يقرون بهذا. ولكن نحن دعاة السلام نريد أن نرى ما هي خطة السلام". قال: "لا يوجد في رأسنا أية خطة". قلت: "علينا أن نتداول الرأي. فإذا كان الإخوان العسكريون يريدون الحرب عليهم أن يقودوا المعركة بأنفسهم لا بالجيش المصري، وعليهم أن يعملوا كما يعمل الملكيون. هم يقودون المعارك في قم الجبال، أما هؤلاء فيجلســون في صنعاء والجيش المصري هو الذي يحارب. فإذا طلبتم السلام أكون مــن المؤيديــن، لأن المثل العربي يقول: لا تحرق النار إلا رجل واطيها. فالذين يحترقون في حرب اليمن هم المصريون والجيش المصري، وعلى العسكريين من اليمنييــن الذين يريدون الحل العسكري أن يعملوا كما يعمل الملكيون. هم يقودون المعــارك في قم الجبال، أما الإخوان فيجلسون في صنعاء مرفهين مرتاحين. لهذا نطلــب أن يعد للسلام، وأريد أن أرى ما هي الصورة التي عندكم". فقال: "والله أنا لــيس لدي شيء إلى الآن. ولكن كل ما أفهمه أني لا أقبل إلا بحل مشرّف، وسآخذ معي زكريا محي الدين وسوف لن آخذ لا عامر ولا السادات". فزكريا محيي الدين من أنصار التحرر من حرب اليمن. وحدث خلاف بيننا نحن والسلال في الجلسة.

س ــ ماذا قال السلال؟

ج ــ قــال الســلال: "نعمــان لا يريد الجمهورية." فقال عبد الناصر: "ماذا؟ لا تــريد الجمهوريــة يــا نعمان؟" أجبته: "إني عاجز عن أن أكون مع الإمام من العكفــة، ولا أريــد أن تعود الملكية لأكون رئيس العكفة" (لأن السلال كان رئيس

حـــرس الإمـــام البدر، آخر أئمة اليمن، عند ما قامت الثورة. والعكفة تسمية كانت تطلـــق علـــى حـــرس الإمام الشخصي، والمفرد "عكفي". ولعل التسمية مشتقة من "الاعتكاف" حين كان يطلق على أنصار الإمام تسمية "مهاجرين" وكأن من يرابطون معـــه لحراســـته معتكفيـــن للعـــبادة). عـــندئذ نهض السلال من الجلسة، ولم يفهم عـــبد الناصر الموضوع. فقال المشير عامر: "يا نعمان ليس إلى هذه الدرجة." قلت له: "هل قلت لكم أني أريد أن أحارب الجمهورية! لماذا؟ أنا ضد الحكم الملكي منذ ثلاثيـــن ســـنة، أما هو فكان يتعسكر معهم ويحرسهم". وطوينا الموضوع. انفردنا. ولمـــا انفردت بعبد الناصر قلت له لي مدة أريد أن انفرد بك وحدك. رآني المشير عامـــــر وأقـــبل. فقلت للرئيس أريد أن اشتكى بالمشـــير عامر، لي شهرين هنا، لـــم يقابلني ولم أقابله، لم يرني ولم أره، والسبب أن هيكل وجذني في اليوم الأول وقال: "كيف الحال يا نعمان؟" قلت له: "الحال، كما قلت سابقا: إن القاهرة تمشي

وعلـــى عينيها حجاب، وهي لا ترى مواقع أقدامها من شدة الزحام والظلام. وأؤكد لك أنها إلى الآن لا تزال لا ترى مواقع أقدامها". قال لي: "ما هذا يا نعمان." قلت لـــه: "أنت تعرف ذلك، مع من نتفاهم." قال: "لماذا؟ ألم تقابل المسؤولين؟" قلت له: "أبدا". قال: "المشير عامر! قلت: "أبدا." السادات؟ قلت: "أبدا. لم أر وجهه". قال: "بشـــرفك". قلـــت: "بشـــرفي". قال: "هل من الممكن أن تقابل الرئيس غدا وتلكمه (ما دمت) لم تره؟" وكأنهم كانوا يبلغون الرئيس ببعض الأشياء ضدي. لهذا أردت أن أنفـــرد بالرئيس وأواجهه فيما يخص الســـلام وأقول لـــه إن الســـلام خير من الحـــرب، وإنـــك ستنتصر بالسلام ولن تنتصر بالحرب. فشاهدوني أنفرد بالرئيس وجاءوا، أنور السادات والمشير عامر. فلما جاء المشير عامر قلت "أريد أن اشتكي بالمشـــير عامر". لأنني خلال كل هذه المـــدة لم أر الرئيس. قال عبد الناصر: "أنا سأشـــتكيك للمشـــير". قلت له: "لماذا؟" قال: "بشير القطب مندوب سوريا، ماذا كان يعمـــل عـــندك فـــي البيت؟" قلت: "متى؟" قال: "أمس". قلت: "لم يحدث". قال: "قبل أمس". قلت له: "ولا قبل أمس، حتى أنا لا أملك بيتا في الإسكندرية". فقال لي: "ألم تـــر بشير قطب؟" أجبته: "لقد كنت أنا البارحة مع محمد حسنين هيكل. أما القطب

فأنا دائما أراه لأنه في الجامعة العربية ويزورني وأزوره." قال: "ألم يقل لك شيء عن الإخوان في سوريا". أجبته بدوافع النكتة "الإخوان في سوريا قالوا إنهم سيخرجون الجيش المصري ويأتون بجيش ثان إلى اليمن" قال: "ياريت، سوف أمدهم بخمسين مليون مساعدة، إنما مطاليبهم من باب الدعاية" قلت له: "لا يوجد شيء من هذا". إنما هذا دليل على أنه توجد مخابرات لأن بشير القطب زارني قبل مدة، فكأن المخابرات بلغته وأتى يشتكي لي. وهذا ذكرني بخلاف وقع مع المشير عامر في صنعاء وأنا أسأله عن مراقبة محمد نعمان ولأي الأسباب فقال: "قابل رشاد فرعون ليطلعه على أسرارنا". قلت له: "ما هي الأسرار التي يطلعها محمد للسعوديين، والأسرار تذهب من اليمن إلى السعودية، من مكتب رئيس الجمهورية ومن مكتب رئيس الوزارة، وسكرتيرا رئيس الوزراء هربوا إلى السعودية في هذا الأسبوع. فهل هم بحاجة بعد لمحمد نعمان كي ينقل لهم المعلومات وهو في القاهرة؟ ثم أن محمد سفير في الجامعة العربية ومن المفروض أن يلتقي بأي إنسان، وأنتم تلتقون بالسعوديين".

بعد هذا اللقاء سافر عبد الناصر إلى جدة في اليوم الذي مات فيه النحاس، حتى أن بعض الصحف في لبنان قالت: "ذهب عبد الناصر اليوم ليقابل فيصل ويأخذ الدروس من زملاء النحاس الذي مات ولم تشيع جنازته". ذهب إلى فيصل والهدف من وراء هذا ليرد على اتفاقية الطائف التي تمت بين اليمنيين. والعرب سامحهم الله، ذابوا أمام جلاله وهيبته، ونسوا أن اليمنيين اتفقوا على خطة، فوقعوا اتفاقا مع عبد الناصر، بدلا من أن يقولوا هذه قضية اليمنيين، واليمنيون حلوا قضيتهم بأنفسهم ولا تدخل للغير. فإذا بهم يورطون فيصل بتوقيع اتفاقية تجعله شريكا في اليمن. وهكذا سارت السيادة العربية على اليمن على هذا النحو. ووقعت الاتفاقية مع مصر. ولما انتشر الخبر بأن فيصل وقع الاتفاقية، صعق السلال وصعق العمري وصعق الناس جميعا. لأن الاتفاقية لم تذكر الجمهورية. وتم الاتفاق مع السعودية على إدخال قوات سعودية إلى اليمن بجانب القوات المصرية للإشراف على الاستفتاء، وعقد مؤتمر حرض، ووجود إشراف سعودي، وعير ذلك. فوقف

السلال مكتوف الأيدي والإرياني أيضا. دعاهم عبد الناصر ليبلغهم بما حدث، ودعا الإرياني مع أنه كان عازما على إلغاء الاتفاقية. لكنها قد وقعت في وقتها. ودعوا الإرياني ولم يدعوني، فأرسل الإرياني يبلغني وقال لي: "إنهم حاقدين عليك حقدا أسودا، ولا يريدون أن يروا وجهك". فقلت لماذا؟ قال "لأنك نشرت كلام عبد الناصر في الجلسة السرية التي عقدناها في الإسكندرية عن طريق وكالة الأنباء الفرنسية في اليوم الثاني!" قلت: "وأي سر في الجلسة؟ جاءني مراسل وكالة الأنباء الفرنسية يسألني عما جرى في الجلسة، فشرحت له ما كان في الجلسة، ثم قلت: يوجد خطر في اليمن على المصريين." قال إن عبد الناصر قال: "حتى المثل الذي قاله لنا في الجلسة قاله لهم". قلت للإرياني: "ألم تدافع عني وتقول لهم بأن ليس في الحديث شيء، وأنتم سمعتم وليس فيه شيء يستدعي أن يلام فيه الإنسان". قال عبد الناصر: "وأنا ذاهب إلى السعودية في الباخرة اسمع الإذاعة تذيع ما جرى في الاجتماع!". قال الإرياني: "والله، نحن لا نتدخل بأحاديث من هذا النوع، وهذا بلدهم". قلت أخيرا. "طيب وماذا؟ قال: "اتفقوا على تشكيل حكومة. وأنا نصحتهم بأن لا تشكل الحكومة بدون نعمان. فقال عبد الناصر: نحن لن نضع يدنا في يده ولن نتعامل معه". قلت: "وهو كذلك. أنا سعيد بغيظهم وخبثهم". اتفقنا نحن والسلال والعمري وقلنا لهم: "الآن اتفقنا وتآمر الجميع علينا. لا مصر معكم ولا السعودية معنا، ورجعنا يمنيين". واتفقنا على أن نكون إخوة ونكوّن كتلة واحدة. وخرجنا ونحن كتلة يمنية واحدة. وأصدرنا بيانا نريد جمهورية ثالثة، وليس من حق مصر أن تتفق من دوننا ولا أن تكون وصية علينا. أعجب هذا الموقف فريقا من المصريين لا يريدون نجاح الاتفاقية، دعاة الحرب، فساعدهم. أما نحن فقد وجدنا المجال للتعبير عن موقفنا، فانتصرنا وأنتصر غيرنا؟ وبقينا في نطاق الاجتماعات. كيف نوفق بين موقفنا أمس من الحرب بيننا وبين السلال والعمري اليوم؟ وماذا نقول للناس؟ والناس الذين سجنوا بسببنا؟ فالسجون مملوءة بأصحابنا من يوم تولى السلال والعمري وأنا في القاهرة مع الإرياني. ولكن فضلنا الرجوع إلى اليمن لكي نطلق سراح هؤلاء المسجونين. أخرجناهم والقيت خطابا: "من أجلك يا شعب اختلفنا

ومن أجلك اتفقنا". لأنه وقع خلاف جديد. قلنا وستأتي خطوة أخرى. وهكذا سارت اللقـاءات والاجتماعات. ولكن كان يوجد اتفاق على أن تأخذ مصر السلال وتأخذ السعودية بيت حميد الدين ليحدث الاتفاق في اليمن. سحب المصريون السلال إلى القاهـرة. وسرعان ما بدأ السلال يتقلب في مواقفه. وضاقت مصر بهذا الأسلوب. صادف أن وقع مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء. فمن يذهب؟ اتفقوا على أن أذهب أنا والسلال. ذهبت أنا والسلال إلى الدار البيضاء وكان الجو متوترا بين الجزائر ومصر، على أعقاب انقلاب هواري بو مدين على الرئيس بن بلا. وفي الوقت الذي كنا نلتقي فيه مع بومدين، قال لنا سيصل الآن عبد الناصر. وسينزل إلى هنا. قلنا هازلين الآن سنقبض عليه هنا. وصل وخرجنا نلاقيه عند نزوله من الطائرة ومعه زكريا محي الدين وأنور السادات. جلسنا قليلا، قال: "كيف اليمن الآن؟" قلنا له: "بخير". قال: "أتكتبون لها شعرا؟" ولهذا عند ما كنت في السجن قلت:

إذا كان لا شعر يفيد ولا نثر فليس لكم إلا القبائل والبدر

فتذكر الشعر وقال: "هل ستنظمون شعرا (لحل مشكلة اليمن)؟" قلنا له: "والشعر ينفع. قد كان حسان جيشا في قصائده أشد من كل زحّاف وجرار.

وجلسنا. وكان مقعدي بالقرب من عبد الناصر.

س ــ من وضعه؟

ج ــ بالترتيب. صدفة القدر. وكان إلى يساره بومدين، وإلى جانب بومدين السلال، وأنور السادات في البعيد. جلسنا وإذا بعبد الناصر عن يساري فقلت له : "الآن سنحت فرصة ألقينا فيها القبض عليك اليوم". ضحك وقال لبومدين :"نعمان يقول إنه ألقى القبض علي في الجزائر". قلت له: "هل نقل لك البيان أو سمعت من الإذاعات؟ لم يكن في حديثي كلمة واحدة فاسقة، ولم أتحدث إلا بما تحدثت به الصحف، كيف التقينا وكيف تحدثنا". قال: "كلا. حتى المثل الذي ذكرته قلته لهم". قلت له : "كنت في معرض دفاعي عن المصريين. نحن ندين أنفسنا نحن اليمنيين بأننا لا نقاتل. فمما يتهكمون به على السلال قولهم إنه سيقاتل إلى آخر قطرة من

دمــاء المصــريين. لــيس إلــى آخر قطرة من دمه وإنما إلى آخر قطرة من دم المصــريين. لهــذا أردت الدفــاع عنكم. كما إني أرجوك يا سيادة الرئيس، بما أن الصدفة جمعتنا بك، عندي شعر أريد أن أسمعك أبيات منه تدل على وجود نوع من التجاوب بينك وبين هذه الأبيات. "قال: "قم وألق الشعر". فقلت:

وقــد صــار قلبي قابلا كل صورة ... ولــــــيل لرهــــــبان

وبيــت لأوثــان وكعــبة طــائف وإنجــيل داود ومصــحف قــرآن

يعني قد ذابت في نفسك المذاهب والملل والخلافات، فأصبحت للحكم وما جلبنا لــك إلا الدعــوة للحكم. فستنتصر على أعدائك بهذا الأسلوب. وأؤكد لك أنه ليس عــندنا أي ســوء نية نحو مصر. وإني أعتبر نفسي ابن مصر. فقد تخرجت فيها ودرست فيها. وأعتبر أن لها دين في عنقي. والآن الحمد لله وقد تمت هذه الاتفاقية بيــنكم وبيــن إخوانكم السعوديين، أريد أن آخذ رأيك: هل نقابلهم وندخل معهم في المؤتمرات؟ قال: "قابلوهم وبادلوهم المعــاملة. لا يوجد أي مانع." قلت لــه : "وأنا أعــاهدك بعد الآن، إذا سمعت عني شيء فاطردني حتى لو كنت في اليمن." قال: "أنــا أعــرف أن الناس تنقل الأشياء السيئة عن الإنسان. قال: أكمل الأكل. قلت: لا أريــد وإنما أريد أن أتحدث. ولاحظت أنور السادات يبحلق فينا بعينيه من آخر المكــان. وأخــيرا انتهت الجلسة والتقينا في مؤتمر القمة نحن والسعوديين. ولكن لا يوجد حقد بيننا. عدنا نحن والسلال إلى اليمن من أجل التحضير لمؤتمر حرض الثانــي. وكــان الســلال يعرف أنه ثمن أي اتفاق معنا. فظل يثير المشاكل. لذلك سحبوه إلى مصر.

ملاحظة: نهاية الشريط الثالث.

(الصــفحات الــثمان التالــية التي تروي ذكريات الطفولة تقطع النص الذي يتحدث عن الإعداد لمؤتمر حرض)

من ذكريات الطفولة

(يوجد انقطاع في بداية الشريط) ... رشيدة، كانت من بنات الأسر ولها مركز اجتماعي متميِّز بحيث أنها تهيمن على الجميع. ففي إحدى البيوت حدث أن وضعت امرأة ولدا غير شرعي، إذ لم يكن لها زوج. فلما علمت رشيدة بهذا الحادث ذهبت إلى المرأة التي كانت قد أغلقت على نفسها ووضعت الطفل بطريقة بدائية دون أية مساعدة، ثم خنقته لتدفنه ولتخفي العار عن نفسها. ولكن الناس والجيران أسرعوا في الحضور فذهبوا يصرخون أن المرأة وضعت "زنوة"، وهذا يسبب عارا كبيرا للبلد الذي ولدت فيه. فخرجت رشيدة إلى المرأة لتسألها: لمن هذا الولد؟ ومن أبوه؟ فألصقت المرأة هذا الفعل بشخص كان بريئا في نظر رشيدة ومقدسا، فهوت عليها بإناء الطعام الخشبي ضربا على رأسها. وأرادوا في تلك الأثناء أن يخرجوها من المنزل وهي على تلك الحالة، يعني دون علاج. بلاد بدائية ليس فيها شيء من هذا. وأنا في سن صغير. كنت واقفا أشهد وأرتعد وهي تُضرب.

س ــ كم كان عمرك تقريبا؟

ج ــ كنت في الثامنة تقريبا. أخرجت من المنزل، وكان الوقت في آخر النهار، تجري في الشوارع وهي على هذا الحال. ولها ولد من زوج سابق، أحس بالعار وأخذ يرميها بالحجارة وهي تهرب لتلوذ بنفسها. غابت عن الأنظار، وأنا أنظر إلى المشهد، كيف أن أبنها الكبير يصرخ ويبكي ويرميها بالأحجار، إلى أن أوت إلى إحدى القرى. ظل هذا الانطباع مؤثرا على نفسي دائما، على اعتبار أن في الشريعة الإسلامية إذا زنت المرأة ترمى بالحجارة حتى تموت. هذا إذا كانت متزوجة، أما إذا كانت بكرا، فيكتفى بالجلد. تجلد مئة جلدة.

س ــ والرجل ماذا يفعلون به؟

ج ــ والرجل كذلك، إذا كان بكرا يجلد مئة جلدة ويغرّب عن البلد عاما كاملا حتى تطمس جريمته من ذاكرة الناس، ثم يعود بعد عام. هذا أصل الشريعة. وإن

كان محصناً يرمى بالحجارة حتى يموت. مثله مثل المرأة. وفي القرآن سورة كاملة عن هذا. ولهذا يعاني السلمون عذابا كثيرا (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مـــئة جلــدة)، هذا إذا كان بكرا. أثّرت في مشاهدة هذا المنظر تأثيرا كبيرا. وكنت دائمـــا أتذكره، وأتذكر طبيعة المجتمع، مع أن في الأحاديث "من ستر مسلما ستره الله" حـــتى أنهـــم كانوا يأتون إلى النبي، كما يروى في الأحاديث، يعترفون بسيئة فيحملهم على الإنكار. مثلا يأتي الرجل فيقول له أني زنيت يا رسول الله. فيقول له لعلك قبلّت، لعلك لامست. لماذا؟ ادرأوا الحدود بالشبهات، ولو بأقل شبهة. يكفي أن تـــدرأ عـــنها الحالـــة. كـــان أساس التشريع رحيما. ولكن جاء الفقهاء المتشددون الجـــامدون، الذيـــن ما فقهوا سرّ التشريع، فأكتفوا بالنص وعاملوا الناس على هذا الأســـاس حـــتى وجـــدت نفرة من الدين عند الكثيرين وتركوا دينهم كله نفورا من إرهاب الجامدين. ولهذا يقال إن الإسلام ضاع بين الجامد والجاحد، الذي ينبذه نهائيا والذي يتشدد فيه إلى النهاية. بهذا ضاع الأساس. فكان هذا من الأشياء المؤثرة التي تعطـــي صـــورة عن المجتمع كيف يصنع بالإنسان إذا زلّ أو أخطأ. لا يرقّ الابن لأبيه ولا لأمه. فتحدث هذه المعاملة، على الرغم من أن المرأة التي شاهدتها كانت تســـتحق الإســـعاف والعلاج. دخلوا مباشرة عقب الولادة وإذا هي مغسولة بالدماء والأرض كذلـــك، وهم يستنطقونها فقط عمن أتاها. فكانت هذه إحدى القصص التي أثرت في نفسي.

حدث هذا بعد جلاء الأتراك عن اليمن وتولي الإمام السلطة. وكان المفروض أن الإمام إمام الزيدية. وقد كان الشافعية خاضعين للأتراك. وبعد انسحاب الأتراك تعرضوا للسخط الشديد من الإمام، باعتبار أنهم كانوا موالين لدولة عدوة وأجنبية. فكـــان يبعـــث إلـــيهم الجنود(سبق أن تحدثنا عنهم). وكان هؤلاء الجنود يقتحمون المـــنازل، فتكون المرأة مغلقة للباب ولكنهم يقرعونه بأعقاب بنادقهم ليدخلوا على النســـاء. فمـــن جملة البيوت بيت محمد حجاب. جاء هذا الرجل والعسكر قد دخلوا بيـــته وكاد يغمى عليه، فهرب وترك البيت والبلد إلى عدن. هاجر من كثرة عبث الجنود. وهذا المشهد كنت أشهده أنا أيضا. وأنا أقرأ في المعلامة عند الفقيه. كانت هذه العملية تحدث في نفس القرية التي كنا نقرأ

فيها. كان الجنود يوزعون على القرى، إذ ليس عندهم سكن. يخرجون النساء من البيوت ويأوون في بيوت الفلاحين ويعتدون على المواشي ويقترفون غير ذلك مـــن الأعمـــال. كثيرا ما كانت تحدث في القرى مثل هذه الأحداث، فيهجر الناس القـــرى ويتركون النساء تحت رحمة الجنود لخدمتهم. ولهذا ازدادت هجرة اليمنيين إلى عدن وإلى الحبشة والسودان من آثار هذه العمليات.

أمـــا قصـــة عمـــي عـــبد الوهاب فقد كان من أيام الأتراك حاكما على منطقة الحجرية، المنطقة التي نعيش فيها نحن. فلما جاء الإمام ليقضي على كل الرؤوس التـــي كانت موجودة في تعز وفي الحجرية وفي العدين منذ عهد الأتراك، استدعوا هـــؤلاء جمـــيعا إلى مركز اللواء في تعز، إلى نائب الإمام الذي كان علي الوزير. اســـتدعاهم جميعهم إليه على أساس أن يتفاهم معهم حول الضرائب التي ستدفع من الأهالـــي، وفي طريقة توزيع الجيش، ليأخذ كل مسؤول مجموعة من الجيش معه. وأخـــيرا أشـــاع أنهم تآمروا لقتله. فألقى القبض عليهم وهم في البيوت في مركز لـــواء تعز (في مدينة تعز). وكانوا كلهم وجوه البلد. وبعد أن ألقى القبض عليهم وكـــبلهم بالقيود، أرسلوا إلى صنعاء إلى الإمام، على اعتبار أن هؤلاء يريدون أن يقومـــوا بانقلاب لاغتياله لكي يستولوا على البلاد مرة أخرى ويأتون بالأتراك، مع أن حكـــم الأتراك قد قد زال. وأرسل بعد هذه العملية من يصادر كل ما في بيوتهم. فجـــاء مجموعة من الجنود إلى قريتنا وكان والدي موجودا. وكان الإرهاب شديدا. فلمـــا وصـــلت مجموعـــة الجنود جاءوا ببعض الفلاحين وبعض الخدم الذين كانوا تابعين للعم، ليدخلوا معهم إلى البيوت لأخذ ما فيها. ماذا يفعل الناس؟ أخرجوهم من البيوت لكي تبقى مركزا ومسكنا للجنود. ثم أخذوا كل ما في البيوت من أثاث حتى الحصـــير، وأخـــرجوا النساء جمعيا. ونقل هذا الأثاث كله على الجمال. فبقيت هذه العائلـــة طـــيلة ســـنين تعاني، الأب معتقل في صنعاء والنساء دون أية نفقة، وكل أموالهـــم مصـــادرة. فكانـــت هذه أيضا من العوامل التي طبعت في الإنسان روح الســـخط على النظام الذي يحكم في بلادنا. والمجتمع الذي لا يوجد فيه روح التأثر

ولا روح الإحساس مجتمع متبلد الأحاسيس تبلدا عظيما. أولا بسبب الجهل ثم الفقر. هذا يقطع قطعة زجاج، وآخر يخلع النافذة، وذاك يأخذ حصيرة، حالة يرثى لها.

هـل سمعتم بالجن؟ الجن لا يراهم الناس. توجد سورة في القرآن هي سورة الجن. وقد جاءوا إلى النبي. وهم يرونكم من حيث لا ترونهم. هم يروننا ويعيشون معنا ويتخللون البيوت ولكننا لا نراهم. لا يزال هذا المفهوم منتشرا في اليمن، حتى أن الطفـل لا يـزال يخاف أن يمشي لوحده خوفا من أن يخطفه الجن، وحتى أن النسـاء عندما يصاب بعض أبنائهن بمرض يقلن إن الجن سكنوا رأسه. فما علاج هـذا؟ يحمـل الطفل إلى قبر من القبور المشهورة للأولياء. يوجد رجال صالحون عـرفوا بالتقوى. هناك يستشفى على القبور حيث يجلبوا الطفل ويجلبون معه ثورا أو كبشـا. إذا كـان فقـيرا يكتفى بكبش، وإن كان غنيا فيأخذ ثور. يضعون الثور والولـد المصـاب بالمرض على القبر ويذبح الثور. فيخرج الجن من رأس الطفل لـيلحق الدم ويكون في هذا شفاؤه. يشفى الولد من هذا المرض. وأحيانا قد تصاب المـرأة بشـيء مـن هذا. مثلا عندما تلد المرأة ما هو علاجها؟ يعطونها شيئا من الأعشـاب مـع القهوة ويسمى الزعتر، تغلى وتشربها المرأة لتعالج نفسها. ولكن أحـيانا تصاب بمرض في أعصابها من الجوع وسؤ الغذاء فماذا يفعلون؟ يطوفون بالكـبش على رأسها سبع مرات ثم بعد الطوفان يذبح الكبش ويغلقون الباب عليها هـي والكـبش حـتى يخرج الجن ويلحق بدم الكبش، ثم يدخلون ويجدون أن الدم قـد أختفى، فيعتقدون أن الجن قد خرج ولعقه الجن. ولكن في الحقيقة يكون الدم قد جف على الأرض. هذه أيضا من وسائل الطب الشعبي في اليمن. كذلك يوجد طب الكـي بالنار واستعمال الإهليج، نوع من الأعشاب يغلى ويشرب. ثم توجد الشربة وغـير ذلـك من الطرق. إنما كلها طرق طبية بلدية لا تزال موجودة حتى الآن. عـندما يصـاب أحد بطلقة نارية أو برصاصة، ينتزعونها بأن يغمس الشخص في السـليق، يفـورون عصير الكركر ثم يوضع فيه نوع من النيل الأسود، ويغطس الشـخص فـيه عـدة مـرات، ويظلون يضغطون على هذه الدهانات حتى يسهل سـقوطها، وبعد أيام يستطيعون نزع الرصاصة. هذه طريقة من طرق الطب الذي

كـــان منتشرا. وكذلك يوجد نوع من البخور يسمى الفارقة الذي يطرد الجن، عند الغـــروب. يحرقون هذا البخور لتنفير الجن. فكنا نحن نتخوف من أن نمشي وحدنا فـــي الطريق لئلا يخطفنا الجن ، أو أن ننام في الظلام حتى لا يأتي من يمسكنا أو يقبض علينا . هذه كلها تهاويل تصنع في نفس الإنسان مخاوف كثيرة. ويظل بعض الأهالي حتى الكبار منهم يستشفون على القبور إذا أصيبوا بأي مرض، أو يغتسلون بالمـــاء الـــراكد حول قبر من قبور الأولياء، والذي يكون عرضة للأوساخ ولكنهم يتـــبركون بها. هذه من الأشياء التي لا يزال لها آثار في الكثير من القرى ولم يبق مـــنها إلا الشـــيء البســـيط في المدن، لأن تغييرا كبيرا قد حدث في اليمن. فبدأوا يستعملون الإبر والأدوية. بعض الناس لم يعودوا يعتقدون بها ولا يقتدون. وقد كان بعض الأشخاص يكتب آية من القرآن في فنجان ليصب عليها الماء ويشرب. وهذا من العلاج الذي يعطى للمرأة بعد الولادة. كان هذا جزء من الطب الشعبي.

وعـــن التعليم عند ما كنت أعلّم على الأسلوب القديم، كنت أكلفهم بأن يحفظوا بعض المُتون التي تحفظ وكأنها رطانة أجنبية بالنسبة للطالب. فهو لا يفهمها ولكن علـــيه أن يحفظهـــا غيبا، وإذا لم يحفظها عن ظهر قلب يضرب. فمحمد ابني ممن ضرب لعدم حفظ ألفية ابن مالك. ضربته لأنني كلفته بحفظ الألفية التي تجمع قواعد نحو اللغة العربية كلها. وتقول في مقدمتها:

واستعـــين الله في الألفية مقاصد النحو بها محوية

إنها سهلة لتعليم الإنسان نحو اللغة العربية لكن عليه أن يحفظها غيبا.

س ـــ من كم بيت تتألف؟

ج ـــ مـــن ألـــف بيت. لكل قاعدة من قواعد النحو باب، مثل باب الإعراب، وبـــاب المبـــتدا، وبـــاب الخبر. وكلها نظم قديم ليس فيه ما يلّذ، وأسلوبها الأدبي لا يشوّق القارئ للقراءة، وإنما عبارة عن معلومات منظومة.

س ـــ كم كان عمر محمد عند ما فرضت عليه حفظ الألفية غيبا؟

ج ــ كان عمره ١١ سنة، والمفروض عليه أن يحفظ غيبا ألف بيت. هذا في النحو، وعليه أن يحفظ غيبا أيضا مثلها في الفقه، هو مجموع متن "الزبد"، ومثلها في التوحيد في الكلام عن صفات الله. فتجتمع عنده حوالي ثمانية متون، كل متن في فن من الفنون. ولكن كنا نكتفي بالحفظ، فلا نتذوق اللغة العربية تذوقا حقيقيا، ولانطبق قواعد القراءة. المهم أن الطالب يدرس النحو. كذلك يجب أن يحفظ منظومة في تقسيم المواريث، وفي المعاملات وفي النكاح، في أبواب الشريعة. فلا بد من حفظ هذه الأشياء، وكلها عبارة عن متون تطبع ويغيبها الطلاب. كانت تطبع في مصر. وكان التعليم على الأسلوب القديم كله. يكتفي بمجرد الحفظ. تحشى أذن الطلاب حشوا لا يفهم معناه. لهذا كان أكثر الطلبة يهربون من التعليم. فمحمد أيضا ممن أصابه هذا الأمر. جاءني ذات مرة زميلي الزبيري، وقال لي: "يا رجل أضحك. أبنك محمد قال والله إن ألفية ابن مالك لو قذفنا بها ألمانيا لأخضعناها قبل أن يخضعها الحلفاء (أثناء الحرب العالمية الثانية). لذلك رفعنا عنه ألفية ابن مالك. وكان أسلوب التعليم الضرب. كان الإنسان يرث بعض القسوة التي تعلمها من المعلامة، وبدوافع مخلصة. فمن الموروث قولهم "لولا المربي ما عرفت ربي"، و"العصا لمن عصى المعلم".

كان أبي كثير الحرص على أداء الشعائر الدينية. يقوم لأداء صلاة الفجر في منتصف الليل. وكان يهوي على من لا يقوم من الأخوة لأدائها معه بالعصا وهم نائمون، ثم يصب عليهم الماء البارد. كنت أنا أصغرهم سنا وأخاف من هذه المناظر فأنام مذعورا، وأقوم قبلهم فيعجب والدي بوجودي إلى جانبه. أما أنا فلا أفهم شيئا، وإنما أصلي بدافع الخوف منه، وأحضر المسجد معه، ويكلفني بالذهاب لإيقاظهم. أذهب وهم مستغرقون في النوم، البعض منهم كانوا قد تزوجوا وأنا صغير.

س ــ متزوجين ويعيشون سوية؟

ج ــ نعــم. كان المتزوج يسكن في إحدى غرف البيت، كل واحد مع زوجته وأولاده إذا كـــان عنده أولاد. كنا نعيش في دار واحد تحت رحمة الأب، ولا يجرؤ الولـــد أن يخرج عن سلطة أبيه. فيظلون كأنهم أطفالا تحت رعاية الأب كما ترون محمد مع أولاده. فكان يحدث في نفوس الأخوة شيئ ضدي فأرهبهم. كنت أرهبهم لأني أصغرهم، فكنت أظل بجانب والدي في الليل ليوقظني، أحمل له السراج خوفاً وليس محبة ولا رغبة، إنما بدوافع الخوف. فكان أكثر الإخوة مسلّطين علي لأنني أصـــغرهم كمـــا قلت والصغير في اليمن يجب أن يخضع للكبير ولو كان أكبر منه بسنة واحدة. الكبير يؤدب الصغير. وليس للصغير الحق في الكلام. وحتى لو ذهب إلـــى الأب ليشتكي، يرد عليه أبوه بالقول: "أخوك أكبر منك. يجب أن لا تشتكيه". وكانت هذه عوامل تدفعني للخلاص من هذا الطغيان الكبير، طغيان الأسرة. لا قيمة للحياة مع الزوجة. كان الإنسان منصرفا للعلم.

ما لذة الخمر والحلوى ولا الطرب	**ولا عـــــــناق الغوانـــــــــي**
كلذتـــي فـــي اتخـــاذ العلم أجمعه	**مـــن المحابر والأقلام، في الكتب**

مـــا قـــيمة المرأة، ما قيمة الولد، ما قيمة الدنيا دون أن تأخذ الكتاب وتلقى الله تعـــالى. إن طالـــب العلـــم أفضل عند الله من ألف عابد. حتى أن الملائكة تفرش أجنحتها له وهـــو يمشي على الأرض. فطـــالب علم الدين يرضي الله كثيرا. ومن ســـخرية بعض الناس أنه رأى بعض الطلاب يجرون ذات يوم فقال لهم أحذروا أن تكســـروا أجـــنحة الملائكـــة، علـــى اعتبار أنهم طلبة العلم. فكانت الزوجة محبة وحريصـــة وعندها تقدير بأن رجل الدين يصبح له قداسة. فكنا لا نقيم للزوجة أي اعتـــبار على أساس أنهم جاءوا بها لتخدم. يقول الأب للولد: "نريد أن نزوجك حتى تأتـــي زوجـــتك لتســـاعد أمك". فكنت مع الانشغال بطلب العلم وحلقات التدريس، لا أدخـــل إلا للنوم، وعلي أن استيقظ في منتصف الليل وأوقظها لتقوم وتعد القهوة والطعام للذين يتعلمون عندي. وكانت تتحمل هذا وتخرج إلى باب المسجد لتعطينا ما أعدّت. وذات يوم وأنا أقرأ الحديث وأقول: "حدثنا أبو هريرة، قال قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء. قيل لم يا رسول الله؟ قال:

"يكفرن." قيل: "أيكفرن بالله ؟" قال: "كلا. يكفرن العشير، أي الزوج. لو أحسنت إلى إحداهــن مــدى الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك قط." فسمعت الزوجة الحديــث. فلما أتيت في الليل، قالت لي: "ما قال هريرة؟ نحن كفار، نكفر بالعشير والزوج." وأخذت تعاتبني. قلت لها: "هذا حديث الرسول. وليس أنا الذي قلته."

وكانت كلما طلبنا شيء قالت ما حدثنا رسول الله عن أبي هريرة؟ هكذا كانت حياة الزوجة. الرجل نائم في البيت وهي تعمل وتتعب وعليها أن تتحمل كل شيء.

س ــ كم كان سنك عند ما تزوجت؟

ج ــ تزوجــت ابــن أربعــة عشــر سنة. ولكنني ذهبت لطلب العلم. وعند ما رجعت كنت في سن العشرين حينما تزوجت الزواج الحقيقي. وكانت هي أيضا صــغيرة الســن. فالعادة في اليمن أن يختار الأب أية بنت لابنه ثم يتفق مع والدها وتبقى عند أهلها.

س ــ هل ابنك محمد أكبر أولادك؟

ج ــ له أخت أكبر منه ولكنها لم تعش طويلا.

(نهاية الوجه الأول من الشريط الرابع)

(بداية الوجه الثاني من الشريط الرابع):

(ملاحظــة: الصفحات الثمان السابقة التي تتحدث عن ذكريات الطفولة تقطع نــص الحديث عن مرحلة الإعداد لمؤتمر حرض والخلافات في العهد الجمهوري. وحرصــا علــى تــرك الأصل كما هو تركت في محلها، ويمكن لمن يقرأ أن يقفز فوقها ليواصل قراءة النص) .

ترك المصريون عبدالله السلال في القاهرة وبدأ الإعداد لمؤتمر حرض. ولكن المصــرين كــانوا منقسمين. منهم من يدعم بقاء الجمهورية وعدم التنازل عن أي

شيء، ولا يرى الوصول إلى أي حل وسط في شأن الحكم والاستئثار به، وبعضهم يـرى العكـس. فكان عبد الناصر يظهر بأنه يريد حل المشكلة بأي ثمن، والمشير عامر يتشدد ويقول إنه لا يستطيع التساهل لأنه ضحى بـ"أولاده وبكل شيء". فكنا نـرى أن الجانب الأقوى هو جانب المشير عامر والعسكريين. والعملاء الذين في اليمن هم عملاؤهم الذين كانوا قد جندوهم. يهتفون هتافات ضد الملك فيصل، وضد السـعودية، وضـد الملكـية، وضد الحل، وضد مؤتمر حرض. ولكن المصريين ضـغطوا ضغطا شديدا وقالوا إنه لا بد من الوصول إلى حل ولابد من اللقاء، لأن الجانب الآخر قد أعد الوفد وجهز قوائمه وسيصل في الزمن المحدد في حين يكون الجمهوريـون لـم يشـكلوا بعد وفدا منهم. كان هناك انقسام بين المصرين يؤيدهم فـريق كبير من اليمنيين ممن يرون أن الحرب هي الطريق الأسلم لهم ولمناصبهم ومكاسبهم، كي يستمروا في هذا الوضع. لأن السلام سيكلفهم ثمنا غاليا. وكما يقول الفلاسفة إن الحرب هي طريق سهلة للجبناء الذين يفرون من مواجهة السلام. إنها أسـهل طريق. فكانت الحيرة بين الذين يشددون علينا من المصريين، سفير مصر فـي صنعاء وغيره، للذهاب إلى المؤتمر، في حين نرى أنصاره والمرتبطون من الهـتافة يطلقـون الهتافات رفضا للمؤتمر ويهددون من سيذهب إلى المؤتمر. فقال الإريانـي للسفير: "نحن حائرون، أنتم أما منقسمون على أنفسكم أو لا يثق بعضكم بـبعض، واحـد يعطيـنا التعلـيمات لنذهب والأخر يقوم بالعكس، من الذي نأخذ بكلامه؟" قال: "لا يوجد غير السفير. وتم الاقتناع بالسفر إلى مؤتمر حرض. التقينا هناك بالوفد الملكي وإذا نحن كلنا إخوة، كل واحد يلتقي في الطرف الآخر بزملائه، ولكـن فرقتـنا المشـاكل التـي فرضت علينا من الخارج وليس من ذات أنفسنا. تـم التلاقـي وتـبادل الآراء والمشورة. اختاروا لجنة محدودة من الأشخاص: من الجانـب الجمهـوري، أنا والأرياني ومن الجانب الملكي أحمد الشامي رئيس الوفد ومحمـد عبد القدوس الوزير لنحضر عند اللجنة المصرية السعودية لنتدارس الأمر مـن أجـل تهيـئة المؤتمر لكي يكون مؤتمرا ناجحا. فإذا بنا نلمس الفرق في هذه الجلسـة المحـدودة بيـن السعوديين والمصريين، أي بين مندوب مصر ومندوب السعودية. قال السعوديون: "أتينا إلي هنا على أساس أن النظامين معلقان أو مجمدان

أو ملغــيان، لا جمهوريـــة ولا ملكية. وإنما هنا لقاء بين اليمنيين لاختيار حكومة مؤقتة تهيئ لاستفتاء. وينتج عن لاستفتاء ما ينتج. ولا يقر المؤتمر أي نظام." قال المصــريون: "كلا. ليس كذلك." أجاب السعوديون: "هكذا اتفقوا، وهذا هو الاتفاق، ومـــاذا عــندكم؟" أجــاب المصــريون: "ســوف نــرجع إلى القاهرة ونرى." قال الســعوديون: "ماذا أتيتم تعملون هنا ومن أجل ماذا؟" وهكذا بقينا شهرا في حرض نعيش في الخيام، في أرض صحراء نتعرض للأتربة والرياح. وكل يوم لقاءات بين الطرفيــن وكــل واحد يخطب من جانب، الفريق الجمهوري والفريق الملكي. قلنا: "لنضع لائحة للمجلس." قالوا: "كلا. لسنا في حاجة إلى لائحة." وظل الخلاف على وضـــع اللائحة. وإذا بالأمور تسير في الاجتماع على غير رأى ولا خطة. نذهب إلى اللجان، ولكن لا التقاء بينها. فقلنا: "إذا كنتم أنتم المصلحون ليست عندكم خطة وليس لكم رأي محدد، فلماذا تلوموننا نحن. نحن مسوقون." وفي إحدى المرات قلت لليمنييــن: "نحــن اليوم ما بين عملاء مصريين وعملاء سعوديين ولا يوجد عملاء لليمن. فعلينا أن نبحث عن عملاء لليمن. وكان المراقبون موجودين وقد سجلوا هذا الحديــث. ظــل الموقــف علــى ما هو عليه وكأن المصريين قد بدأوا يتلاعبون مــن جانب والسعوديون يقولون هناك موقف اتفقنا عليه وهو صريح. أن النظامين لا شــأن لهمـــا ولا دخل، وقد تتفقون على حل وسط ثم يعاد للاستفتاء ليطلع بأية نتــيجة. فظــل التلاعــب. أنا تركت حرض قبل أن ينفض المؤتمر ورجعت إلى الحديدة. ثم قلت للإرياني اتفقوا كما تريدون. أخيرا قالوا يؤجل. وهكذا تأجل مؤتمر حرض. لم يعلنوا فشله ولا إلغاءه، ولكن قالوا يؤجل، وتأجل. وثارت ثائرتنا. وبعثنا برقــية لعــبد الناصــر وفيصل من الجمهوريين: "أنتم الذين أضرمتم هذه الحرب فـــي اليمـــن، وأنــتم الذين قدمتم السلاح للطرفين وأنتم القادرون على أن تفرضوا السلام في اليمن. أما نحن فلا نملك شيئا.

أخـــيرا انفــض هذا المؤتمر. وذهبنا بعد ذلك إلى القاهرة وعاد الملكيون إلى قواعدهــم. بقيــنا في القاهرة أياما ثم عدنا إلى اليمن. كانت الأمور هادئة والحرب واقفـــة. قضينا فترة لم يرجع خلالها السلال إلى اليمن، بل بقي في مصر منذ ذلك الاتفاق، وقد كان رئيسا سيئا. فكان العمري يقوم بعمل الرئيس. التقينا فيما بعد نحن

والعمــري والإرياني وأصبح بيننا نوع من التقارب على الرغم من أن المصريين كــانوا يعتبرون أن العمري رجلهم، وأنه يجب ألا يقع بين أيدي هؤلاء السياسيين الفاسدين. ولكن العمري تجاوب معنا.

فقــد وجهــت إليه الدعوة لحضور مؤتمر رؤساء الحكومات العربية لأنه كان رئــيس حكومــة. وأنا أصبحت عضوا في المجلس الجمهوري. فأراد العمري أن أنوب عنه في رئاسة الدورة، فأكون نائبا لرئيس الحكومة في رئاسة الدورة. أعددنا كل شيء وذهبنا إلى القاهرة. فدعاه حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر حينذاك، وزكريا محيى الدين وقالوا له لا يمكن أبدا ولا نقبل بأن ينوب عــنك نعمــان. الدورة دورة اليمن. أحضر أنت وترأسها. نعمان لا ينبغي أبدا أن يــرأس الوفــد. أصبح عندنا حقد شخصي. عقد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وتــرأس العمري الدورة وتسلم الرئاسة فيما بعد العراق، لأنها كانت بعد اليمن في الترتيــب الهجائــي. وبقيــنا فــي القاهرة جميعاً، الإرياني والعمري وأنا وتركنا المصريين يحكمون اليمن. لأنهم بعد ما وقعوا الاتفاق مع السعودية بدءوا ممارسة الحكم. وقررنا خلال هذه الفترة أن نعود إلى البلد لنمارس أمورنا. وكان المصريون موافقين على عودة الإرياني والعمري. كانوا يدعونهم دائما إلى العودة. واتفقوا مع الإريانــي والعمري على أن عند وصولهم إلى اليمن يتم إرسال السلال من القاهرة إلــى اليمن، "وحينما تحلق الطائرة أعلنوا عدم موافقتكم على القبول واعلنوا تنحيته عــن رئاســته"، ويصــدر سفير مصر في اليمن اليمن البيان. وسينزل السلال في الحديــدة أو في أي مكان ويقرأ إعلان تنحيه. هكذا كان الاتفاق. ثم أوصوهم على عدم اطلاعي على هذا الموضوع، "ولا تطلعوا نعمان على هذا أبدا". وشددوا على ذلك. ولكن ما ذا قصد الإرياني؟ وكانوا قد دعوهم إلى عدة جلسات. هذه أول مرة ينكــث فــيها الإريانــي العهــد بيننا. لم يخف عني شيئا إلا هذه القضية، فكأنهم استحلفوه. ثم إن الإرياني كان يدعى إلى عدة جلسات.

مــن المحــتمل أن يكونــوا قــد استحلفوه ثم فكر وقال: بما أن الأمور ستتم، فالأستاذ نعمان في أيدينا. عادوا إلى اليمن ولم يقترحوا علي العودة معهم، ولكن أنا قــررت أن أعــود فوافقوا. عادوا غاضبين من المعاملة التي لقوها في آخر الأيام.

فعدنـــا فـــي يولـــيه سنة ١٩٦٦، لأن مؤتمر حرض كان في يناير. حدثت قضية العمـــري، حيـــنما دعي إلى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وأراد أن أنوب عنه ولكن المصريين رفضوا أن أنوب عنه. وكان الأمين العام قد سجل اسمي، فتداركوا الأمر وألغوا مسألة أن أنوب عنه من الأساس.

وزار كوســـجين (رئيس الوزراء السوفيتي آنذاك) القاهرة وكان العمري قبل ذلك ينوي أن يزور روسيا. فقال له المصريون لا لزوم للتعب، فهو سيزور مصر وعـــند ما يكون في مصر تعال. فصادف أنعقاد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ومجيء كوسجين في مايو ١٩٦٦ إلى القاهرة. وتم ترتيب مقابلة العمري لكوسيجين بواسطة السفير الروسي، علم المصريون ورتبوا لقاء مع كوسجين. وكان اللقاء في الساعة الثانية عشرة ظهرا في قصر القبة (القصر الجمهوري المصري). وقبل أن يذهب العمري ومعه الإرياني بلّغوا بأن الموعد تأجل إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، فـــــتأخروا إلى الساعة الثالثة وذهبوا. وحين وصلوا نزل أحد الضباط المصريين وقـــال للعمـــري: "إنـــه مشغول مع الرئيس ولكن ستلتقي به أثناء العشاء." قال له العمـــري: "ولكننـــي لست مدعوا لحضور العشاء." قال: "إنما الدعوة للعشاء." قال العمري: "لم آت من أجل العشاء وسوف لن أتعشى، إنما اتيت بحسب موعد محدد من كوسجين في الساعة الثانية عشرة تماما، ثم تقول لي أحضر وقت العشاء! بلغه سلامي وأخبره بأني ألغيت الزيارة وقطعت العلاقة، وإني لا أتحمل إهانه اليمن بهذا الشـــكل." ركـــب السيارة وذهب. وكان الترجمان الروسي وهو يجيد اللغة العربية موجودا مع الضابط المصري وسمع هذا القول، فبلّغ كوسجين بما قال العمري من أنـــه سيلغي الزيارة، وسيقطع العلاقة بين اليمن والاتحاد السوفيتي ردا على إهانة اليمن، فالعمري رئيس حكومة اليمن. وقد قاد السيارة وذهب. ولم يكن كوسجين مع عـــبد الناصـــر، بل كان في انتظار العمري. وقد سأل: "أين العمري؟". ويبدو أن الســـفير قد بلّغه فقال: "إذا سأخرج أنا إليه. أين المنزل." قال الرئيس عبد الناصر: لا داعـــي لذلـــك، سوف ندعوه نحن إلى هنا. هم أولادنا. أتصل عامر تلفونيا، فرد علـــيه الإريانـــي. قال عامر: "ما القصة؟ أين حسن؟" أجاب: "حسن غضبان ونحن جميعنا غضبانين لأن هذه إهانه لليمن، فنحن إذا تقبلنا منكم هذه المعاملة، فلا يمكن

أن نتقـبلها مـن أي أجنبي، ولو كان سيسكننا القمر ويعطينا الشمس، ما نتقبلهاش أبـدا." قـال عامـر: "لا داعـي لذلك." قال الإرياني: "وقد حلف أن لا يرى وجه كوسجين." قال عامر: "أعطني حسن." وكلم عامر حسن العمري وأخذ يقول له: "إن الرئيس يتشفع بك." أجابه: "أنا لا أعرف الرئيس، أنا لا أعرف إلا اليمن فقط. وأنا لا أريـد أن أري الروسـي ولا أريد روسيا." قال عامر: "سوف تعلن الحرب على روسيا يا حسن!" أجابه: "أعلن الحرب عليها وعلي أبوها، وسوف أعيد العلاقات مع أميركا من اليوم." قال عامر: "الرئيس يتشفع بك يا حسن." رد عليه: "أبدا." بعد أن انتهـت المكالمة التلفونية، خشي حسن من أن يأتوا ويخرجوه، ترك البيت وذهب. فظلوا يفتشون عليه طوال الليل ولم يجدوه، فكان كوسجين منزعجا. فما العمل، أتوا بالسلال ..... (قطع الشريط)

قال كوسجين: "الذنب ليس ذنبك." قال له: "أنا فاهم." فرد كوسجين: "على كل حال اعتبر الموقف قد انتهى." وحلت المشكلة. وخرج العمري ليودع كوسجين إلى المطـار. وهناك التقى بعبد الناصر. وكان كوسيجين في نفس اليوم قد أخبره بأنه خارج إلى المطار. فشـرح له عن مشكلة الأسلحة. فقال عبد الناصر: "أنا لا أقول أزيك يا حسن، إنما أقول أزي اليمن." بعدها توترت العلاقات بينهما. ونحن وجدناها مكسبا. عدنا إلى اليمن جميعا، وبعودتنا كنا ولا شك نريد أن نرتب أمورنا. فأرسلوا السـلال. دهش الجميع لوصول السلال، وخرجت القوة المصرية كلها إلى المطار لتسـتقبله. وأنكـر المصـريون وصـول السلال. والمصريون لديهم تعليمات بأن يستضـيفوه ويسـتقبلوه. فاستعد المصريون لحكم اليمن مباشرة. فأرسلوا السلال، وكـانوا متفقيـن مع الإرياني على الرأي الأول ولكن أمروا القوات المصرية بأن تدخـل وتحـيط بالسـلال ولكـن لم يستقبله أحد. العمري رتب نفسه مع الجيش. لـم يـريدوا أن يدخلـوا في صدام مع القبائل المجمهرة (التي أيدت الجمهورية). اضـطربت القبائل وقالوا لا بد من حرب مع المصريين. كتبوا لنا، أنا والإرياني، وكنا في تعز، ونحن أبرقنا إلى العمري. صادف أن مات أخو الإرياني الأكبر فبقي فـي إريان. وصعدت أنا والشيخ محمد علي عثمان. وجدنا القبائل متوترة والجيش فـي حالة طوارئ متضامن، يصر على عدم قبول السلال بأي شكل من الأشكال،

وأن مصــر لا يمكــن أن تفرض عليهم بقوة السلاح أي شخص أيا كان. وصمموا علىهــذا. تفاهمــنا مــع العمري وانعقد مؤتمر للقبائل خارج صنعاء. خرجنا معه لحضــور المؤتمر. واتخذت في هذا المؤتمر قرارات رفض عودة السلال ليمارس الحكــم، ورفض تحكم المصريين باليمن. وتم إرسال برقية لعبد الناصر من القبائل تقول في الوقت الذي تدعون فيها للوحدة العربية تمزقون اليمنيين وتفرضون عليهم حكومة مصرية. وفي الوقت الذي تنددون بالإنكليز لأنهم يفرضون حكومات عميلة فــي الجــنوب تأتون فتفرضون في صنعاء كذا وكذا؟ هذا باسم القبائل، وقالوا إن الجمهورية العربية المتحدة أصبحت

كالنــار تأكل نفســها إن لم تجــد ما تأكله

ولكــن اليمن لن تؤكل أبدا. هذا ما صدر عن مشائخ القبائل. ووزعت البرقية علــي المشاركين ووقع عليها جميع القبائل. لا ندري من أوصل البرقية إلى راديو عــدن وأذيعــت باسم القبائل اليمنية قبل وصولها إلى القيادة العربية. وزاد التوتر. ونحن عملنا عملا لا مبال وظننا بأن الأمور ستسير.

وجــاء الفــريق (عــبد المحســن كامل) مرتجى من القاهرة وجمعونا للتفاهم والاتفــاق، فــإذا به فراق ولم يكن وفاقا. ما هو الحل؟ قلت لهم: "أما أنا فسيصبح شــعاري من اليوم بعد أن رأيت هذا الموقف وبدء التفرق: "إذا رأيت شحا مطاعا وهــوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك ــ يعني ارجع إلى القرية. أنا علي بخاصة نفسي، لست معكم لا في الحكم ولا في السلطة ولا في أي شــيء". ونقلت حقائبي وذهبت إلى القرية إلى الحجرية لأول مرة، تلك القرية التــي عشــت فــيها في طفولتي. بقيت هناك وإذا بالإرياني والعمري يلحون علي إلحاحا شديدا ويقولون: "لا تفشلنا بهذا الموقف. نحن إخوة وعلينا أن نتعاون تعاونا وثيقا وسوف نلتقي في تعز و نتفق على رأى. رجعت من الحجرية والتقينا في تعز. تشــاورنا وقلــنا ما هو الرأي؟ الأمور تتوتر، والمصريون يجندون أنفسهم بجانب الســلال. قــالوا الــرأي أن لا ندخل في فتنة ولا نفجّر معارك، نلتقي ونذهب إلى القاهــرة، تذهــب الحكومة بكاملها ومعها المجلس الجمهوري، فنذهب إلى القاهرة

ونبقى هناك وندعهم يتصرفون كما يريدون. والقبائل سيردون عليهم بنشرات. لم أوافق على هذه الفكرة. وافقت على أن نذهب ولكن ليس إلى القاهرة. فلنذهب إلى الأمم المتحدة حتى يسمع صوتنا. قالوا لن يستقبلنا أحد، وسنظل وحدنا، لأن العرب قد أصبحوا آلة مسخرة بيد عبد الناصر خلال حكمه. فقررنا أن نذهب إلى القاهرة وكان الإرياني متشددا في هذا الرأي. ذهبنا إلى القاهرة. ولما وصلنا استدعينا لمقابلة المشير عامر وشمس الدين بدران وزير الحربية حينذاك. أنا لم أذهب، بل ذهب العمري والإرياني والوزراء وأركان حرب الجيش. لأن الذين ذهبوا إلى القاهرة حوالي ٦٠ شخصا، حملتنا طائرة مليئة. وصل العمري والإرياني إلى القيادة في القاهرة، ولم يكن المشير عامر موجودا. فسألا من الذي سيقابلنا؟ قالوا لهما شمس الدين بدران. قالا نحن لسنا بهذا المستوى، سنرجع. فرجعوا والأستاذ (نعمان) كان ملهما حين تأخر. دخل الوزراء والضباط عند شمس الدين بدران. جلسوا بالترتيب وجلس شمس الدين بدران ومعه حسن صبري الخولي وسفير مصر في اليمن اللواء أحمد شكري الذي كان مديرا في اليمن وبسط بين يديه جريدة النهار وفيها مقال وصورة البرقية التي أذيعت سابقا من إذاعة عدن (التي كانت ما تزال تحت الاحتلال البريطاني). وعنوان المقال "هل سيتكرر في اليمن ما حدث في ٢٨ أيلول (سبتمبر) في سوريا؟" ويقصد الانفصال؟ وسردوا القضايا والقصص، وصورة للمذكرات التي حررها القبائل، والقرارات والرسائل إلى المشير عامر وجوابه عليها وغير ذلك. سألوا: من الذي خان، من الذي نقل هذه الشفرة؟ أما واحد منكم أو من الذين لم يأتوا. وقف رئيس أركان حرب الجيش اليمني علي سيف الخولاني وقال: "من فضلكم، هل تسمحوا لي بأن أتكلم؟ قال له شمس الدين بدران: "أنت لا تتكلم ولن تتكلم. إنما أنت تسمع فقط." فضرب علي سيف الطاولة بيده وقال نحن سوف لن نستمع لك ولن نبقى، ومع السلامة. خرج اليمنيون وهم يتذكرون كيف سمعوا الرئيس الملهم وكيف كان الموقف. رتب المصريون الخطة، وهو القبض عليهم في هذه الليلة، كل واحد في بيته. اجتمعت القيادة العسكرية العليا وخططت للغزو الكبير، لغزو شارع الدقّي (في القاهرة، وهو في حي الدقي الذي توجد فيه السفارة اليمنية منذ أيام الإمام وعادة ما يتجمع

اليمنـــيون فـــيه). بعد رجوع الإخوة مما حدث لهم، اتصلوا بالقاضي عبد الرحمن الإرياني وقالوا لا يبقي أمامنا إلا الرجوع إلى اليمن الليلة. فقلت للقاضي الإرياني: "يـــا قاضي: لا يقضي القاضي وهو غضبان. وليس هذا هو الدواء." قال: "لا يمكن البقاء قط." وأنا لا أعلم ما جرى. وكان ذلك يوم الجمعة ١٦ سبتمبر ١٩٦٦. قلت قصوا لنا القصة، ما ذا جرى؟ فقال: "الآن سوف آتي إليك." قلت له: "أهلا وسهلا." أتـــى الإرياني، وجاء العمري من بيته وبعض الوزراء والضباط. واجتمعوا عندي في البيت لنتداول الرأي. فقلت لهم: ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد، فإن الحل أن تتصـــلوا بالســـفير اللـــواء أحمد شكري لتخففوا من حدة التوتر، ولتتفاهموا مع الأخـــوة. وبينما كنا نحن في الأخذ والرد وتداول الرأي، فوجئنا بالعقيد نور يدخل ومعـــه عـــدة جنود، وزعهم في الصالة وكلّف أحدهم بأخذ التلفون ومنع الاتصال. وقـــال: "عايز الاستاذ نعمان، أريد أن أعرف من هم هؤلاء؟" فقلت: ادخل. هؤلاء الإريانـــي وأنـــا عـــندي عائلتي. وكان عندي بعض الإخوان وكانوا قد اتفقوا على مغادرة القاهرة والعودة إلى اليمن. وكانوا ينوون بعد الاجتماع عندي أن ننتقل إلى السفارة (انقطاع قصير في الشريط). خرج الضابط وتكلم بالتلفون. انتظرنا ساعة. وبعد ساعة قال: الأستاذ نعمان والفريق العمري مطلوبون إلى المشير عامر. وظل الإريانـــي وبقـــية الأخوة باقين، ولكن الشوارع كانت مملوءة بالسيارات والبوليس والمباحـــث. قلت: وهو كذلك. سأدخل لأرتدي ثيابي لأنني كنت بالجلابية. نصفّي "أدلـــة الجـــريمة تماما"، وما يوجد من أدلة الجريمة؟ أوراق وكذا. صفيناها تماما وخرجنا. ركب العمري في سيارة بمفرده وأرسلوه إلى بيته في مصر الجديدة. أما أنـــا وابـــن عمي محافظ تعز (أمين عبدالواسع نعمان) وسعيد مرشد، القائم بأعمال الســـفارة، فقـــد ركبـــنا بسيارة واتجهنا إلى مصر الجديدة، شارع الخليفة المأمون. وفوجئنا أن نرى أمامنا "السجون الحربية للتأديب والتهذيب والإصلاح"

«أبعد شيبي يبغي عندي الأدب»

دخلت بنا السيارة البوابة. وصلنا إلى عند اللواء حمزة الذي كان العميد حمزة وتمت ترقيته خلال الخطب وهو الآن معتقل (سنة التسجيل: ١٩٦٩). دخلت. قال:

أهلا وسهلا. لم أعلم ماذا همس المراقب في أذنه. تركونا وذهبوا. بقيت في السيارة مــع الســائق (الخــاص بنعمان) الحاج عثمان عطية من السودان. حرصت على استصــحابه حــتى إذا أدخلونــي السجن يعود ويعطي خبرا عن سجني، فإذا بهم يدخلونــه هــو والسيارة، وإذا بي أجني على هذا البريء المسكين. أخذوه وأغلقوا علــيه زنزانــته ووضــعوا السيارة في مكان آخر. وبقينا صامتين منتظرين ماذا ســيجري. أخيرا بعد أن طال المقام من الساعة التاسعة ليلا وحتى الساعة الحادية عشرة ليلا، قلنا: "نحن دعينا على أساس مقابلة المشير عامر وكنا نعتقد أنه في بيته في الجيزة." قال: "كلا، إنه في الحلمية." قلت له: "طيب." وخرج. وبعد وقت قصير رجــع وكأنه يتلقى تعليمات. وكان خجلانا. قلت له: "نريد أن نعرف ما هو المراد! هل نحن باقون أم نخرج؟" قال: "أفتكر بأنكم الليلة ضيوفنا." قلنا: "وهو كذلك، ولكن أسمح لنا بالاتصال تليفونيا إلى البيت لجلب ملابس." قال: "كلا. اطلبوا ما تريدون فيحضر لكم." طلبنا ثياب النوم وسجادة الصلاة والمصحف. أخذنا وأدخلنا من ممر، ســوق مغلق، فتحنا ودخلنا حوش آخر مغلق، فتحه ودخلنا إلى ممر طويل، الغرف علــى اليميــن وعلى الشمال. دخلنا إلى غرفة رقم واحد في سجن رقم اثنين، لأن السجون الحربية مجمعة. فهذا السجن رقم اثنين والغرفة رقم واحد أقرب غرفة إلى المراحيض. كانت النافذة في أعلى الغرفة لدخول الهواء كأن الإنسان في بئر. الباب مغلــق. والصراصير تعيش في دولاب مهجور. والجدران ملطخة بالأوساخ. يعني سجون يمر عليها القتلة. وقد كتب أناس على الجدران: سارق ٧ سيارات، سارق ٩ سيارات، طالب من كلية عين شمس، أستاذ من الإسكندرية، كأنهم قد مروا في هذه الــزنازن. وكانت الزنزانات على اختلافها معدّة على أساس أن الزر الكهربائي من داخلهــا، فنزعوه، ليضيئوا للسجين من الخارج. وكان في الباب ثقب مفتوح أغلق بخشبة وسدّ. وسدوا النوافذ الأرضية المعدةَ لكي يتسلل الهواء فيدخل ويخرج، حتى لا يــرى أحد هذه الإصلاحات التي أدخلتها الثورة لتصفية آثار الاستعمار؟ وكانوا يغلقــون الأبواب من الخارج. وإذا أردت الذهاب إلى الحمام عليك أن تقرع الباب. فكــنا نقــرع فلا يفتح لنا أحد، لأنه لا يفتح إلا حينما يريد هو في الساعة المعينة. إذ يوجــد مئة سجين ومئة زنزانة، ويجب أن يخرج كل واحد بمفرده حتى لا يرى

الآخرين ولا يرونه، حتى لا يعرف من في السجن. وإذا قرع الإنسان هجموا عليه. مــرة اضطررت للقرع ثلاث مرات. قال لي: "أقول لك بعد خمس دقائق." قلت له: "شــوف، عــداد الــبول ليس في رأسك. أنا محاصر وتقول لي بعد خمس دقائق! لا نــريد حــرية القــول. أعطونا حرية البول." استلطف الحكاية وقال لي: "اخرج ولا تكررها ثانية." قلت له : "حاضر." كانوا فاتحين مرحاض واحد على الرغم من وجود ثلاثة مراحيض وثلاثة حمامات حولت غرف. هكذا رتب الاستعمار أكثر من مــرحاض. أما هم فجعلوا مرحاض واحد لمئة زنزانة. وقلعوا الدوش وحولوه إلى مزبلة. وقلعوا الدوش الثاني وحولوه إلى زير. وعلى السجين أن ينظف المرحاض، ويــنزح المــاء ويمــلأ الزير، ويغترف الأذى. هكذا طلب من المصريين، أساتذة ومدرسين من حزب الإخوان المسلمين. أما نحن الضيوف فلم نكن مكلفين بذلك. بل مــن حقنا أن نتأذى في الغرف إذا شئنا ويعطونا "قصريات" يحملها السجين الآخر المكلف بمسح الأرض والمراحيض. حتى أننا مرة كنا في حالة ضيق من الوضع. قلت لــه: "إلى متى السجن." قال: "سجن! لا تقولها، أنت ضيف، أنت لا تعرف من هــو السجين، السجين يضرب بالكرابيج، السجين راقد على البلاط والكرابيج على رأســه، حــامل الجزمات. من الذي ينظف لك المرحاض، من يحمل الزبالة، من يحمل الماء.

س ــ كم بقيت من الوقت هناك في السجن؟

ج ــ بقيــنا تســعة أشهر وعشرة أيام في الزنزانة، ثم نقلنا إلى سجن القلعة. وهكــذا لــم يكــن أي سجين يعرف عن غيره، ويلاقي العذاب نفسه، يأنس لنفسه، لا يــتكلم مــع أحــد، ولا يكلمــه أحد. لا يري الشمس ولا يعرف من أين تشرق، ولا يعرف أي شيء وهو في الزنزانه. يرمون لــه الأكل في الوقت الذي يريدون. يعطيك الفطور الساعة ١٢، ويعطيك الغداء الساعة ٦ بعد الظهر، ويعطيك العشاء فــي منتصــف الليل. يوقظك وأنت نائم. والسبب أنهم يستخدمون عددا محدودا في الســجون حــتى لا تنتشــر الأخبار. أحيانا عندما يجدون من يأنسون به يشكون حالتهم.

دخلـنا الزنـزانة فـي ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ وبقينا حتى ١٥ يونيه ١٩٦٧ بعد الهـزيمة في الحرب مع إسرائيل بعشرة أيام. ولم نكن نسمع أو نعرف عن الحرب أي شـيء إلا حيـنما فتح علي الباب أحد السجانين كأنما يريد أن ينتقم من الهوان الذي حصل منهم ليتشفى كأنه منتصر، وقال لي: "عم نعمان، الفرج جاء." قلت له: "هـل سـيخرجوننا؟" قال: "كلا. ليس كذلك، جيشنا انهزم، وإسرائيل في السويس، والرئيس استقال، وكلهم استقالوا وسيكون حكم جديد." قلت له: "ماذا تقول؟ دع عنك هـذا الهـزار." قـال: "بشرف أبي إنني أكلمك من صحيح وسوف آتيك بالجريدة. وذهـب ليجلب الجريدة لأنه كان في ذلك اليوم مثل السكران. ومدير السجن حمزة بسـيوني الذي كان قد قضى ١٣ سنة مسئولا عن السجون الحربية قد اعتقل بتهمة أنه من فريق المشير عامر. انطلق المسجونون والسجانون مرتاحين بالكلام وبدءوا ينفسـون عليـنا. وفـي تلك الليلة، ليلة الإنفراج هذه، كانت الحراسة مسئولية هذا السجان، فجاءني بزميل قديم لم أكن أعلم أنه دخل السجن، وهو محمد حسن صبرة، وكـان مديـرا فـي مكتب رئيس الوزراء. جيء به من إحدى المستشفيات بعد أن مـرض وأشـتد عليه المرض في الزنزانة نقلوه إلى المستشفى. فلما قامت الحرب واحـتاجوا للمستشـفيات أعادوا المسجونين إلى السجون. قال محمد حسن صبرة: "أريـد أن أرى الأستاذ نعمان." قال له السجين: "الليلة ستذهب إليه." وفي الليل فتح الزنـزانة وأدخلـه ثم أغلق علينا. التقينا كأننا خارجين من القبور. كل واحد يري الآخر في شكل غريب، وكل واحد يتحدث من جلده وليس من لسانه. وبعد قليل جاء السجان بابن عمي الذي كان في زنزانة بالقرب مني. فتح له وإذا بابن عمي مصاب بداء السكري متعب. سأل: "ألا يوجد فرج؟" قلنا لـه : "فرج فوق ما تتصور." قال: "لا تطلقـوا أملنا في حدوث فرج كبير دون فائدة." قلنا لـه : "أقرأ الجريدة.". هذا يوضح الصورة التي كانت نفوس الناس قد وصلت إليها.

بعـد هذا نقلونا وجاء الأمر من القائد العام الجديد بإلغاء السجن عن اليمنيين والسـماح باختلاط بعضهم ببعض. وإذا بنا نلتقي بالمجموعة الموجودة كلها، وزير الخارجـية، ووزير التربية والتعليم، ورئيس أركان الحرب، العقيد والملازم فلان،

إلـــخ. فكانـــت فرحة وانطلاقة في السجن، لأن الناس كانوا يشعرون أنهم قد قبروا أحـــياء وأن الحـــياة لم تعد من نصيبهم أبدا. ولم يكن الإنسان يؤمل في هذا. بعد عشـــرة أيام من هذه اللقاءات، جاء الأمر بأن انتقل إلى القلعة. لم يبلغونا بأن ننتقل إلـــى القلعة، إنما قالوا انقلوا أغراضكم واخرجوا. فدخلت الفرحة قلوبنا على اعتبار أنـــنا كنا ذاهبين إلى بيوتنا. وإذا بنا نلاحظ أن السيارة تنطلق بنا إلى سجن القلعة، وإذا بـــنا ندخل إلى سجن جديد. عندئذ اشمأزت نفوسنا وكنا نفضل أن نبقى هناك لأنـــنا كنا مرتاحين مع إخواننا وفي الصحراء. ومادام الحبس الانفرادي قد زال فلا يهمنا شيء. قال: "والنبي أتتنا توصية بكم من محلات عليا من أجل راحتكم." قلنا: "أتريحوننا بهذه الراحة؟ أنعيش هنا وحدنا! ماذا نعمل؟" أدخلونا إلى القلعة وإذا بهم يأتون بالعمري إلينا وكان في المستشفى. ثم جاءوا بسعيد مرشد وكان قد نقل أيضا إلـــى المستشـــفى. فجمعونـــا في سجن القلعة. وبقينا نقرأ الجرائد ونسمع الراديو. وسمعنا بوجود لجنة ثلاثية (شكلها مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في آخـــر أغسطس ومطلع سبتمبر ١٩٦٧). وسمعنا ذات يوم من إذاعة لندن أن اللجنة الثلاثية وصلت إلى لبنان للاتصال باليمنيين، وأنها طالبت عبد الناصر بالإفراج عن المعتقلين ومن بينهم الأستاذ نعمان والفريق العمري. فكنا نسمع الإذاعات ونرتاح. وذات يـــوم فوجئنا بهم يأخذون منا أجهزة الراديو، وإذا نحن في غم. سألناهم عن الســـبب، قالوا: "والله ما هو من أجلكم." أصبحوا يأتون لي بالأكل من البيت يوميا. فبدأت الأمور تخف ونحن في القلعة لكن لا نكتب ولا نقرأ (انقطاع في التسجيل).

أصـــبح وزيـــر الحربـــية (شـــمس بـــدران) عندنا في سجن القلعة. أدخلوهم (انقطاع ...)

ونحـــن نجول وندور في الطابق الأعلى، ومسموح لنا بأن ندخل المراحيض. وكنا نرى حينما نخرج شمس بدران ونحييه (انقطاع ...).

وكـــنـــا نبقى كل الوقت نسمع ونتابع تحـــركات اللجنة الثلاثيـــة . كان بعض الســـجانين يـــأتون ويطمئنوننا ولكن لا يصرحون بشيء بوضوح. وبعد أن قضينا ثلاثـــة أشـــهر واثـــنا عشر يوما، بالتمام سنة واثنان وعشرون يوما، جاءت اللجنة

الثلاثـــية مصـــممة على إخراجنا من أجل أن تعرف رأينا في قضية اليمن. حينما جـــاءوا ليخرجونا ألح العمري على أن لا يخرج، وأصر على الرجوع إلى السجن. ألححت عليه وقلت له سنخرج لكي نشكو حالنا، لأن لا أحد ينظر إلينا ونحن داخل الســـجن. فدعنا نخرج لنشكو حالنا إلى اللجنة الثلاثية. أخرجونا إلى قصر الطاهرة الـــذي ينزل فيه رئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب، رئيس اللجنة الثلاثية. وجاءوا بالإرياني من منزله، والتقينا الثلاثة في القصر، نرى الدنيا وجمالها. صعدنا وجلســـنا مع محجوب، فقلنا لـــه: "قبل أن تبحثوا قضية اليمن، ابحثوا قضيتنا. بأي ذنـــب قتلـــت؟ لما ذا نحن في السجن؟ من أجل ماذا نحن هنا. العرب ملأوا الدنيا ضجيجا لأن ملك المغرب اعتقل الصديق بن محجوب بسبب خروجه على القانون في بلده (وكان مندوب المغرب أحد أعضاء اللجنة الثلاثية). ونحن حكومة بكاملها وأقطابها ورجالها مسجونون مهانون ولم يسأل أحد عنا. نحن لا نطلب شيء إلا أن نعامل معاملة حسنة. حسنوا أحوالنا ودعونا هنا إلى أن تفتحوا الصين إن شاء الله". قال محجوب: "سوف لن أتكلم إلا فيما بعد، لأنني قد تعبت وقلت للرئيس عدة مرات علـــى الأقل دعهم يخرجون لنسمع رأيهم. قال لي أطلع إلى السجن وأسمع رأيهم. فقلـــت لـــــه ولو طلعت إلى السجن وحبسوني هناك من سيخلصني ومن سيطالب بإطلاقي!" أخيرا قال محجوب: "إن شاء الله الفرج الليلة، فمندوب العراق إسماعيل خير الله سيقابل الرئيس وسنرى." قلت لإسماعيل خير الله: "ما دمت ستقابل الرئيس لـــم يـــبق لـــنا أمل إلا فيك. نحن دائما لا نهتف إلا بالرئيس، وما اجتذبنا للعروبة إلا الرئـــيس. وهؤلاء الذين ادخلونا السجن قد رأى فيهم الرئيس ما يسوؤه، عامر وأصحابه. لم يبق إلا هو مخلص، نريد أن نضعه مع القديسين. ثم قلت له تصور، عـــند ما كنت في السجن قيل لي إننا ضيوف في السجن وكان البرد قد أشتد علينا، نـــريد دفـء القلـــيل من الشمس، نريد شيء من الماء النظيف لنغتسل به، أي شيء أعطونـــا إياه." قال: "ألم تقل شعرا؟" قلت لـــه : "عادة لا أقول الشعر ولكن الحاجة وعدم القلم والورق جعلتني أعود إلى سنّة العرب وما كانوا يفعلون وهم لا يكتبون ولا يقرءون. فقد كانوا يسجلون خواطرهم شعرا. وهكذا رأيت أن أهون على نفسي

فـــي السـجن وأقضي بعض أوقاتي بنظم شعر يصور الخواطر التي تمر بي. فمن الخواطر التي مرّت بخاطري أيام الشتاء:

مـــنوا ورقــوا يـــأهل مصـــر	ففـــيكم الـــذوق واللطافـــة
ونحـــن فـــي ســـجنكم بخـــير	لا جـــوع، لا عـــري، لا مخافـــة
فـــأكملوا فضـــلكم علـيـــنا	بالشـــمس والجـــو والـــنظافة
جـــاوزتموا الحـــد فـــي قـــرانا	حـــتى اختنقـــنا مـــن الضـــيافة
الضـــيف مـــن حقـــه ثـــلاث	مـــن الليالـــي بـــلا إضـــافة
لـــو زاد يومـــا أو بعـــض يـــوم	يكـــون فـــي منـــتهى الســـخافة
فســـرحوه بـــــلا وداع	وطـــاردوه بـــدون لهفـــة
صـــبوا علـــى رأســـه رمـــادا	ومـــا تبقـــي مـــن الكـــنافة
ثـــم اكســـروا الزيـــر مـــن وراه	وأحـــرقوا بعـــده اللحافـــة
يغنـــيكم الله مـــن ضـــيوف	كـــانوا لكـــم محـــنة وآفـــة

فضحكوا قليلا وثرثروا.

س ــ هل يصل هذا الى من ينشره؟

ج ــ كلا. لا يوجد لا ورق ولا قلم. لكنني بعد أن خرجت سجلت كل ما كنت قد ألّفت في ذاكرتي من أشعار.

وبعد هذه الجلسة تبادلنا الرأي مع اللجنة في القضية، فقالوا إن شاء الله سنقابل الرئـيس وينتهـي كـل شيء. فقلت لهم: "ولكن نحن نريد أن نقضي بعض الوقت عندكم لنذوق طعام أهل الدنيا اليوم ونرى جو الدنيا. فإذا سمحتم مروا بزيادة الغذاء لنســتمتع بقضاء بعض الساعات خارج السجن." قالوا: "وهو كذلك." وقضينا الوقت نــأكل ونســتمتع هناك في قصر الطاهرة. ظن الإخوة في السجن أننا قد أطلقنا من الســجن، فقلنا لهم: "كلا. نحن راجعون." قالوا: "نريد أن تخرجوا." قلنا لهم: "نحن لم نخرج من أجل أغراضنا وحقائبنا."

(انقطاع في الشريط)

بداية الوجه الأول من الشريط الخامس

كنت في الزنزانة محروما من إمكان القراءة والكتابة، استعرض شريط الحياة، واستعرض الأيام والأشخاص والعلاقات. وكانت الذاكرة تسعفني بذكريات من الصغر كانت قد اختفت، ولم أكن أتذكرها خلال الانهماك بشئون الحياة. منها أذكار، وأحيانا أدعيات إلى الله وضراعات، وأحيانا آيات قرآنية كنت قد نسيتها، وأشعار، وحكم. فكنت أظل أسرّح فكري وأتساءل أين كانت كل هذه وكيف تعي ذاكرة الإنسان. فقرأت في الأيام الأخيرة لوزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت مكنمارا كتاب اسمه "جوهر الأمن" تحدث فيه عن أن الناس بدءوا يعتقدون أن ظهور العقل الإلكتروني سيلغي عقل الإنسان. ثم قال ولكن أنا أقول لهم كلا، لأن هذا العقل الإلكتروني من ثمار عقل الإنسان. إن في دماغ الإنسان، الذي لا يزيد وزنه على أوقيتين، عشرة آلاف مليون خلية، يوصل بينها خمسة وعشرون ألف موصل. فلو أردنا أن نضع عقلا إلكترونيا بقدر عقل الإنسان لاحتجنا لمثل مساحة الأرض. بقيت استنبط من الذاكرة وما توحي به وما يفيض منها. فكنت أجد في هذا عزاء في وحشة السجن. وصورت هذا في أبيات قلت فيها:

حظروا عليه بكاءه وأنينه	**لا يشتكي منها ولا يتوجع**
حظروا عليه صلاته وكتابه	**ليظل في ظلماته يتلدع**
أما الصلاة مع الدعاء فإننا	**ندعو الإله على الدوام ونخشع**
وقراءة القرآن من أذهاننا	**نجترها ونلمها ونرقع**
وشوارد نثرا وشعرا في الحجا	**ماتت وأفكار نيام هجع**
خرجت من الأجداث تسترق الخطى	**ولساننا يشدو بها ويرجع**
فالنفس حين صفت تألق نورها	**فكأنها الشمس المنيرة تسطع**
وإذا الخفايا في عميق بحارها	**متوافدات صاعدات شرع**
ماذا حوى الإنسان في أعماقه	**للكائنات بعقله مستودع**

لقد كنت أرى أن الحياة أحيانا بمشاغلها تحجب الكثير من الحقائق التي في نفس الإنسان، ومن الصور التي سجلتها الذاكرة، أو ما في خلايا الدماغ، الملايين من الخلايا وما تخزن، كأنها تساعد الإنسان في وقت صفاء النفس أو انقشاع الهموم عنها، فتعود هذه الأشياء.

كنت استعرض وأتذكر وأقول من أين وكيف بدأت حركتنا هذه؟ ومن قلدنا فيها. وانتقلت إلى أن سوريا التي كانت من الطلائع التي بدأت فيها فكرة العروبة في العالم العربي. إلى متى يرجع هذا؟ إلى أيام الخلافة العثمانية حين بدأ رجال الشام دعوتهم. كانوا من طلائع الانفصال عن الدولة العثمانية منطلقين من فكرة أن العنصر العربي مضطهد من الأتراك. فبدءوا يوحون بهذه الفكرة العربية. ولكن كان للعرب مضمون هو الديانة الإسلامية. إذا، عند ما جاءت الدعوة الإسلامية كانوا في الجزيرة العربية عبارة عن لصوص وقطاع طرق يعيشون في جهالة عمياء إلى حد أنهم كانوا يدفنون بناتهم أحياء من العار. جاء الإسلام ليحرر العقول ويخرجهم من ظلمات الجهل والبداوة. حينما انفصل العرب عن الأتراك لم يتمسكوا بروح الدين وجوهره، وتلك الدعوة التي كانت منبعثة من جهة متسامحة غير متعصبة ضد دين من الأديان. لم يكن الإسلام في جوهره روح تعصب. فمما جاء في القرآن "لا إكراه في الدين". وفيه: **[قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ...]** (البقرة، ١٣٦). فكانت روح الإسلام روح تسامح. فقلت نحن أيضا جلبنا إلى اليمن هذه الدعوة العربية وقلدنا الآخرين في حركتنا. ولكن حينما فوجئنا بأن العروبة تصنع بنا هذا الصنيع، وتدخلنا في ظلمات السجون، وتتفنن في تعذيبنا العذاب النفسي إلى أن تحرم علينا أن ننطق، وتحرم علينا أن نسمع، وتحرم علينا أن نرى الوجود وأن نرى الشمس، أي بشر هؤلاء! أي معني لهذه العروبة! كانت كل هذه الخواطر تعتمل في نفسي وأنا أستعرض النهضة العربية واليقظة العربية وكيف تاه الناس عنها، ضربوا بدون علم وبدون دراسة. فقط يهتفون للعروبة ويموتون في سبيلها وهم لا يفقهون منها شيئا. إنما يرددون "تعيش العروبة، في سبيل العروبة." فما محتوى هذه العروبة؟

هــل حقيقة جمعت العنصر العربي وألفت شمله؟ أبدا. إنما كانت أسلوبا من أساليب تمــزيق الشــعب العربــي، وأتخذها بعض الماكرين من القادة وسيلة من الوسائل وشعارا يرفعون ليتوصلوا به إلى السلطة لا غير. ولكن هل أفادونا؟ فنحن أتينا من اليمن بكل براءة وبكل إخلاص مؤمنين بهذه العروبة لتأتي إلينا وترفع من مستوانا وتأخذ بأيدينا. ولكن لم تأت إلينا إلا لتفعل العكس حتى أدخلتنا إلى هذه الزنازن التي نعاني فيها. إذا، لا بد أن هناك شيء مفقود يجب أن نبحث عنه. ما هو الشيء الذي يجمع شمل العرب حقيقة. ثم قلت:

ما كسبنا من وحدة العرب إلا	كــل شــر ومحــنة وخصام
فدعونا من وحدة العرب نهدا	مــن شــقاق ومن صراع دام
كــل شعب كما يريد ويهوى	وكمــا شــاء تحت أي نظام
وكفــى بالإســلام جامع شمل	جمــع الأمــس فارسا بالشام

تــأمل أن الدعــوة الإسلامية عندما كانت دعوة محبة وأخوة وصدق، وكانت الرســالة السماوية رسالات نظيفة وطاهرة، استطاعت أن تلم البشر وأن تؤلف بين الأســود والأبيض وأن تجمع الناس على اختلاف لغاتهم حول عقيدة واحدة، وحول أهداف واحدة، ولكن هذه العروبة جاءت لتمزق الشعب العربي تمزيقا. كيف كانت فارس والشام؟ كيف دخلت هذه البلدان التي كنا نقول إنهم أعاجم؟ كيف اعتنقوا هذه الدعوة الإسلامية وكانوا من أكبر أنصارها. هذه كلها من الذكريات التي مرت في ذهني. في ليلة من ليالي الكرب حقيقة، والإنسان في السجن يكاد يختنق، أشير إلى الذكــريات التي فاضت في النفس، وقلت كأنها جاءت لتطلب منا أن نكتب الماضي كله وأن نحاسب عليه.

ومضى شريط الذكريات بذهننا نتصفــح الأيـــام بابــا بابــا

أحبابـــنا، ذكرياتـــنا، المـــنازل التي نمنا فيها، الإخوان الذين كانوا لا يقدّرون ظروفـــنا وهم عاتبون علينا لأننا لم نحقق لهم شيئا وإنما سببنا لهم المتاعب. لكننا نحــن كــنا أيضــا مخدوعيــن بقوم كانوا هم أيضا مخدوعين بشعارات جلبوا بها

المتاعب على بلادهم وعلى أنفسهم. هذا جانب من الذكريات. حينما وردت هذه الأسئلة كانت نبشا للماضي، لا بد أن يحتاج إليه الإنسان يوما ما.

ثم انتقلنا بعد الخروج من السجن في مصر إلى بيروت. وحدث تغيير في اليمن، لأن اليمنيين في الواقع فوجئوا بشيء لم يخطر على بالهم. كانوا يعتقدون أن مصر دخلت اليمن ببواعث إنسانية. إذ كانت تعلن أنها دخلت لإنقاذ الإنسان اليمني من التخلف، ولتعيد إليه الكرامة الإنسانية التي كرمه الله بها. كان هذا الانطباع عند كثير من اليمنيين الذين لم يفقهوا ولم يدرسوا هذه الدعوات وهؤلاء الحكام الذين اتخذوا الشعارات مبررات فقط كي يتمسكوا بالسلطة ولكي يحاربوا الدنيا وكل شيء من أجل هذه السلطة ولو احترقت الشعوب في سبيلها. فبدأ اليمنيون ينقبضون من التصرفات التي رأوها. وكأن هذه القوات ما دخلت إلا لكي تجعل من اليمن قاعدة تنطلق منها نحو شبه الجزيرة العربية. وطالت المعركة في اليمن. وكان من الممكن أن لا تطول ولكن لكي يتخذوا منها مبررا للبقاء في اليمن. كانوا يوسعون الحرب ويختلقون الأسباب والمشاكل. فحينما أنسحب الجيش المصري من اليمن بدأ اليمنيون يتنفسون الصعداء. ولكن كان هناك مجموعات مضللة بالشعارات مستمتعة بها، ترى أن التحدث أو الإساءة إلى الجيش المصري أو الحديث عنه يفضي إلى القتال، وهكذا ستدور حرب أهلية. فكان أول شيء هو تنحية السلال لأنه كان يمثل ركيزة للقوى الخارجية داخل اليمن. وقد ضاقت اليمن به ذرعا وعملوا على إخراجه من الحكم باعتباره تابعا للقوات المصرية. وبعد أن خرجت هذه القوات لا بد أن يخرج ركائزها من السلطة. وتشكل المجلس الجمهوري بدلا عن رئيس الجمهورية ورشحت أنا لأكون عضوا فيه لكنني رفضت نظرا للظروف التي أوردناها في الحديث السابق، وهو أنه لا بد من إعادة دستور خمر وقراراته، ولا بد من التعاون مع اللجنة الثلاثية التي انبثقت عن مؤتمر الخرطوم لكي يوجد بين اليمنيين جميعا نوع من التفاهم حتى لا يبقى منقسما إلى قسم ملكي وقسم جمهوري. لأن الكل يمنيون. وما حدث من حرب وانقسام كان بفعل الغزو المصري لليمن، فهو الذي أوجد هذا الشقاق، وأوجد الانقسام بين اليمنيين. وهم كلهم ليست لهم عقائد مختلفة، ولا لغات ولا قوميات تستغل كما في سائر البلدان الأخرى. إنما كلهم

يمنـــيون وكلهــم عرب مسلمون، يتحدثون لغة واحدة، ولهم تقاليد واحدة، وعادات واحدة. ولكن حين لم يجدوا أن هذا مسيحي وهذا مسلم، أوجدوا ملكي وجمهوري. يعنـــي نقلوا لنا الوباء الذي صنعوه في البلاد العربية ليمزقوا به شعوبها. أرادوا أن يـــنقلوه إلـــى اليمـــن. لم يجدوا قوميات ولا ديانات مختلفة ولا جنسيات (جماعات عرقية) مختلفة، لا أكراد لا أروام، لأن هذا مفقود في اليمن الذي كله شعب واحد، ولا وجود فيه لملة أخرى ولا لجنس آخر. كان اليمنيون متضايقين من هذا التقسيم. فلمـــا نحـــي الســـلال، بقيت هناك أسلحة مرتبطة أيضا بالتعليم الخارجي وبالنفوذ الخارجـــي، حتى أن القيادة التي كانت وعلى رأسها الإرياني كان مسيرا لا مخيرا، اتخـــذ القـــرارات ضدي (التجريد من الجنسية اليمنية) دون أن يكون راضيا عنها ولكـــنه لم يكن قادرا على منعها. وظل الصراع الخفي بين القوى اليمنية الخالصة وبين القوى المتأثرة بالنفوذ الخارجي. لكنهم بدءوا يتراجعون شيئا فشيئا ويطرحون الآراء التي تدعو المواطنين لأن يلتقوا على صعيد واحد. فثارت ثائرة العملاء كما يســـمونهم ونحـــن نقول المتأثرين بالنفوذ الخارجي عن جهل. لما رأى هؤلاء أن الإرياني والقيادة بدأت ترجع إلى طريق العقل وتدعو الملكيين اليمنيين لأن يعودوا إلـــى بلادهـــم، لأن الوطن مشترك للجميع، ثار أولئك المتأثرون بالنفوذ الخارجي وقـــالوا إن الجمهوريـــة ستباع للملكيين، وكأن الجمهورية سلعة في نظرهم وليست نظامـــا. لأنهم لا يفقهون. الجمهورية عبارة عن كنز أو ثروة تسلم للأجنبي. حملهم هذا لأن يوجهوا كل أسلحتهم من الصواريخ والمدفعية والمظلات والصاعقة ليدمروا صـــنعاء. وكـــان هذا في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨، وليضربوا القصر الجمهوري الذي يعمل منه القاضي عبد الرحمن الإرياني والعمري وكل الأشخاص الذين بدءوا يتراجعون ويرون أن استرجاع اليمنيين اليوم إلى وطنهم أصبح أمرا لا مناص منه، وأنـــه لا فـــرق بيـــن الملكـــي والجمهوري. كلهم يمنيون. فأنذر هؤلاء بوقف هذه الهجمـــات، فلـــم يقبلوا. أرسلت القيادة إلى القبائل، والقبائل هي القوة الضاربة في اليمـــن والتـــي لا تزال على خطتها. ودخلت القبائل إلى صنعاء وأطبقت على هذه الأســـلحة: الصـــاعقة والمظـــلات والمدفعية والمشاة، على أربعة أسلحة ودمرت

قواعدهــم ومدارســهم واســتولت عليها وسيطرت على الموقف. ونفوا هؤلاء إلى الخارج.

في هذا الوقت من أغسطس سنة ١٩٦٨ بدأت الأمور تنجلي في اليمن وتنفتح انفــتاحا آخــر. وبــدأت الدعــوة تعتمد على اليمنيين أولا وقبل كل شيء. فأقبل الملكيون الذين كانوا لاجئين في السعودية والذين كانوا في الكهوف والجبال، وبدءوا يــتوافدون إلــى صــنعاء، ومــنهم قــادة كانوا يقاتلون قتالا مريرا ضد إخوانهم الجمهوريــن أيام وجود المصريين. ما حدث لليمن واستمر لسنين، من الممكن أن يكون درسا للبلاد العربية، بينما نرى في سوريا اليوم لا يقبلون أن يعود إلى البلاد إخوانهــم بل أساتذتهم. وليس بينهم إلا خلافات فكرية. ففي اليمن ينفتح الأخ على أخــيه الــذي كان يطلق عليه الرصاص ويصوب عليه الرشاشات ليدخل ويقاسمه في كل شيء، في أرضه وفي السلطة وفي أي مكان. بدأت هذه الروح الآن تطغى فــي اليمن، وإذا بهم يعيدون لنا اعتبارنا، ويبحثون إعادة الجواز الدبلوماسي الذي كــان ســحب عــند ما كان البيضاني هنا (سفيرا في لبنان). والبيضاني هذا بوجه صــريح لم يكن يمنيا حقيقيا في فترة من الفترات، ولكنه استطاع أن يحصل على جــواز يمني وينتسب لليمن. فاتخذته الحكومة المصرية أداة لها وسلطته على أبناء اليمن بحيث كانت السفارة في لبنان عبارة عن وكر للتجسس على اليمنيين إلى أن جاءت هذه القيادة الجديدة فأخرجته من السفارة وأدانته بالسرقات.

س ــ حدثنا عن نشاطات حركة الأحرار في اليمن؟

ج ــ أيــة حــركة أو دعــوة لا بد أن تلقى معارضة وخلافا. أية حركة في الوجــود تقــوم، حتى دعوات السماء والرسل. تفرق حتى أتباع الرسل. هذه دائما أشــياء طبيعــية. حتى أنهم يجعلون الخلاف بين الأمة رحمة. النبي يقول اختلاف أمتي رحمة، وفي القرآن **[ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم...]** (هــود، ١١٨ ــ ١١٩)، أي أنه خلقهم للخلاف. فهذه الخلافات والانشقاقات شيء طبيعي. سنة الخليقة.

بـــدأت حـــركة الأحرار تقليدا للحركات في البلاد العربية. حينما كنا نرى أن الـــبلاد العربية ديموقراطية، فيها برلمان وصحافة وأحزاب، وكانت اليمن لا تزال محكومة برأي الإمام، ليس هناك أحد له حق التصرف أو أن يبدي الرأي إلا الإمام وحـــده. فبدأت حركة الأحرار على هذا النحو. ونشأت وكان من روادها في بادئ الأمـــر داخـــل اليمن مجموعة هم: محمد المحلوي، والسيد أحمد المطاع، وعبد الله العزب، والعزي صالح السنيدار من أبناء صنعاء. وكان هؤلاء على اتصال بي وأنا في الحجرية. وكان عندنا مدرسة ونادي يستقدم الصحف من الخارج، وقد كان هذا شيئا غريبا في اليمن، ونادي للمحاضرات ومكتبة للمطالعة.

س ــ ما هو نوع الصحف التي كنتم تجلبونها؟

ج ــ كانـــت الصـــحف تأتي عن طريق عدن من مصر. كانت تأتي صحيفة "الشـــروق" وهي أهم صحيفة كانت تقرأ. ثم كانت تأتي صحيفة "الجهاد"، وصحيفة "كوكـــب الشرق"، و"الأهرام" و"المقطم". لكن حدود الاهتمام وحدود طاقتنا على أن تقرأ ونفهم جعلنا أكثر قراءة وفهما لجريدة "الشورى" التي كان يصدرها أبو الحسن محمـــد علـــي الطاهـــر. فبدأ الاتصال بيننا وبين هؤلاء الإخوان في صنعاء وعلى رأسهم السيد أحمد المطاع. كان يأتي من صنعاء إلى لواء تعز بمهمة رسم خريطة لليمن كلف بها من الحكومة. فلما رأى النادي ورأى هذه النهضة أراد أن يرتبط بها وأن يوجـــد بيننا وبينه ارتباط. ونحن كنا نأتي بهذه الكتب إذ كان هناك أحد حكام الإمـــام وهو القاضي حسين الحلالي وبعض أقاربي، أخي الأكبر الشيخ علي محمد نعمان وعمي محمد أحمد نعمان، كانوا أيضا موظفين مع الدولة وكانوا مقيمين في الحـــدود ما بين اليمن وعدن (ما بين مملكة الإمام والمحميات). فكانت تأتي إليهم الكتـــب الحديثة والصحف فيرسلوها إلينا إلى مدرسة الحجرية ونادي الإصلاح في الحجرية أيضا، وهذا أول ناد في اليمن.

وحيـــنما خرجت أول بعثة مصرية في عهد الملك فؤاد إلى اليمن سنة١٩٣٦ زارت الحجرية ورأت النادي والمدرسة وكتبت شهادة بأن هذا من بواكير النهضة الموجودة في اليمن. وكان زميلنا في الحجرية محمد أحمد حيدرة.

وأثناء الحرب السعودية اليمنية الذي هزمت فيها اليمن أمام السعودية حتى وصل فيصل إلى الحديدة، وفيصل بن عبد العزيز آل سعود هو الآن ملك، وأحتل أكثر المدن التهامية من حدود الحجاز إلى مدينة الحديدة. وكان ذلك بسبب الخلاف بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود. وتطور الخلاف إلى حرب بين البلدين سنة ١٩٣٤. ولكن كان السعودي يملك قوة حقق بها الانتصار بسرعة على الإمام يحيى واحتل مناطق كثيرة من اليمن، مما اضطر الإمام إلى أن يطلب الصلح. وتدخل لحل المشكلة من رجال العرب شكيب أرسلان وأمين الحسيني ومحمد علوبة باشا وهاشم الأتاسي. قبل أن تكون هناك دول عربية مستقلة جاءوا كأشخاص بغيرة على العرب والعروبة ووصلوا إلى اليمن والسعودية وأوقفوا الحرب بين البلدين وتوصلوا إلى صلح واتفاق. وهذا ما يجعلنا نأسف لأن البلاد العربية وقد أصبحت دولا مستقلة لم تستطع أن تحل أية مشكلة في أي بلد، بل تضاعفت المشاكل. وبعد أن أنهزم الإمام يحيى بدأت قداسته تهبط وهيبته تتراجع. فتجرأ السيد أحمد المطاع وأربعة من رفاقه على أن يقدموا مذكرة يطالبون فيها بتغيير طرق إدارة الحكم ويقدمون النصائح للإمام. وكان شيئا غريبا على الإمام أن يتجرأ هؤلاء هكذا، فسيقوا إلى السجن. وهكذا كان أول اعتقال سياسي سنة ١٩٣٤. وظلت المخاوف في نفوسنا من أن يسري الحبس إلينا باعتبار أن لنا ارتباطا بهؤلاء. ولكن بقينا نتربص لكي ننفذ من اليمن ونخرج إلى الخارج. وبالمصادفة وصل إلى الحجرية أحد اليمنيين سنكون فيما بعد سوية وشريكين في القضية ورفيقين وزميلين إلى أن استشهد، وهو محمد محمود الزبيري. كان عمه قاضيا شرعيا في صنعاء وحاكما

من حكام الإمام ومستشاراً للإمام يحيى. مات والد الزبيري وهو يتيم، ولكن رزق شاعرية مبدعة. ولما زار مدرسة الحجرية في فترة من فترات هذه المدرسة، تأثر بما فيها من نهضة وأدب وصحافة.

س ـ لماذا زار مدرسة الحجرية؟

ج ــ جــاء مــرافقا للأمير السيد علي الوزير الذي كان يحكم لواء تعز. كان الزبيري هذا من جملة أولاد يرعاهم. فلما زار الأمير الحجرية كان الزبيري معه. فتكونــت عنده انطباعات. ولم يحدثني ولم يتكلم معي، مع أنني أعرف أباه من أيام دراســتي فــي زبيد، وهو القاضي محمود الزبيري، الذي أعرفه وكان بيني وبينه بعــض الصلة بحيث كلفني أن أنقل له بعض الكتب بخط يدي من الإجازات العلمية التي تصدر في اليمن. كانوا بدلا من أن يكتبوا شهادة للطــالب يكتبون لــه إجازة، والإجــازة معناها تصريح لهذا الطالب الذي أخذ العلم بأن يعلّم وأن يصدر الفتوى عن مشايخ العلم. ولفظ الإجازة: "أجزته رواية كل ما تجوز روايته، وتنقل درايته، من معقول ومنقول". فتصبح هذه الإجازة مثل الشهادة العلمية. عرفت أب الزبيري وأنا في زبيد أقرأ، وكتبت له هذه الكتب بخطي. فلما جاء ابنه هذا اليتم الوديع وهو شــاعر فــي طــور الشباب، لم يعمل شيئا ضد الحكم لأن ذلك كان هذا محظورا. افترقنا، ثم حدثت ضجة حول مدرسة الحجرية. وحينما ثارت ضجة حول المدرسة مــن الســيد علــي الوزير الذي كان يحكم لواء تعز، أثارت ضجة بحجة أن هذه المدرســة تعلــم أفكارا عصرية وتخرج الناس من عقائدهم وتعلمهم العلوم الجديدة وأنهــا ضد الإمام. فاستنجدنا بولي العهد أحمد الذي أصبح إماما بعد أبيه فيما بعد، وبعثــنا لــه الرسائل إلى حجّة، لكي نكون تحت حمايته وتكون هذه المدرسة تحت إشــرافه، ويكون النادي تحت إشرافه. وأجاب علينا أيضا وشجع المدرسة. فعملت هذه الأمور عند الوزير شيئا في نفسه ضدنا. وظل يعقب علينا إلى أن وصل الأمر إلى إغلاق هذه المدرسة.

بعــد إغلاقها وجدت أنه لا مناص من السفر إلى مصر على أساس أني ذاهب للدراســة، لكــن بيني وبين نفسي كنت أنوي أن أنشر عن المظالم التي تجري في اليمــن. وكــان يخــيل لي أنه بمجرد ما تطرح القضية، سترتاع حكومة اليمن من الكــلام عــنها فــي الصحف في الخارج، وخاصة جريدة "الشورى" لأن صاحبها أبــو الحســن كان يهاجم الحكام بجرأة. فكان الحكام يحسبون لــه حسابا كبيرا في اليمــن، ســيما وهو معروف أنه لا يرتشي ولا يكتب في جريدته حتى ولا إعلانا واحــدا، بل يكتب فيها مظالم العالم العربي. فقلت سأسافر إلى مصر وجعلت مبرر

الخـــروج الحج. وفي الحج حدثت لي قضية، وهو أنني أردت أن أذهب إلى مصر مـــن الحج، وكان جواز السفر غير متعارف عليه في اليمن، إنما يكتبون ورقة فيها اســـم الشـــخص، وأوصافه الظاهرة، وسنه، ويوقع عليها أي حاكم من الحكام في منطقـــته. فكتبـــت هذا الجواز بنفسي. ودخلت به السعودية. فلما ذهبت إلى السفارة المصـــرية أريـــد السـفر إلى مصر رفضوا هذا الجواز ورموا به على أساس أنه لا يعتبر جوازا، فذهبت إلى جدة، إلى قائم مقام جدة، ابن معمّر، ليكتب لي توصية إلـــى الســـفارة المصـــرية لتسهيل سفري، لأنني أريد أن أذهب إلى مصر، فأبدى اهـــتماما بي. وكان سفير العراق موجودا عنده، فسألته: "هل أنت عراقي؟" أجاب: "بمـــاذا عرفتني!" قلت لـــه: "ملامحك تدل على أنك عراقي." فقال: "هذا ذكاء يمني عجيـــب. تفضل، نعم أنا عراقي وسفير العراق، فماذا تريد؟" أخبرته قصتي. قال: "أتـــريد الذهـــاب إلى العراق، فأنا أيسر لك السفر بأسرع ما يمكن." قلت له: "وهو كذلـــك." قـــال: "هذا عنواني في السفارة تأتي إلي في الساعة الفلانية". وقد ذهبت لمقابلـــته. وبعد أخذ ورد معي في الحديث رتب مذكرة واتصل بالسفارة المصرية ورتـــب الســـفر على ضمانته لكي أذهب إلى مصر. وقال لي "أنا وجدت أن مثلك يجـــب أن يـــدرس في مصر لأن مصر أوسع علما من العراق، وليس في العراق ســـوى مدارس محدودة حتى الآن." فقلت لـــه : "لكن حيل بيني وبين مصر." قال: "تفضـــل، هـــذه ضمانتي ومذكرتي. وقد تفاهمت مع السفارة المصرية." ذهبت إلى السفارة المصرية فأستقبلني السفير بنفسه مرحبا وأعطاني التصريح بضمانة السفير العراقي.

ذهبت إلى القـــاهرة، وأول من سألت عنه هو أبو الحسن، أريد ان أذهب إلى أبو الحسن. هذا هو الغرض الرئيسي. ولكن المبرر للدخول إلى مصر أني أريد أن أدرس في الأزهـــر. لكنني قلت لنفسي لن أدخل الأزهر لأن الدراســـة في الأزهر لا تختلف عن الدراسة في اليمن، فلا بد أن أذهب إلى الجامعة المصرية. وبعد أيام، وفـــد الزبـــيري إلى القاهرة. فبدأت أكتب في الصحف، في صحيفة الشورى. فجاء الزبيري وأردت أن أردف القضية به. جاء الزبيري من الحجاز، لأن علي الوزير كـــان قد تضايق من قدوم سيف الإسلام أحمد، ولي العهد الذي كنت أكاتبه، لينحّيه

مـــن السلطة ويقعد مكانه في لواء تعز. فهاجر الوزير إلى السعودية يريد أن يلوذ بعبد العزيز آل سعود. وكان الزبيري معه مرافقا. وصل الزبيري إلى مصر. وأول ما وصلها بحث عني. فجاء إلى الأزهر. وبقينا نتذاكر سوية ونتدارس. ودخلنا في تشـــاور من أجل القضية اليمنية. وارتبط بنا جماعة من أبناء الجنوب: محمد علي الجفـــرى الـــذي هو الآن (عام ١٩٦٩) رئيس رابطة أبناء الجنوب العربي، وسالم الصـــافي وهو عضو في رابطة أبناء الجنوب، على أن نضع مخططا لتجمع نسميه "الكتيـــبة اليمنـــية". وهناك في مصر التقيت بالأمير شكيب أرسلان، ويلقبونه "أمير البـــيان". جـــاء مـــن جنـــيف. وهو ممن ذهبوا إلى اليمن لحل المشكلة بين اليمن والسعودية وهو متعلق باليمن ويقول: "نحن وإن كان لنا سبع مئة سنة في لبنان لكننا من قبيلة لخم، وهي قبيلة من قبائل اليمن." تعرفت عليه عند أبو الحسن. وذات ليلة أراد أن يكتب مقالا، ولكن يده كانت ترتعش عند الكتابة، فسأل هل يوجد أحد يجيد الكـــتابة ؟ قالـــوا لـــه عندك نعمان. أملى المقال وأنا أكتب. فلما انتهيت من الكتابة استعرضـــه ولـــم يجـــد ما ينتقد. أعطى المقال للنشر وقال: "أتستطيع يا ولدي أن تســـاعدني على الكتابة كل يوم حوالي ساعة؟" فانشرحت نفسي لأن أكون كاتبا مع أمير البيان واستفيد من علمه، فلازمته. وخلال ملازمتي له جاء الفضيل الورتلاني. تعرفـــت به عند الأمير شكيب ارسلان. وقد كان مهاجرا من الجزائر هاربا منها. وكـــان مـــن أحـــرار الفكر في الجزائر. ارتبطت بالزبيري وبالورتلاني وكنا دائم الاتصـــال ببعضـــنا البعض. الورتلاني جزائري ولكنه نشيط في جماعات الأخوان المسلمين، وفي التحركات السياسية في مصر، وبخاصة في الجمعيات، وكان مفكرا عربيا كبيرا.

بدأت الاتصالات، وبدأت أكاتب المهاجرين اليمنيين خارج اليمن وأنا مقيم في مصـــر، لإصـــدار صحيفة تعنى بشؤون اليمن. لكن حيل بيننا وبين هذه الصحيفة. وكان التفاهم بيني وبين الزبيري أساس العلاقات بيننا وبين القضية اليمنية.

وبعـــد هـــذا تركت مصر ورجعت إلى اليمن، فاستقبلني ولي العهد أحمد الذي كنت أكاتبه أيام علي الوزير. فالتقيت به وقد أصبح يحكم المنطقة التي نحن فيها. فرحـــب بـــي. بقيت في تعز. وبعد فترة من الوقت وصل الزبيري إلى صنعاء من

مصر متأثرا بالأفكار التي كنا نتداولها. وارتبط بمجموعة من الشباب ليقدموا للإمام يحيى مذكرة تطالب بتغيير الأوضاع. وكتب لي إلى تعز، فكتبت له أنصحه بأن لا يتعجل. فرد علي دون ذلك "أيمان وطيد وقلب أشد من الحديد وستسمع". وإذا بي أسمع أنه اعتقل هو وأحد عشر شخصا في صنعاء. أما أنا فكنت أسير في هدوء مع أن الزبيري قبل خروجنا من مصر وجه لي نصيحة وقال لي إياك أن تصب أفكارك على مواطنيك صبا فتصدمهم. "قول معروف خير من صدقة". ولكنه أورد هذه الآية مازحا وهو يقصد السجّان في صنعاء واسمه "صدقة". ولما عاد إلى صنعاء من مصر كتبت له من تعز وقلت له: "قول معروف خير من صدقة". فأنت لم تهتد فيجب أن تنتبه." لم يصل كتابي إلا وقد أصبح في السجن. فقد اعتقل مع مجموعة من اليمنيين الذين ينتقدون الأوضاع وينكرون على الإمام. بقيت متعلقا بالزبيري أريد إطلاق سراحه.

س ـ في أي سنة كان ذلك؟

ج ـ سنة ١٩٤١ ، لأننا كنا في مصر بين سنة ١٩٣٧ـ١٩٤٠. رجعت أنا في سنة ١٩٤٠ وهو رجع في سنة ١٩٤١ واعتقل. وكنت في تعز مديرا للمعارف بعد أن عينني ولي العهد أحمد في هذه الوظيفة. ولكنني كنت إلى جانب ذلك صديقا لولي العهد أحمد، يأنس بي ويألفني، وكذلك ابنه محمد البدر.

ظل الزبيري حوالي تسعة أشهر يرسل إلى الإمام يحيى قصائد من السجن. ومن جملة ما وجه إليه قوله:

نور النبوة من جبينك يلمع ... والملك فيك إلى الرسالة ينزع

إلى أن يقول فيها:

رحلوا بنا منذ الصباح ولم نكن ... ندري أرحلة سائح أم مصرع
عرضت لنا تلك المطي كأنها ... نعش يوم بنا المقابر مسرع
وأتت مواكب أهلنا لتردنا ... بنحيبها عما إليها نزمع
قلنا لهم أن لنأسف إذ نرى ... أكبادكم من أجلنا تتقطع
فاسعوا إلى المولى الإمام لعله ... يحنو على هذي القلوب ويخشع

وتحملـوا معكـم صـغارا رضعا فعسـا يعطفـه الصـغار الرضع
صـبوا المدامـع تحت ظل حنانه إن المدامـع للشـفاعة أسـرع

وصلت القصيدة إلى الإمام وهي طويلة، فتأثر بها وقال: "القصيدة طنانة. ولكن مـن أيـن لـنا رجوعه، فإن أفكاره مسمومة." ظلوا يتضرعون إلى الإمام إلى أن أخرجه من السجن. وعند ما خرج من السجن لم يبق في صنعاء إلا ساعات ثم جاء إلـى تعز. فالتقينا مرة أخرى سوية في تعز. وأصبحنا عند ولي العهد معا نتناجى ونتنادم ونتبادل النكت والآداب والآراء والأفكار. وكنت أنا ألقي خطبة في المناسبة وهو يلقي قصيدة. وحصل صراع بين الشعر والنثر، ونظم تلك القصيدة التي أشرنا إليها آنفا وقال فيها لولي العهد أحمد:

أن تنصر النثر في حرب عليه فقد جـازيته مثلـما جـوزي سنمـار

لبثـنا في تلك الفترة نحاول أن نؤثر في ولي العهد أحمد لكي يحدث نوعا من التغيـير والـتعديل. ولكن كنا نلتقي معه بالعواطف ونختلف بالعقل. كانت العاطفة قويـة بيننا وبينه إلى حد كبير حتى أنني كنت أكتب لـه شيئا وهو يكتب شيئا في طـريقه إلـي حول نفس الفكرة. فكتب إليه مرة أن الأرواح تتصل بعضها ببعض ويتـناجى بعضها مع بعض. فلما يئسنا، وكنا في مجلس ولي العهد أحمد، أثاره أن بعض المحتكين بابنه من الأدباء يطرحون أفكارا يشم منها رائحة التمرد. وقال إن هـؤلاء "العصـريين" لا بد أن يعاقبوا. وباعتباري من خاصته ومديرا للمعارف، حضـرنا إحـدى الجلسـات وهو يسأل ويناقش هؤلاء الذين أطلقوا بعض الأفكار ويقولـون مـا هو الفرق بين علي بن أبي طالب وبين أي رجل من الرجال؟ كان رجـلا شجاعا، ولكن يوجد رجال شجعان كثيرون. وعلي بن أبي طالب في نظر الإمـام مـن الأئمة المقدسين. فكيف يقارن بشخص آخر. وكيف يقال إنه لا يوجد فـرق بيـنه وبيـن أي شـخص آخر؟ كانوا يطرحون هذه الأفكار فتثير الشكوك والشـبهات حول الدين وحول قادة الإسلام وحول الإمام. غضب ولي العهد غضبا شديدا في ذلك اليوم، وظل يسأل: أنت يا فلان، أتقرأ الأدب؟ أجابه: "لا يا مولاي أنا

لا أقــرأ الأدب." ثــم ســأل الزبيري والزبيري شاعر وأديب: أتقرأ الأدب؟ فتحير وصمت. فسأل شخص اسمه السراجي أتقرأ الأدب فرد قائلا "اقطعوا رقبتي بالحذاء لو قرأته. لم أقرأ الأدب ولم أعرف ما هو الأدب." والتفت إلي وقال: "وأنت ما الذي تدرّسه في المدارس، أدب طه حسين؟" قلت لــه: "كلا. نحن نعطيهم محفوظات من الشعر." قال: "ولكن قلت محفوظات أدبية." قلت لــه: "محفوظات من الشعر تتحدث عن فضائل الإمام ومن هذه الأبيات الشعرية :

العرش عرشك لا سواك ولن ترى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نــدا إلى آفــاق عرشــك يرمــق

وكــان بجانبي كتاب لطه حسين أهدي للإمام بواسطتي! فقال: "وقالوا إن من الأدب كــتاب لطه حسين." قلت: "أبدا". وطويت الكتاب تحت إبطي دون أن أقدمه للإمــام. ورجعــت إلى البيت فلحق بي الزبيري وقال لي: "لم يبق لنا مجال، نحن معرضــون للســجن. فلــيس لنا إلا أن نشد الرحال." وسبق أن ذكرت أنني كنت قــد كتبت رسالة إلى الإمام فيها نصيحة وفيها إخلاص وصدق، وكتب له الزبيري ولكن بدون علمي. فكنا دائما نلتقي في تعز ونتشاكى مع الأدباء.

وقــررنا الهجرة معا، أنا والزبيري. فهربنا من تعز وتركنا نساءنا. بدا لنا أن هــذا الأمــر لا يجــوز الســكوت عليه، وأن بلادنا يجب أن تخرج من هذا الظلم والظــلام. وكان الارتباط بيني وبين الزبيري وطيدا. من الذي دبر خروجنا ويسر أمــرنا؟ جازم الحروي. ذلك الشخص الذي كان ثالثنا بتدبير الخروج، وهناك أخوة آخرون. هنا يجر الحديث بعضه وتتشابه هذه الأسماء، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يحدد شخصا بعينه. دبر جازم لنا الأمر. وقضينا اليوم عند ولي العهد. إذ كان من الضــروري أن نحضر يوميا مجلسه. فرتبنا الجلوس عنده بعد العصر لكي نخرج آخــر النهار ونقضي الليل كله في السفر بحيث لا يلحق بنا أحد إذا عرفوا بفراقنا. ودعــنا عائلاتــنا ونحن لا ندري إن كنا سنلتقي بهم فيما بعد أم لا. سيطرت علينا عقيدة أننا مسئولون أمام التاريخ إن لم نقل كلمة الحق من أجل هذا الشعب، وقطعنا العهــد على أنفسنا. غادرنا تعز، وكنا نحس بإحساس إنسان يرى أن لا عودة إلى الوطــن ما دام هذا الوضع قائما. وما دام معرضا للمطاردة فإنه الآن يودع الوطن

الــوداع الأخير. أيعود أم لا يعود؟ حدث ذلك في سنة ١٩٤٣. وكانت عدن مركزا ومــنطلقا بسبب وجود الإنكليز فيها، ففيها صحافة وفيها طباعة وفيها حرية. وهي مركز لليمنيين وأكبر مهاجرهم. لأن ليس بينهم وبين اليمن سوى ساعات. والحدود بيــنهما مــثل الحدود بين لبنان وسوريا. فكان الناس ينزحون إليها، الهاربون من الظلــم، والهــاربون من الفقر، والباحثون عن العمل، والباحثون عن التجارة. إنها ســوق تجاريــة تكــاد تكون سوقا لكل شبه الجزيرة العربية بوجود الإنكليز فيها. فمركز عدن شهير.

حيــنما وصلت أنا والزبيري إلى عدن احتفل بنا اليمنيون. وكانت أسماؤنا قد اشــتهرت من خلال جلوسنا بجانب ولي العهد أحمد في الاحتفالات. ولهذا قال لنا أحــد الأخوة، وهو جازم الحروي: "بدلا من أن تظلوا تبعثرون أدبكم وأفكاركم في تقديــس الحكام، اخرجوا نحو الشعب." قلنا لــه: "ولكن قد تعوزنا المادة." قال: "أنا أرســل لكــم." كان تاجرا كبيرا وشخصية نادرة في التجارة. فلما خرجنا إلى عدن واستقبلنا هناك الأخوة، أراد الناس أن نقوم بحركة. وكانت جماعة قد خرجت قبلنا وتحدثوا في الصحف، لكن خروج الزبيري ونعمان كان له أثره، وأحدث ردة فعل داخــل اليمن، وبخاصة أنهما كانا يمثلان القيادة الفكرية داخل اليمن، في المناسبات والأعياد، بالخطب، وبالأشعار. ولم يكن نعمان والزبيري يفترقان، وكانا السبب في ظهور حركة الأحرار وشيوع فكرتهم.

هــذه هي البداية بعد اعتقال الأخوة الذين في الداخل. لفتت هذه البداية أنظار الــناس إلينا. ولا شك في أنها تثير في نفوس الآخرين المنافسة، لكن هؤلاء الناس غامــروا وأقدموا بهذه الجرأة. فبدأنا نحقق شيئا فشيئا بعض النجاحات. كانت عدن خلال الحرب العالمية الثانية لا تسمح بأي نشاط سياسي لئلا تحدث بينها وبين اليمن خلافــات. لذلك منعنا من النشاط السياسي بعد أن كنا قد عقدنا ندوات جمعت كثيرا من اليمنيين للحديث عن اليمن، لأن الكتابة في الصحف كانت ممنوعة. فكنا نحتال علــى المنع ونقدم كتاباتنا على أساس أنها مواضيع أدبية في صحيفة "فتاة الجزيرة" التي كان يديرها محمد علي لقمان. وهذا أيضا مصدر من مصادر الفكر في جنوب الجزيــرة. كــنا نعقــد ندوات، وأسسنا نادي الأحرار، وأصدرنا أول ميثاق لحزب

الأحرار حددنا فيه مطالب الأحرار في اليمن. وقد طبع هذا الميثاق ووزع وأحدث ضجة. بدأ ولي العهد أحمد يسعى للتفاهم مع الإنجليز لإسكات صوت الأحرار ومنعهم من أي نشاط. وخرج الإنجليز على قانونهم ومنعونا من أن نتكلم أو أن نقوم بأي شيء. وفرضوا علينا أن نجلس لاجئين سياسيين دون إحداث أية ضجة. وهكذا توقف نشاطنا واجتماعاتنا ولقاءاتنا. وكنت أنا والزبيري. والتحق بنا في عدن السيد أحمد محمد الشامي والسيد زيد الموشكي. السيد أحمد الشامي هو الآن وزير خارجية الملكيين. كان زميلنا ضد الإمام. والسيد زيد الموشكي من سادة اليمن ومن رجالها الافذاذ، وقد أعدم سنة ١٩٤٨. بقيت أنا والزبيري في عدن. أما الإخوة جميعا ومن ضمنهم الشامي والموشكي وآخرين مثل مطيع دماج، وعقيل عثمان، وعبد الله بن حسن أبو راس، وكان هؤلاء قد ارتبطوا بنا، وكذلك بعض مشايخ القبائل مثل الشيخ محمد بن ناجي القوسي، والشيخ مقبل جميزة. جاءوا إلى عدن يظنون أننا سنقوم بحركة عسكرية. وتبين أننا حركة فكرية سياسية. ولكن بمجرد ما سمعوا أننا في عدن اعتقدوا بأننا سننظم غزوا لليمن لندخلها فاتحين. رجع الأخوة جميعهم وبقيت أنا والزبيري رفقاء. بقينا الاثنان لأننا قطعنا خط الرجعة.

ظل ولي العهد أحمد يبعث إلينا رسائل يستميلنا للرجوع إليه، ويقول إنه لا داعي للبقاء في عدن، وإننا بخروجنا نكون عونا للأعداء عليه. ولكننا كنا نقدم المطالب، ونقول حينما تتغير الأوضاع وحينما يوجد دستور وحينما يوجد مجلس شورى وحينما توجد حكومة مسؤولة نعود. أما أن يظل الحكم بيد الإمام وأولاده فهذا غير مرغوب فيه. هذه هي مطالبنا كنا نكتبها وننشرها ونقول إننا نريد حكما دستوريا في اليمن، ولا يهمنا أن يكون الإمام يحيى هو الحاكم. ولكن يجب أن تكون الوزارة من أبناء الشعب ويؤسسوا مجلسا للشورى. كانت هذه المطالب تعتبر خيالية بالنسبة لليمن في ذلك الوقت. إنما كنا نحن متأثرين بالبرلمانات التي في البلاد العربية وبالديمقراطية ونريد التغيير وفقا لها. ولكن ظروف الحرب كانت تمنعنا من القيام بأية حركة، وكان الإنكليز يريدون هدوء شاملا وإن كانوا يرون أن منعنا خروجا على دستورهم، لأن الدستور عندهم يسمح بالحريات.

بداية الوجه الثاني من الشريط الخامس

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سمح لنا بتأسيس الجمعية اليمنية الكبرى وإصدار صحيفة "صوت اليمن". كان الجو ملائما، وافقوا على هذا وأعطوا التصريح. سمعوا في اليمن بأن التصريح قد أعطي لنا. وكانت في مصر حرية صحافة، وكان هناك صحيفة يصدرها عبدالغني الرافعي بعنوان "الرابطة العربية"، تبنت قضية اليمن ووقفت إلى جانب الأحرار. فكنا نبعث الأخبار إلى الرابطة العربية في مصر، فتنشر كل شيء. وبعد ذلك حصلنا على جريدة اسمها "الصداقة" كان يديرها الشهيد محمد صالح المسمري والسيد يحي أحمد زبارة وسلام فارع (الاسم غير واضح في التسجيل). كان هؤلاء يصدرون الجريدة وكنا نحن ننفق عليها وننفق على الصحف لأن مركز تمويل الحركة كان في عدن. وتأتي التبرعات للحركة من التجار. كان التجار يدفعون المساهمة باسم مساعدتنا شخصيا وليس على أساس رصيد معين ، ثم لنا علاقات بأشخاص أصدقاء كانوا يرسلون لنا ما ننفقه وننفق نحن على أنفسنا ثم نصدر هذه الصحيفة ونمولها ونمول القائمين عليها. عند ما علم ولي العهد أحمد، الذي كان في تعز أقرب ما يكون إلى عدن، بأن الإنكليز أعطونا تصريحا للصحيفة، قرر أن ينزل إلى عدن بنفسه ليقيم علاقات مع الإنكليز حتى يسحبوا التصريح. اقترح الإمام يحيى عليه أن يرسل القاضي محمد راغب، وزير خارجيته. وكان القاضي راغب من رجال تركيا الذين بقوا في اليمن بعد خروج تركيا من العالم العربي ومن اليمن، وكان رجلا متدينا ويتكلم اللغة العربية. وقد أخذ يحسّن العلاقات بين اليمن والدول الأخرى ليقيم دولة في اليمن. فجاء بنفسه إلى عدن وأخذ يتصل بي وبالزبيري ويسأل: "هل أعطي لكم التصريح؟" قلنا له: "نعم." قال: "سيكون رفض طلبكم عبثا، لأن هذه دولة ديموقراطية لا يمكن أن ترفض." اتصل بالحاكم الإنكليزي في عدن فقال له الحاكم: "نحن لا نستطيع أن نلغي شيئا يقره القانون، ولا نستطيع تغيير القانون البريطاني لمنع الحريات، بالإضافة إلى أن معاملة اليمنيين في اليمن معاملة سيئة، فقد وصل الى عدن حتى الآن ٢٥ ألف لأجيء غير من هم أصحاب أعمال ويبلغون حوالي مئة ألف قدموا من اليمن. فما هذا؟ لماذا لا تحسنون الأحوال في اليمن؟"

فشــل وزير الخارجية فنزل ولي العهد أحمد بنفسه. واستقبلته عدن واليمنيون استقبالا كبيرا. خشينا على أنفسنا أنا والزبيري، واختفينا في تلك الليلة لئلا تهاجمنا الجماهير المتأثرة بمجيء "ولي عهد اليمن سيف الإسلام أحمد". خشينا أن يقتحموا منزلنا لأنه بعث من يدعونا إليه وأرسل لنا رسائل فرفضنا. وذات يوم أحسسنا بأنه سيرسل جماعة لاختطافنا، فاختفيت أنا والزبيري عند رجل اسمه الشيخ خير الدين علــم الدين، من لبنان، وهو شيخ طائفة البهرة في عدن. وكان رجلا خيّرا، ووجها وضّــاء. وكــان يعطــف على قضيتنا لأن الإسماعيلية في اليمن من أتباعه وهم مضطهدون من الإمام. فكان مغتبطا بوجودنا لأننا ضد الإمام. إذ يوجد خلاف بين الطائفة الإسماعيلية وأئمة الزيدية في اليمن. وكان الشيخ خير الدين علم الدين هذا شــيخا لطائفة البهرة، يتقاضى منهم الزكاة، ويعلمهم معالم الدين، ويصلح شؤونهم، ويقضي بينهم. والبهرة تجار من الهند ومن كل مكان. آوينا إلى داره في تلك الليلة. وبلــغ الإنكليز أنه توجد نية لاختطافنا. بحثوا عنا فلم يجدونا، فظنوا أننا اختطفنا، وثارت أزمة بينهم وبين ولي العهد. قالوا هذا فعل لا يمكن قبوله. وأطلقوا البوليس فــي شوارع عدن للبحث عنا. كانوا يأتون يطرقون الباب على الشيخ خير الدين، علــى وهــم ربما نكون عنده. فكان يخرج وينزل إليهم، ونحن مختفون في غرفة صــغيرة. وكــنا من جانب نعيش حالة خوف، ومن جانب آخر كنا نعلق في مرح ونتــبادل النكت. قلت للزبيري: "يا قاضي محمد الليلة ستعلن الحرب بين بريطانيا واليمــن." قــال: "لماذا." قلت له: "لأننا لاجئون سياسيون، وتسليم اللاجئ السياسي محرّم، وإذا اختطفته دولة أخرى تقطع العلاقات وتعلن الحرب." قال: "إذن ما رأيك بدلا من أن نخلق حرب ومشكلة لليمن نسلم أنفسنا بدلا من القتل والقتال." قلت لــه: "لا تفكر بهذا،

فلو كان لي رأسان جدت بواحد ولكــنه رأس إذا راح أعطــل

بقينا مختبئين في هذه الغرفة المغلقة. وجاء الشيخ خير الدين أثناء الليل يقرع الباب ويقول: "ابشروا يا أبنائي خيرا، إن شاء الله." فتحنا الباب، قال: "إن البوليس الــذي يبحث عنكم إنما يفعل ذلك ليحميكم. خشيت الحكومة في عدن من أن تكونوا قد اختطفوكم وهذا لا يقبله أحد. فاخرجوا الآن من مخبئكم." أخرجنا وأدخلنا غرفته

وهــو يــنام على سرير يتهدل في الهواء، وجاءنا بالأكل أثناء الليل. وفي الصباح خرجــنا وإذا منازلنا قد أحيطت بالحراسة لحمايتها من أن يتسلل إليها أحد. وكانت هناك تعليمات لحراسة منزل أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري، ومنها أن لا يزورهم أحد إلا بإذن منهما مكتوب وموقع منهما. هذا ما فعله الإنكليز لأن ولي العهد موجود والجماهير في عدن يمنية كلها. فربما يختطفوننا، وخوفا علينا بقينا في البيوت. فكر ولي العهد أن يأتي بنفسه لزيارتنا، لكن الإنجليز منعوه فرجع. وبعدها خرجنا.

زاد هــذا الحــادث من مشاعر الناس نحونا. وجاءت البرقيات من المهاجرين اليمنييــن في مهاجر مختلفة إلى حكومة عدن تحثها على حماية الزعيمين. بعدها، ســمح لنا بإصدار جريدة "صوت اليمن". ما ذا نعمل ومن يطبعها؟ الإنكليز سمحوا بصــدورها، ولكــن مُنعت المطابع من طبعها. كانت قد جرت على جازم الحروي أحــداث كثيرة بعد أن خرجنا، واتهم بأنه الذي أخرجنا إلى الخارج فأعتقل وأخرب بيــته، وسيق يمشي على قدميه مسافة ٧ أيام، ما بين صنعاء وتعز، هو ومجموعة من أشخاص آخرين اتهموا وقيدوهم بسلسلة من حديد. كانوا قد اطلعوا على أبيات قالهــا الزبيري في مدح جازم تقديرا لمواقفه يقول فيها إنه لشيء غريب أن يوجد إنسان بهذه المزايا، تاجر يسخِّر ماله من أجل القضية الوطنية، ويساعد الأحرار من أجــل القضية. فعلم ولي العهد بهذه الأبيات، مما زاد تأكده من أن جازم هو مصدر القضية، لأن الزبيري يقول فيه:

إلا فليعش في مهجة الشعب جازم	**تغــذى بــه أيامهــا والعــزائم**
فــتى راعنــي بالبذل حتى ظننته	**ملاكــا طهــورا أنجبــته الغمائم**
تبســم لــي بشرا فخلت ابتسامه	**ظــروف فــؤاد أثقلــته المكــارم**
وكــم بســمة لاحــت بثغر منافق	**هــي الزور إن حققتها والمزاعم**
فــيا ملكــا مــن أمــة ســبئية	**لقــد بعــدت عــنك اللدات التوائم**
لقد أخرجتك الأرض وحدك معجزا	**كمــا أخرجــت تبرا نظارا مناجم**
فــبالله قــل لي كيف جئت مهذبا	**نبــيلا ومــا بــالحى إلا الســوائم**

بلغـت هــذه لأبيات إلى الإمام فاستفزت ولي العهد بالذات عبارة "وما بالحي إلا الســوائم"، أي أنه لا يوجد في اليمن من الرجال الكرام غير جازم؟ ومن جازم ومــا قيمته عند ولي العهد؟ سجنوه وبقينا في عدن مذهولين متخوفين عليه. ومرت الأيــام، وإذ به يخرج من السجن. ولما خرج، هرب هو نفسه إلى عدن وجاء إلينا. في الوقت الذي أردنا أن نقدم لــه ما كان قد أعطانا عند خروجنا واصل مساعدتنا أيضــا مــن أجــل قضية اليمن. تاه الزبيري بهذا، والشاعرية توحي للإنسان بهذه المواقــف. وجلس يقص علينا ما لقيه في السجن هو وأصحابه، وكيف خرّب بيته. أخــيرا ماذا يعمل؟ خرج بنفسه إلى المهاجر اليمنية من أجل أن يجمع قيمة مطبعة تكون خاصة بصحيفة صوت اليمن. خرج وجمع التمويل. ولأول مرة يقوم اليمنيون بحــركة من هذا، جمع النقود لشراء مطبعة للأحرار. وصل جازم بالمطبعة بنفسه إلـــى عــدن، وركــبها. تحيرنا فيمن يطبع. أتى برجل من أديس أبابا، يمني يجيد الطــباعة. بــدأ الإنكليز بمضايقتنا بمسألة إصدار الصحيفة، ولكن القانون كان قد صدر. فأتينا بهذا الرجل إلى البيت في الليل، وكان يرصف الحروف في البيت وفي اللــيل يطبع. وتدرب على يده مجموعة من اليمنيين، وحالا أجادوا الطباعة. صدر العدد الأول من "صوت اليمن" والعدد الثاني وإذا بضجة هائلة في اليمن من أقصاها إلى أقصاها، ماذا يحدث؟ وخرج سيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحي وانضم إلى الأحــرار. وإذا بقضية الأحرار تنتشر. كان سيف الإسلام إبراهيم معتقلا في سجن أبــيه، هو وأخواه إسماعيل وعلي، ثلاثة من أولاد الإمام يحيى كانوا يترددون على السجون.

س ــ لماذا؟

ج ــ كانــت عــندهم أفكــار حرة وتطلعات وتطرف. وكان أبوهم يجازيهم بالسجن. خرج الأمير إبراهيم بحجة المرض ليتعالج في أسمره. ومن أسمره ذهب إلـــى الحبشـــة واستقبله إمبراطور الحبشة باعتبار أنه ابن الإمام يحيى. وأتصل به الأحــرار إلـــى أسمره ورتبوا معه الانضمام إليهم. جاء إلى عدن أولا لينزل ضيفا على حكومة عدن. فاستقبلته الحكومة واستقبله سلطان لحج، وانزلوه قصر السلطان في عدن إلى أن رتبنا له سكنا ودبرنا الأمور. ثم خرج وأعلن دعوته وانضمامه إلى

الأحــرار وأصدر بيانا. شكّل ذلك وثبة في قضية الأحرار. وبهذا الانضمام تجاوب مع قضية الأحرار الإخوان المسلمون في مصر. وكان الإخوان المسلمون في ذلك التاريخ يدعمون هذه الحركة. وكان الورتلاني، صديقنا الذي تعرفنا عليه في مصر، مــن الــرواد الذين خرجوا إلى عدن وطافوا باليمن. بدأت قضية الأحرار تنتشر، وكانــت القضية في اليمن بسيطة فأستجاب لها الناس. وكان الزبيري ونعمان هما الــرائدان اللــذان أطلقا هذه الحركة، وباسمهما كانت تصدر صحيفة صوت اليمن. وكــنا نحن لا نفترق ولا نختلف. وينضم إلينا اليمنيون تحت مظلة حركة الأحرار. لا يوجد خلاف ولا شقاق. بعض من الإخوة، وأحمد محمد الشامي وزيد الموشكي، رجعوا من عدن، وبقينا. ترك هذا في نفوسهم شيء (انظروا انشقاقات الأحرار من أيــن جاءت). كانوا يرون أننا محتكرون للقضية. أنا احتكر المال والزبيري مرتبط بي. ولكن العلاقات بيني وبين الزبيري علاقات إخاء وعلاقات تفاهم فكري والتقاء مــن أيام ما كنا في مصر ثم بعد عودتنا إلى تعز. كان ارتباطي به ارتباطا يمتاز عــن الارتــباط بالآخرين. نتشارك في السراء والضراء. والزبيري أطهر مخلوق عرفــته الدنيا، حتى أنني كنت أقــول فيه معنى حديث عن الرســول في أبي ذر: "مــا أقلــت الغبراء، ولا أظلت الحمراء رجلا أطهر من أبي ذر" فكنت أطلقه على الزبــيري. حقــيقة، كان يعرف أن لي أقارب في عدن، ويكاد أن يكون أبناء اليمن الموجــودون فــي عدن من أبناء قضاء الحجرية، وقضاء الحجرية هذا يبلغ سكانه حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، كانت زعامة الحجرية معقودة في بني نعمان. فكان بعض المهاجرين في عدن مرتبطين بي بحكم الأصول، مع أن النكبة قد نزلت ببني نعمان بالاعــتقالات التــي جرت لمشايخ اليمن حين جاء الإمام يحيى. ثم كنت مدرسا في بــادئ الأمر كما أخبرتكم سابقا. وكان أبناء الآباء يدرسون عندي ويتعلمون، وعند مــا كنت في مصر تعلق بي بعضهم أيضا. فأصبح للإنسان أولياء كثيرون. ولذلك كــان الــناس لا يــثقون إلا بي خوفا من أن تعرف الحكومة أن لهم صلة بحركة الأحــرار. كانوا يأتوني سرا للمساعدة، وأنا كان عندي حالة زهد، يعني أعدّ نفسي مسؤولا عن كل جبهة (عن كل قضــية). قد أتضــور جوعا لكي لا أنفق أي مبلغ إلا فــي سبيل القضية، في طباعة، في نشر، في برقيات، في مذكرات، لمن يعمل

(في مقابل عمله). وأنا مع أولادي نعيش في عدن كأبأس المخلوقين. وكان الزبيري يعرف الحقيقة ويشاركنا في هذا.

س ـ هل انتقلت عائلة الزبيري إلى عدن؟

ج ـ طبعا، وعائلتي أيضا، أم الأولاد محمد وعبدالرحمن. ماتت بعد هربنا في عـدن. وكـان لها تأثير إلى حد بعيد، حتى أن موتها كان أول محنة بعد خروجنا. ولما رآني الزبيري متأثرا نظم أبياتا يعزيني بها، منها:

كفكف الدمع وأعتصم بالعزاء ... ليس في الحرب فرصة للبكاء

ومنها أيضا:

يـا صـديقي في مبدئي يا زميلي ... فـي جهادي يا سلوتي يا عزائي

كنـت أعـددت أدمعـا فتماسكت ... ونهنهـت أدمعـي وبكائـي

خفـت أن يحسـب الخصـوم بأنا ... قـد خضـعنا لمحـنة وبـلاء

ابكهـا مـا استطعت وحدك واملأ ... سـاحة القـبر مـن دموع وفاء

سقطت كالأبطال في ساحة الحرب ... وكانـت طلـيعة الشـهداء

كانت العلاقة التي توطدت بيني وبين الزبيري مصدر كل ما حدث من حركة. وكنا لا نريد أن نعلن اسم شخص لئلا يتعرض للأذى. هذا كان سبب تشددنا ولكن الإخـوة كانوا يعتبرون أنه عدم ثقة، ويقولون إن الزبيري ونعمان محتكرون لكل شيء. ولكني كنت أتحمل كل الاعتراضات في سبيل مصلحة أصحابي.

س ـ من هو الشامي ومن الموشكي؟

ج ـ هما من الرواد الحقيقيين. وكانا عونا للقضية ومن الأحرار فعلا. ولكن هـناك درجات حساسية تصنع النفس الإنسانية في بعض النواحي لا بد منها. وكان بعض الأشخاص الآخرين مثل مطيع دماج، ومحمد الفسيل وعقيل عثمان وغيرهم مـن الأشـخاص الذين حقدوا علينا بدوافع أيضا غير الخلاف مع أولئك. كان دافع هـؤلاء المركز الأدبي، لأن الشامي والموشكي والزبيري وأنا، عند ما أوقفنا عن

النشاط السياسي عملنا كلنا مدرسين. ذهبنا للعمل بالتعليم وكنا نتقاضى رواتب من التدريس. وكان ما يعطى لهؤلاء الإخوة يأتي من المهاجرين من الحجرية، من أهل وأصحاب وإخوة من الأسرة. فكان ما يزودونا به دائما يكون من أجل القضية، ولا يعرف به إلا الزبيري ولا يشعر الآخرون بشيء. إنما أنا شريكهم في الغذاء، كما يأكلون آكل معهم وأنام معهم، نحن سيان في هذه الأشياء. وصرنا نحن الأربعة، أنا والزبيري والشامي والموشكي نمثّل القيادة السياسية. وكان آخرون يثيرون الموشكي والشامي علي وعلى الزبيري، ويظلون يحاولون التفريق بيني وبين الزبيري، لكنهم لم يستطيعوا أبدا. ظلّت الوحدة الحقيقية بين نعمان والزبيري، وهي التي ظلت أداة لوحدة لأحرار ورمزا للأخوّة، خاصة وأنه كان محسوبا من الزيدية وأنا شافعي. ولهذا لن يفرّق الناس بين الزبيري والنعمان، أو بين الزيدي والشافعي. كانت هذه الوحدة من الأسس التي ظلت دائما لقضية الأحرار وللوحدة الوطنية. هؤلاء الإخوة بعد أن انقسموا ورجعوا إلى عند الإمام عادوا إلى مناصبهم فترة، ولكن كانوا يحسون أنهم مطعونون ومتألمون منا لأننا لم نشركهم في أخص الأسرار. ونحن كنا نحترمهم ولكن كان لكل واحد حدود. وذات مرة جاءوا إلي يشتكون من الزبيري ، فاستشهدت ببيتين لشاعر عربي يقول فيهما:

فيا واشيي عفراء بالله خبرا ... بمن وإلى من جئتما تشياني

بمن لو أراه عانيا لفديته ... ومن لو رآني عانيا لفداني

هكذا أغلقنا الباب تماما. وحاولوا أن يشككوا الزبيري فيّ، ولكن مر كل شيء وبقينا نحن بإصرارنا العنيد. ضاق الناس بنا. وكنا نحن لا نشكك في الآخرين. نمضي في شأننا والثقة قائمة ولا شك يتسرب إلينا. فلما بدأت حركة الأحرار تقوى وتنتشر بفضل الصمود والوحدة الوطنية التي بيني وبين الزبيري، جاء سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى وأنضم إلينا. وخرج من قصر السلطان عبد الله بن عبد الكريم من عدن، وجاء لينضم إلى الأحرار. استأجرنا له في الفندق واشترينا له سيارة، كل هذا كان مرصودا لكي ترفع القضية. نزل السيد أحمد الشامي وهو صديقنا من عند ولي العهد أحمد لكي يستدرج إبراهيم من بيننا ويعيده إلى اليمن.

وكانت هذه أول ضربة توجه إلى الأحرار لو نجح. كان لنا تأثير على سيف الحق وكــان نقــيا. كان يتحلى بالبساطة أحيانا ويؤثرون عليه، ولكنه كان قويا في هذا الموقــف. تفــاهم معهم على أن يسددوا ما عليه من ديون وما عليه للفندق، ولأحد الــتجار، ويــأتوه بأمان من عند أخيه أحمد بأن لا يناله مكروه. رحبوا بهذه الفكرة ودفعــوا للفندق في حين كنا نحن قد أعددنا لــه سكنا مستقلا وتفاهمنا معه على أن يرتــب حاله. وعند الخروج للعودة معهم سينتقل إلى المكتب. ذهبت أنا إلى بعض الأشــخاص اشــتكي سيف الحق إبراهيم. وكنا كلفنا الزبيري بأن يقوم بهذا الدور ولكن الزبيري قال أنا لا أطيق ذلك. قلت لــه : "الحرب خدعة، ونحن في حرب". قال: "اخدع بالنيابة عني." فذهبت إلى أحد الأشخاص من أنصار الإمام أحمد والذين يريدون من إبراهيم أن يعود وقلت لهم: "هذا لا خير فيه، غدر بنا وصنع بنا كذا." قلــت ذلــك ليثبت لهم أن الأمير إبراهيم في أيديهم. وذهبت إلى إبراهيم وأخبرته بالحقيقة وأنني رتبت كذا. فسددوا أولا حساب الفندق، وتحملوا عشرة آلاف روبية لــتاجر كان الأمير إبراهيم مدينا لــه، لأننا كنا نتحمل نفقات كثيرة للأمير إبراهيم ونــريد أن نسددها. فهذه مساعدات خاصة والناس قد يضيقوا إذا لم نقتصد. فتحمل ذلك التاجر الذي شكوت لــه من إبراهيم (لعله الجبلي ، وكيل الإمــام) النفقــات. وخــرجوا وهــو معهــم، فقــال لهم: "أريد أن أمر لأودع الزبيري ونعمان لأنهم يطالبونـنــي بمبالغ، سأستقل معهم السيارة. خرجنا نحن وهو معنا في السيارة وهم خــارجون بعده بسيارة إلى الطريق في اتجاه تعز. وقد أبرقوا إلى ولي العهد بأنه سيصــل فــي تلك الليلة. رجعنا إلى دار النهضة وكنا قد استأجرناها بعشرين ألف روبية، قسم منه للأمير إبراهيم وقسم للأعضاء وقسم للمكاتب. وقد نشرت الصحف هذه القصة.

وسارت العلاقات مع الزبيري على هذا النحو. فبدأت تثور الثائرات ويترسب فــي النفوس أن نعمان والزبيري ثائران. وظل الإخوان في مصر المرتبطون بنا، وبخاصــة محمــد صــالح المسمري من الأحرار ويحيى زبارة، يؤيدون خطوتنا وموافقيــن علــى أن تبقــي القــيادة متماسكة. عشنا على هذا النحو من التضامن والتماسك مع الزبيري إلى أن جاءت سنة ١٩٤٨ وقتل الإمام يحيى وأعد الدستور.

فعدنا إلى اليمن، ولكن كيف نلتقي نحن والزبيري مرة أخرى؟ بقيت أنا في سجون حجــة ســبع سنين وهو في باكستان ومصر. ولكن كان يرسل الرسائل إلى الإمام أحمد (أصبح بعد قتل أبيه في سنة ١٩٤٨ إماما) لكي يعطف علينا. وكانت رسالته مؤثرة إلى حد كبير ويقول فيها: "أقسم بالله إني لم أنم على فراش وثير، ولا نلت لذة أنــت منها محروم، ولا نمت وأنت ساهر، ولا انطلقت وأنت سجين"، يعني مشاعر الإخــاء الحقيقي. وتدور الأيام دورتها علينا نحن والزبيري إلى أن جاءت أحداث ١٩٥٥ الــذي قــام فيها سيف الإسلام عبد الله (بمحاولة للاستيلاء على الإمامة من أخــيه أحمد). بقي الزبيري في باكستان، وتركه زميله عبد الله بن علي الوزير إلى الهــند حيث مات . وبقي هو يذيع من إذاعة باكســتان أحاديث دينية يكســب منها ما يقتات به.

وكنا نحن لا نعلم كيف سارت الأمور. المطبعة التي اشتراها الأحرار لطباعة صوت اليمن أخذت من عدن إلى لإمام أحمد إلى تعز ونحن في السجن. واليمنيون دائما يصابون بفشل بعد الهزيمة. ويصبّون اللعنات على رؤوس المهزومين.

الناس إخوان من والته دولته وهم عليه إذا عادته أعــوان

أو:

والنـــاس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى، ويصيب المدبر الهبل

حينما ينتصر الإنسان ولو كان على باطل يهادنونه، وحينما ينتكس ولو كان محقــا يلعــنونه. هــذه طبــيعة البشر. وهكذا أحدث هذا الفشل بعض التشتت بين الأحرار. بقينا نحن في السجن مع إخواننا والزبيري في باكستان يحتال على الإمام ويــبرق ويكتب في سبيل التخفيف عنا، ويشعر الإمام بأنه معنا، وأنه بعد أن تهدأ نفســه سيعود. وكان هو من العوامل التي هدأت عواطف الإمام بالنسبة إلي. اعتقد الإمام أحمد أنه ربما يأتي الزبيري ويأتي آخرون. ولم يكن عند الإمام حقد شخصي لأنــه كــان بيني وبينه ود. عندما كان الزبيري في باكستان وأنا في السجن، بدأت أتــبادل الرســائل معـــه من السجن. ثم انتقل الزبيري إلى مصر، وكان للإخوان المسلمين فضل في نقله. كانت هناك علاقات قديمة بالإخوان المسلمين الأولين الذين

حاربوا مع عبد الناصر في فلسطين في ١٩٤٨. انتقل الزبيري إلى مصر وبدأ يذيع أحاديث من صوت العرب، لكنها كانت أحاديث معقولة، ولم يكن يتحدث بما قد يثير الإمـــام. وكـــان الإمام يعرف العلاقة بين نعمان والزبيري، ويعرف أن اليمن كلها تعرف أن الاثنين واحد. ظل الزبيري يكتب لنا، وكانت الحالة قد تحسنت عندنا في اليمن. وجرى أخذ ورد، وأنا باق على العهد مع الإمام أحمد. لم أكن أرغب في أن أخرج عليه بعد أن كان موقفه معي كريما إلى أبعد الحدود، لأنه لو كان حاقدا عليّ لكـــان باســـتطاعته أن يخـــتلق أي مبرر. ولكنه كان يعاملني كصديق. فعلاقتي به كصـــديق من أوفى الأصدقاء. كذلك ابنه البدر. بدأنا نحن من السجن أنا والقاضي عبد الرحمن الإرياني الذي كان سجينا أيضا، نبعث رسائل إلى الإمام أحمد ونلفت دائما النظر إلى ابنه البدر ولي العهد، نثير فيه الشفقة ونهيؤه لأن يكون ولي العهد ونحـــن جـــنوده. كـــان هذا يؤثر في الإمام. وكان الزبيري يفعل الشيء نفسه من الخارج. كان يعرف علاقتي بالبدر، فيظل يكتب إلى البدر من جانبه. وصادف أن خرج البدر إلى مصر بعد الثورة المصرية وكان الزبيري قد جاء إلى مصر فألتقي بالبـــدر وظل يراجعه في شـــأننا والبدر يطمئنه ويقـــول له الأستاذ نعمان أستاذي لا تخف عليه. فنحن نعمل ونكتب معا. جاءت أحداث سنة ١٩٥٥ ضد الإمام. وكنا نحن والأحرار في الداخل والخارج مع البدر. نظهر كأننا بجانب الإمام أحمد وضد إخوتـــه، لأن إخوتـــه كـــانوا دائمـــا حاقدين علينا باعتبار أننا أعداء الإمام يحيى ويعتـــبرون الأحـــرار قتلته. وعند ما ذهبت إلى السعودية وجدها الزبيري فرصة وزار السعودية من مصر لكي نلتقي، وكان الناس يتلهفون لمعرفة كيف سيكون لقاء نعمـــان والزبيري بعد هذا الفراق الطويل، حتى البدر نفسه. هذان اللذان قاما بهذه الحـــركة وهـــذه كلها آثارهم، وفرقهم الزمان فجعل أحدهم في السجن والآخر في باكستان. ثم تأتي الأيام فتعيدهما ويلتقيان. وكان لقاء مؤثرا حقا. قلت له يريدون أن تعـــود معـــنا مـــن مصـــر إلى اليمن. احتقن الدم في وجهه وقال أعود إلى اليمن؟ لـــو عـــدت أنا وأنت سنقتل معا. وكان الإمام أحمد يغريه كي يعود معنا. وألححت عليه فرفض وقال المصلحة أن أبقى في الخارج. من المستحيل أن أعود الآن. ظل

في القاهرة ورجعت أنا والبدر إلى صنعاء. وعند ما حدث الخلاف بيني وبين الإمام انتقلت إلى القاهرة.

ذهبت في أول زيارة أنا والبدر، وبعدها خرجت من اليمن والتقيت بالزبيري. ماذا نعمل؟ أصدرنا "صوت اليمن" من مصر. كان ذلك سنة ١٩٥٥. رحبت مصر بهذه الفكرة لأنها تريد من يعمل ضد الحكومات العربية. سمحوا لنا بإصدار "صوت اليمن" وبالإذاعة من صوت العرب. وبدأت في إلقاء الخطابات حتى بلغنا أن الإمام حطـم الراديو عند سماع أحاديثنا لأنها كانت مفاجأة لم يكن يتصورها. وهو على حـق، لكنني كنـت مخدوعـا بأنني أعمل لليمن. ففي سبيل اليمن كنت أضحي. وقـد ضحيت بأهلي، فأهلي كلهم دخلوا السجون أيام الهجرة الأولي أنا والزبيري، لـم يـبق أحـد مـن صغيرهم إلى كبيرهم لم يتعرض للضرر. كانوا يعيشون في السـجون والنسـاء مشردات. فكان عند الإنسان إيمان باليمن، ويتساءل دائما كيف ستسير؟ وماذا سيحدث لها؟ لهذا لم أنس كل ما فعله الإمام. ولكن قلت أعاتبه. بدأنا نطلـق أحاديثنا، وبدأ الزبيري يقدمني للمستمعين قائلا: ستستمعون اليوم لنفس من أنفـاس اليمـن وصوت من أصوات اليمن. إنه فلان. فكنت أتحدث. وكان الحديث مؤثرا إلى حد بعيد في أوساط اليمنيين. إلى جانب تأثير الثورة المصرية. بقيت أنا والزبيري معا في السراء والضراء. وهنا انطلقت العداوة والحقد، وبدأت الاتهامات توجه لنا بأننا لصوص وسرقنا مال الأحرار.

س ــ من وجه لكم هذه الاتهامات؟

ج ــ من اليمنيين أنفسهم ومن بعض الأحرار المدّعين.

س ــ مثل من، مثل الشامي؟

ج ــ كـلا. عاد الوئام بيننا مرة ثانية لأنه سجن معنا سنة ١٩٤٨. فبعد ذلك الخلاف التقينا نحن والشامي والموشكي، إلى درجة أن الموشكي أعدم سنة ١٩٤٨. عاد واتصل الشامي بنا وسجن معنا ٧ سنوات، كان محكوما عليه بالإعدام، وكلمني الإمام أحمد من أجله وقال لي بالنسبة للسيد أحمد الشامي فهو محكوم عليه بالإعدام. فشرحت له أن ليس لـه اختيار وأنه في عنفوان شبابه ومضلل ومخدوع من جملة

المخدوعيــن. قــال: نفسي تنازعني فيه ما بين الواجب والعاطفة، الواجب أن يقتل ولكــن عاطفتي لا تسمح بذلك لأنه صغير السن. استمر الوئام بيننا نحن وهؤلاء، ولكن وجدت عناصر كثيرة.

س ــ مثل من؟

ج ــ الأسـماء التـي وردت هـنا مـثل مطيع دماج، والفسيّل، والأسودي، وشعلان، أسماء كثيرة تصدرت للعداء، بعضهم كانوا منضمين إلى الإمام أحمد لأننا نحــن الآن مهــزومون لــيس بـيدنا صحيفة ندافع بها عن أنفسنا. فانطلقت التهم والتخويــنات. تواجــدت فئة كانت قد أصبحت بعثية. اعتبروا أن فكرة الأحرار قد انتهــت وجــاءت تـيارا ت جديدة: الناصرية، البعثية والشيوعية والقومية. أصبح الطلاب منتمين لأحزاب متفرقة. أما نحن فبقينا يمنيين. وكان من الشاب من أبنائنا محسـن العيني ومحمد الرعدي. وكتب محسن العيني كتابا يدافع فيه عن الأحرار بعـنوان "معارك ومؤامرات ضد ثورة اليمن" دفاعا عن الزبيري ونعمان. قال فيه لولا هذين الاسمين من أين نعرف الوطن أو الوطنية أو نعرف أن لنا حقوقا. وفي الكتاب حملة على الانشقاقات التي وقعت. لأنه بعد مغادرة اليمن إلى القاهرة كانت وجــدت جماعة مرتبطة بنا في القاهرة، منهم السيد عبد الرحمن أبوطالب، وأبناء علــي الوزير، وحسين المقبلي، والجنّاتي. أسماء كثيرة ظهرت وكانت مع الزبيري فانشــقت بمجــرد مــا ســحبت الحكومة المصرية تصريح إصدار "صوت اليمن" وأسكتتنا من صوت العرب. انضموا إلى الإمام أحمد، وتوزعوا في المهاجر ليشنوا حملــة على الزبيري والنعمان. وركزوا الحملة عليّ أكثر من الزبيري باعتبار أن الزبيري غير مسؤول، فأنا المسؤول وهو في رأيهم آلة بيدي.

كان الزبيري يتأثر في تلك الأيام بهذه الحملة. في الوقت الذي كانوا يظهرون أنهم مخلصين له. وقفوا ضدي بدوافع حزبية. وكان على رأسهم محسن العيني الذي كــان محــبوبا لديــنا كأحــب الأبناء وأحب الشباب إلى نفوسنا. وقد أصبح وزير الخارجية ورئيسا للوزراء فيما بعد. وكان من يخترق البعثات بحزب البعث، وكان يوجــد طلاب شيوعيون. فكانوا يريدون أن يكتلونا معهم لنقف مع الشيوعية. لكن

نظرتـــنا كانـــت يمنية، ونقول: اليمن ولا شيء غيرها، والحزبية عندي لا شيء، وليس لها أي محل عندي. أكرهها وأمقتها. لم أتحزب قط. كانوا يأتون إلى الزبيري ويثـــيرونه علـــي. لماذا؟ لأن الزبيري خلال مدة وجودي في السجن، انفرد والتفوا حوله، فلما جئت تنحى عن قيادة الاتحاد اليمني ليجعل نعمان في محل القيادة. ولكن النفس البشرية تغدر، فظلوا يطالبونه ويقدمون له مختلف أشكال التحريض. وكان المصـــريون أيضـــا حريصين على تمزيق المعارضة وتفتيتها. كان الزبيري واثقا بالمصـــريين فـــي حيـــن شككت أنا فيهم بعد أن أوقفوا نشاطنا. كانوا يعرفون أن الزبـــيري بـــريء بـــراءة الطفل. فكانوا يؤثرون عليه من هذه الناحية. وكان دافع الحاقديـــن علـــيّ الطمع، لأن المال في يدي. والحقيقة أن الزبيري كان يعلم حقيقة تعفّفي، وإني وإن حرصت على المال كنت أتضور جوعا أنا وأولادي دون أن تمتد يـــدي إلى المال الذي أعطي لي شخصيا. كنت كالراهب، وكان الناس يشكون من الحالـــة التـــي أتشـــدد بهـــا مع نفسي. كيف أنفق على المطبعة، وكيف أنفق على الصحيفة، وكيف أنفق على الذين يعملون معنا وأنا في هذا الوضع المتقشّف. ولكن كما يقولون:

وســـح دمي في كل خيـــر صنعته إلى الناس ما جربت مبطلة الشكر

فقلـــت كـــيف يدمغ الإنسان وهو يعاني على هذا الحال! فكنت لا أبالي ما دام الزبـــيري لا يـــزال معي. ولا أهتم بالآخرين. ولكن عند ما أثر الضرب على وتر الـــتفريق في بالزبيري، لم يواجهني وإنما كان ينسحب وينطوي. وهنا بدأ الانشقاق بيـــن الأحرار. ولكن لم يعلن الخلاف لكن كان الناس يعلمون أن الزبيري في اتجاه ونعمـــان في اتجاه آخر. وكانت الجناية جناية الطلاب الحزبيين وبخاصة البعثيين الذين سيطروا عليه. كان الزبيري يتأثر من كلمة النقد إنما يشفق بدلا من أن يدمغ بالخـــيانة. أنا لم أكن أقول كذلك، وكنت أقول "من هدأ ضميره نام" لأنني واثق من نفسي. كادت هذه البادرة تعصف بحركة الأحرار الحقيقية الأصلية. وأصبح الطلاب مـــا بين بعثيين وشيوعيين. و قد صورت هذا فيما بعد وأنا في السجن، وكنت بهذا أرثـــي الزبـــيري الذي صرع فيما بعد بين يدي. قلت في ذكراه، بعد عامين على اغتياله، أول إبريل ١٩٦٥، وأنا في السجن:

عامـــان منذ غيل الرفيق أممي | شــلت يـــد الجاني الأثيم الرامي
ما دار في خلدي ولا في خاطري | أنـــــي أراه جـــثة قدّامــــي
ومضـــرجا فـــوق الثري بدمائه | فـــي مـــنظر أدمى فؤادي الدامي
ذكـــراه لا تنفـــك بين جـــوارحي | تحيـــا معي في يقظتي ومنـــامي

إلى أن أقول كيف أن الزبيري قام داعيا في قومه، وأتحدث عنه وعن كفاحه، وكيف دخل السجن. وسردت قصة الأحرار وقصة السجن، إلى أن قلت:

وأئمة من بعد يحيى خمسة | يحيا إمـــام بعد قتل إمـــام

أي أن يحـــيى قـــتل بعد قيام حركة الأحرار، وقام بعده الإمام عبدالله الوزير، وبعـــده قـــام الإمام أحمد، وقام سيف الإسلام عبد الله في ١٩٥٥ وفشل، وقام بعد الإمام أحمد ابنه محمد البدر، وإذا هم خمسة.

وتمـــزق الأحـــرار شـــر ممزق | يتـــبادلون الشـــك بـــالأقلام
وتفـــرقوا شـــيعا فكـــل جماعـــة | ســـبقت إلـــى صنم من الأصنام
فـــبلاد يعـــرب أصـــلها وثنـــية | أوثانهـــا أربـــت علـــى الأغـــنام
والـــيوم بالأحزاب تزخر أرضها | شـــرا مـــن الأنصـــاب والأزلام
فـــي كـــل ناحـــية وكـــل مدينة | وكـــر لحـــزب مفســـد هـــدام
وزعامـــــة ونقابـــــة وقـــــيادة | ومـــنظمات للصـــراع الدامــــي
ومذاهـــب شـــتى لهـــا أسماؤها | ومذاهـــب جـــاءت بغـــير أســـام
فـــي هـــذه الفوضي تمزق شملنا | وبهـــا دخلـــنا بحـــر جهـــل طام
حـــتى غزتنـــا روســـيا بعنينهـــا | وتجـــذبت خـــلفي ومن قـــدامي

هكـــذا قلت إن الأحرار تشتتوا، هذا بعثي، وذاك قومي، وآخر ناصري. يعني أفكار كثيرة. كان الزبيري منفعلا وكانت تثيره هذه الحركات، فكان يحاول مجاملة الطلاب، مجرد تملق عواطف الطلاب، وليس أكثر. فكان يحاول مجاملتهم ويطلب مني أن أجاملهم فأرفض. كنت أرفض أن أجامل أو أن أتعايش مع هؤلاء الظالمين الكافريـــن باليمـــن. منهم من يعبد البعث وبلاده تتدمر، لا يقرأ ولا يكتب عن بلده ولا عن أرضه ويريدني أن أتحمس. قلت لـــه : "أقســـم بالله أنني لن أكون معهم. سأفارقك. اذهب معهم". اتخذت هذا الموقف.

عـرف المصـريون بهـذا الشقاق. وقبل الثورة استغلوا وجودنا وأرادوا أن يجمعـوا شـملنا. فدعونـي أنا والزبيري ومحسن العيني الذي كان يمثل البعثيين، والقاضـي أحمـد المعلمـي وحسـن السحولي، وقالوا: الآن يجب أن نعيد حركة الأحـرار. وكان هذا بعد اختلافهم مع الإمام أحمد. كان رأيي دائما أنه لا يمكن أن تكون هناك حركة عنيفة في اليمن. ومن رأيي أيضا أنه يجب التعاون مع البدر إن لـم يكن تعاونا كليا فليكن لمرحلة، لأن البلاد لا تحتمل العنف أبدا. الإخوة رفضوا الـتعاون لأن المصـريين أرادوا إدخـال البيضـاني لقيادة حركة المعارضة. قال الزبيري: "لا يمكن أن أدخل في مجموعة يكون البيضاني فيها، هذا الجاسوس." لأن البيضاني عميل مصري وجاسوس، ولكنهم كانوا يجعلونه أيضا يتملق الإمام أحمد إلـى درجة تقبيل أقدامه. أخيرا طرده الإمام أحمد، مع أنه هو الذي أعطاه الجواز واعتـبره يمنيا ووظفه ليكون ضد الأحرار. كان جاسوسا. هذه هي مهنته الحقيقة. وفـي الأصل كان جاسوسا للمصريين. وإذا بالمصريين يرشحون البيضاني ليتولى قـيادة الأحـرار، وينشـئ حزب ويذيع من صوت العرب ويكتب في مجلة "روز اليوسـف". بـدأ الزبـيري الآن يـرجع إلي وجاء يستعين بي لأن البيضاني يشتم الأحـرار القدامى من إذاعة صوت العرب. هيّجت هذه الأحاديث الزبيري. فذهبت إليه وقلت لـه : "لما ذا يطلبون البعثيين الذين معك ويشتمونك في الوقت نفسـه ؟ لا يمكـن القـبول بهـذا قط. إني ملتذ بكل ما يطلقونه من شتائم." ظل المصريون يحـتوون الزبـيري ويحاولون فصله عن نعمان، ويقولون نعمان عميل إنكليزي، عميل سعودي، عميل إمامي. لكن الزبيري كان يتهرب، يخاف من النقد ومن النشر جـدا لأنه شاعر ومرهف الحس. لم أكن أقسو عليه ولكن ماذا أعمل؟ أحيانا كنت أكلمـه فيما بيننا وأعتب عليه بقسوة، ولكن لا فائدة من ذلك. أخيرا ماذا يعمل؟ ظل المصريون محتوين للزبيري حتى لا يبتعد عنهم. وحينما رتبوا الأمور في اليمن مع العمـلاء والبيضاني، أوحوا للبيضاني بأن يستعمل الزبيري. فكان البيضاني يتردد على الزبيري ويخبره عن كل حركة تقوم في اليمن ويقول له أنت كذا وكذا. اتضح هـذا عند ما مات الإمام أحمد وظهر البدر على المسرح. أرسلت برقية مني ومن بقية الأخوة عزاء للبدر وتمنيات بأن يأتي العهد الجديد ليكون عهد إخاء لا تعصب. رفـض الزبيري أن يوقع على البرقية مع إنه كان موافقا، مما دلني على أنه يوجد

شـــيء جديــد يرتــب فـــي الخفاء. كنت مبعدا عما يرتبه المصريون وما يحوكه البيضاني. ولكن من المتحمل أن يكون يسرب الأخبار للزبيري.

وقامــت الثورة، وقام الزبيري بجمع الطلاب في مظاهرة إلى السفارة ثم طلب منـــي أن أحضر. فقلت لـــه أبدا، لا يمكن أن أقوم بأية مظاهرة. أعلنت التشكيلات والأســماء والوزارات وظهر البيضاني وزيرا للاقتصاد والزبيري وزيرا للمعارف واستبعد نعمان. كان الناس معبئين ضد نعمان في أوساط الطلاب. وكان هناك في داخــل اليمـــن وخارجهـــا وجهات شتي تطلب العدالة. الكثير من الأصدقاء الذين يعرفونني حق المعرفة تألموا وتساءلوا لما ذا لم يظهر نعمان على المسرح. رفض الزبـــيري قـــبول وزارة المعارف ما لم يكن نعمان مشاركا، ورفض أن يعود إلى اليمـــن إلا برفقتي. هنا بدأ موقفه يتغير. فكيف يعود البيضاني ويبقى نعمان، رفيق دربـــه لثلاثيـــن ســـنة، خارج اليمن. عند ما رأيت أن الزبيري مصر على موقفه والمصريون لا يقبلون بدخولي، ألححت عليه وقلت له: "لا يفيدني بقاءك في مصر. المهم أن تبقى اليمن لأبناء اليمن. ارجع من أجل أن لا يذهب هذا ويؤثر على عقول الآخرين. أرجع معه. اقنعت الزبيري بالعودة. قال: "سأعود ولكن مرغما." قلت له: "عــد مـــن أجلـــي وحقق أمري هناك." خرجنا لتوديعه في المطار، وإذا بنا نرى البيضـــاني وقـــد خرج أنور السادات لتوديعه في صالة كبار الزوار، في حين كان الزبيري جالسا في غرفة الانتظار على الكراسي المقطعة. ودعناه وعانقنا. لم يسلم على البيضاني. وهكذا تركناه ورجعنا.

عـــاد إلـــى اليمـــن وبدأ يثير الموضوع ويبرق لي طالبا العودة فرفضنا لأن المصريين يرفضون عودتي، ولأنه لا يوجد عندي أية بواعث لنستبين الأمر. كان الموقـــف غامضـــا. وكنا نعرف أن هناك مؤامرات ودسائس. ظل الزبيري داخل اليمـــن. وفيما بعد كان إذا زار القاهرة نلتقي، ولكن لماذا يتعايش معهم دون تغيير. بدأ هو يعمل، ولكن كان هناك قوة قاهرة. وعقد مؤتمر جرد البيضاني من الجنسية اليمنية، وطلبوا من المصريين أن لا يعود إلى اليمن بأي حال من الأحوال. وقالوا الآن لا بـــد من استرجاع الإخوة، فالتقينا مع الزبيري فيما بعد وكان لقاءنا الأخير. وعادت تلك العلاقات الأصلية الأخوية في آخر حياته.

(نهاية الوجه الثاني من الشريط الخامس)

(بداية الوجه الأول من الشريط السادس)

ظهرت بعد سنة ١٩٤٨ صحيفة "السلام" للشيخ عبد الله علي الحكيمي. والشيخ الحكيمي هو من أستقبل الأحرار عند هربهم إلى عدن لتأسيس المعارضة. وقد كان شيخ طريقة صوفية، هي الطريقة العلاّوية نسبة إلى الشيخ أحمد العلاّوي، من الجزائر. وكان يرأس المهاجرين في كارديف وأسس جمعية إسلامية ومدرسة إسلامية. وكان قد عاد إلى اليمن لأنه من بلاد الأحكوم، وينتسب إليها (الحكيمي). والأحكوم منطقة من قضاء الحجرية. وقد رحب بنا في عدن وأيد قضية الأحرار وآواهم. وبعد فشل قضية الأحرار في ١٩٤٨ تصدر هو لإصدار جريدة السلام، وكان يصدرها من بريطانيا امتدادا لحركة الأحرار. فالتف حوله مجموعة من الناس وكونوا الاتحاد اليمني فتولى رئآسته، بينما كان له فرع في القاهرة برئأسة الزبيري، حينما كنا في السجن. وقد عمل الاتحاد اليمني لجمع منظمات الأحرار. لكن حدث نوع من الانشقاق، وساءت علاقتهم بالزبيري في مصر. ويكاد سبب الانشقاق أن يكون الانقسام الطائفي بين الزيدية والشافعية. فالزبيري يعتبر زيدي والحكيمي شافعي ولم يكن بينه وبين الزبيري ما بيننا. فبدأ من هناك انقسام الأحرار. ووجد في عدن انشقاق على الحكيمي تصدر له شعلان والأسودي باعتبار أنهما مع الزبيري، ويريدان الصدارة لنفسيهما، وتجار بعضهم مع بعض. مات الحكيمي رحمه الله، بعد أن حدث شيء من الخلاف لكن لم يكن خلافا حادا. فتصدر الأسودي وشعلان لقيادة لاتحاد اليمني، وهما تاجران في عدن. وخفتت حركة الأحرار. ثم خرجت إلى القاهرة والتقيت بالزبيري، ودخل الطلاب في مذاهب جديدة بحيث أصبحت فكرة الأحرار خرافة عندهم وعقلية سخيفة.

بقي الأسودي وشعلان يركزان على معارضة نعمان تماما، فارتبطا بالبيضاني من عدن مباشرة (يوجد انقطاع في الشريط). وأصدر عبد الله عبدالوهاب، ابن عمي، ووالده ممن استشهدوا في حجة سنة ١٩٤٨، جريدة سماها "الفضول". وكانت الجريدة تتسم بالسخرية اللاذعة من الحكم، بأسلوب أدبي قوي.

ظـل يصـدرها في عدن بعد تشتت الأحرار ولم يرتبط بأية منظمة سياسية. كانت صحيفة يتحدث فيها عن مظالم اليمن وما يحدث فيها من مشاكل. وهو من التلاميذ الذين درسوا على يدي في مدرسة الحجرية التي أسستها، وممن كان معنا حينما كنا ندعو لولي العهد أحمد لكي نتقي به خطر علي الوزير. فقد قام ذات يوم بعد صلاة الجمعـة يلقي خطبة على الناس، كنت قد اعددتها، تشيد بولي العهد سيف الإسلام أحمد، وأنه الرجل المهيأ للمستقبل، وأنه الرجل المنتظر، وأنه أصدر قرارات بمنع التـنافذ والخطـاط عـن الرعية، وأنه سيخفف الضرائب وغير ذلك. أحدثت هذه الخطبة صدمة في نفس الحاكم المسؤول في تلك المنطقة. فوجئ بسماع الحديث عن مـثل هذه القرارات. وخرج من صلاة الجمعة بعد سماع هذه الخطبة يسأل من أين جـاءت الأوامـر؟ هـذا ما خلق إثارة وانزعاج عند العسكر، لأنهم لن يستطيعوا اختلاس المواطنين، وأن التنافيذ ستلغى. فما ذا يعمل هذا الحاكم؟ ضاعف من تنفيذ العسكر وإرسالهم إلى الأهالي.

ظـل عـبدالله عبدالوهاب يصدر الصحيفة في عدن. ثم واجه مضايقات من الآخرين. أخذ انشقاق الأحرار أشكالا متعددة حتى ضاعت قضية الأحرار وفكرتهم. وجـاء هذا الموكب الجديد ممن يرفعون شعارات اشتراكية وحرية ووحدة وغيرها من الشعارات الجديدة الأخرى وكل شيء إلا ما يتعلق بالمشكلة الحقيقية وهي اليمن وكـيف يمكن تحريرها من التخلف. كيف تتطور. وهذا ما كان الأحرار قد وصلوا إلـيه في سعيهم لحل مشكلة اليمن. كانوا ينتظرون من الآخرين أن يساعدوهم على حـل مشاكلهم! وجاء هؤلاء ليغرقوا في مشاكلهم وينسوا مشاكلنا. فتلاشى الأحرار تلاشيا عجيبا بسبب الخصومات التي كانت تتخذ على أنها حول القضية الوطنية في حين أنها منبعثة عن عصبية قبيلة قديمة، تأتي لتتخذ شكل الخلاف من أجل القضية الوطنـية. والواقع أن جذورها جذور قبلية. مثلا أنا كنت في ذبحان، ويوجد طلبة يدرسون من شرجب، وكانت توجد خلافات بين قبيلة ذبحان وشرجب. جاء الخلاف يحمـل علـي بدون سبب، بل بسبب الرواسب القبلية الموجودة. كذلك كان يحدث الخلاف بين البعثيين. فكان الطلبة الشافعيون يميلون للأفكار اليسارية باعتبار أنهم مضـطهدين مـن الزيود، والزيود أكثرهم بعثيون، يميلون للبعثيين وعلى رأسهم

محسن العيني. وكانوا حينما يتصارعون ويدمغون الشافعيين بأنهم شيوعيون، يرد الطالب ويقول أنت ضدي لأنني شافعي وليس شيوعي. فيرد عليه: أنت تقول بنفسك إنك شافعي وليس شيوعي، فيرد آخر وأنت تغطي زيديتك باسم البعث. كانت هذه أيضا مما جاء به الجيل الجديد لليمن الذي لا يزال متخلفا يبحث عن تحقيق وجوده كإنسان قبل أن يصل إلى مرحلة الخلاف على الأفكار الشيوعية والبعثية واليسارية.

كذلك من الأحرار الذين لهم أثر يذكر في القضية، السيد عباس ابن أحمد باشا، وهو من الأسر الكبيرة في اليمن، في تعز، أسرة كانت دائما تحكم منطقة تعز. بدأت العلاقة بيني وبينه على أساس أنني أجيد اللغة العربية والنحو وقواعده وهو متخلف فيها، فظل يأخذ عني دروس في هذا. ثم كانت العلاقات بين الآباء علاقات صداقة. فبدأت الوشائب الفكرية من ناحية العلوم والأدب ثم تطورت إلى العلاقات المتصلة بالقضية الوطنية. بعد سفرنا إلى عدن أنا والزبيري، اعتقل هو أيضا بسب أنه كان معنا ودخل السجن من أجل هذه القضية، وأنه كان دائما ضد الوضع القائم.

وأحمد البرّاق خرج مع سيف الحق إبراهيم وكان سكرتيره عند ما خرج إلى عدن، وكان يحاول أن يؤثر على سيف الحق إبراهيم، ويقول له أنت زعيم الأحرار ولكن كل شيء في يد نعمان، ونحن لا نعرف من هم هؤلاء الأحرار، ولا من الذي يمول هذه القضية، وكم من المال دفع لهذه القضية. لنفرض أنهم اغتالوا نعمان وأنت زعيم الأحرار؟ وحملوا على الزبيري والزبيري صامت ويصر على أنه لا يعرف أي شيء. وجاءني الزبيري ذات يوم إلى المطبعة وقال: "إن الأمير اليوم غضبان والبرّاق غاضب والإخوة جميعا غاضبون لأنهم يريدون أن يعرفوا من هم الذين يسندون هذه القضية. يريدون أن يطلعوا على أسرارها وماهيتها. وأنا موافق معهم على هذا. وقد يرسل الأمير سيف الحق إبراهيم الآن في طلبك. وكنت دائما منشغلا في المطبعة من أجل التصحيح والإشراف على الرسائل إلى المهاجرين اليمنيين. كنت أتولى كل هذه الأمور، أكتب لهم وأستلم الردود منهم. وكانت الرسائل والردود موجودة وحفظت إلى الآن. دعاني مرة الأمير وكان يوجد هناك أيضا محمد عبد الله الفسيل، من الأحرار. وهذا كان ممن يحرضون ضدي. فدخلت

إلـــى عند الأمير إبراهيم والفسيّل عنده، فطلبت منه الخروج قائلا: "من فضلك، لي كـــلام خاص مع الأمير." وظل الأمير يناقشني ويقول لي: "نحن نخشى أن يجرى عليك شيء. ونحن لا نعرف شيء عن القضية وعن أسماء أعضائها، ومن هم حتى نتعرف عليهم، وما هو لقب زعيم الأحرار ومن يدعمهم؟" قلت له: "هل تثق بي أم لا؟". قـــال: "نعم أثق." قلت: "فإذا كانت الثقة قائمة بيننا لن يحدث شيء. هناك من يخشـــون أن يتســـرب خـــبر بأنهم يساعدون الحركة فيقضى عليهم أو يعاقبون أو يـــتعرّض أهاليهم للمضايقة داخل اليمن. لهذه الأسباب لا نحب التكلم. ولكن ما هو الـــذي ينقصـــكم. القضـــية تمشي، الصحيفة تصدر في مواعيدها، الإخوة يقبضون نفقـــاتهم جمـــيعا. لا يوجـــد ما يدعو لأي شيء من هذا." قال: "والزبيري؟". قلت: "الزبيري لا يعلم شيئا." قال: "وفلان، لماذا لا يعرف؟" قلت له: "لأنه مرتزق." قال: "طيب، وأنا؟". قلت: "لأني أمثلك وأنا أظن أن الثقة بيني وبينك، إنما أعتقد أنك تشك فـــيّ لأنهم هم الذين لا يثقون بي. لكن ما بيني وبينك ثقة قائمة وكل شيء يمشي، حيـــنما يحصل أي نقص، أنا برئ من ذلك". بعد أن خرجت، أتي البراق والفسيل يريدون أن يروا ماذا حدث، لكن لم يحدث شيء قط.

س ـــ أكان الزبيري يعرف؟

ج ـــ نعـــم. كان الزبيري يعرف كل شيء، ولكن كان يتظاهر بأنه لا يعرف شـــيئا. وكـــان هـــناك أيضا أحمد الحورش ومحيى الدين العنسي مع محمد صالح المســـمري يصـــدرون جريدة "الصداقة" التي كنا نمولها نحن من عدن وتصدر في القاهرة. هؤلاء الثلاثة استشهدوا سنة ١٩٤٨، وكنا سوية في غرفة واحدة. دعوهم للإعدام في يوم واحد، حتى أن السياف الذي يقطع الرؤوس لم يكن متواجدا في ذلك اليوم، فظلوا ينتظرون، وهم يبحثون عن سياف ليقطع رؤوسهم. فلما خرجوا كانوا كأنهم خارجين إلى الجنة، لماذا؟ لأن العقيدة مسيطرة عندهم بأنهم يموتون من أجل بلادهـــم. كـــان الواحـــد يخرج ليضرب عنقه، يشد بخشبة إلى الوراء ثم يضرب بالسيف في العنق، ومع كل ذلك كانوا يخرجون مستبسلين، يودعوننا ويقولون إلى اللقـــاء، نلتقـــي فـــي رحمة الله. وكان منهم أحمد حسن الحورش، ومحيى الدين العنسي، وأحمد البراق الذي كان مع سيف الحق إبراهيم، وعبد الله أبو رأس، من

مشـــائخ قبائل اليمن، أعدموا سنة ١٩٤٨، وكان أبو راس قد خرج إلى عدن ورجع مـــع الأوليـــن، مع مطيع دماج باعتبار أنهم مشائخ قبائل. فظلوا ناقمين علي لزمن لأنـــي أعتـــبر مـــن مشائخ القبائل، فكيف أضع نفسي في صف رجال الفكر وأقود حـــركة الفكـــر. لكـــنهم يغفلون أن الإنسان انفصل عن أسرته القبلية وتثقف. فكان المفكرون ينقمون علي وينافسونني من الناحية الفكرية، والقبائل من الناحية القبلية، لأنـــي أيضا انتمى إلى عصبية وهي قبيلة الحجرية، وانتمي أيضا إلى رجال الفكر وهـــي عصبية فكرية..فكانت توجد عوامل تجمع سخط الآخرين. وإلى جانب هذا كانوا يتوهمون أيضا من الناحية المالية، وناحية المال حساسة، يعتقدون أيضا أنني أسـيطر على كنز سـليمان ، وكيف استطيع أن أحصـل على مال من الآخـرين ولا أعطـيهم هـذا المـال. وصـمت دائما بهذه الوصمة وشنت الحملة علي بين المهاجرين. حتى حينما حملوا عليّ في صنعاء في الأيام الأخيرة وأنا هنا في لبنان فـــي أواخر الستينات. قالوا إنني أخذت أموال المهاجرين، وإنني أستاذ البدر، وإن البد من أطلق علي لقب أستاذ. أو أن الإمام أحمد من لقبني بلقب أستاذ. فكانت هذه مـــن العوامل المثيرة لعناصر كثيرة. لأن المهاجرين لا يثقون إلا بي ولا يستمعون إلا لـــي. وفـــي الواقـــع حينما ينكشف الأمر على حقيقته سيتضح أن لي علاقات شخصية بكثير من المهاجرين ، حتى أن القضـــية لم تحصل على مال لمســـاندتها إلا ببواعث شخصية وصداقة شخصية. كان يوجد معنا أيضا عبده الدحان، وهو من الذيـــن كانوا في عدن، كان صاحب مطعم. ولكن عند ما جاءت قضيةالأحرار ترك المطعـــم وجند نفسه من أجل قضية الأحرار. والذين كانت تطاردهم سلطات اليمن يهربون إلى عدن فيسعى الدحان لتأمين حياتهم. لهذا يقول الموشكي:

ودحان ناقشه عن أصله فإن به نزعة من عمـــر

أي مـــن حيث شجاعته وبطولته. وقد سجن معنا أيضا، حتى أنه عند ما سجن في حجة وحمل القيود وهو غير متعود على القيود ولا على الحركة وهو مقيد، ظل يلعن الإمام وأبو الإمام، فخاف السجانون من أن يجني على نفسه بهذا السب فجاءوا ليســكتوه. والمســـجونون أيضـــا خافوا من أن يسبب لهم المشاكل. فتوقوا خطره بمدارته ليصدوه عن هذا الكلام. قالوا له: هذا هو الإمام الهادي. قال لهم: "لعنة الله

علـــى الإمام الهادي والمهدي أيضا." وظل في السجن أياما ثم خرج للتخلص منه. الحاج محمد سلام حاجب كذلك إنسان احتفى بالقضية احتفاء كبيرا وكان مقيما في عـــدن. وعبد الله عثمان، وأحمد عبده ناشر، في الحبشة، وهو من الأشخاص الذين جاءت الثورة وتجاهلتهم. لم تنشر عنهم حتى خبر، وهو من الأحرار القدامى.

ونائـــب حجـــة عبد الملك المتوكل، كان المسؤول الذي ينوب عن الإمام في حجة. حينما بدأ الإمام يفرج عنا طلب مني أن أعطي أبناءه دروسا. وكان يسمح لي بأن أخرج في النهار تحت رقابة جندي وأعود في الليل. فكان في هذه الفترة يطلب منـــي أن أعلّـــم أولاده. وكـــان يأنس بالرسائل التي أرسلها للإمام ويقرأها قبل أن ترسل، تمر عن طريقه فيستشف منها بأنه يوجد هناك روح الإخلاص ويتفاءل بأنه لا بـــد من الإفراج عن المحكومين. فتثبّتت العلاقة. وكان لهذه العلاقة أثر كبير في اســـترجاع عواطـــف الإمام إلى حد كبير. وكان هذا النائب شيخا في السبعين من عمـــره، ولكـــن كـــان يتمتّع بذكاء مفرط. وظل أولاده في صحبتنا يقرءون الأدب والتاريخ والجغرافيا، ويتعلمون الخط والحساب. لأن هذه العلوم كانت تنقص اليمن. تواصلت العلاقة بيني وبينه إلى أن غادرنا السجن. وقد كان من شفعائي عند الإمام. وكـــان أولاده يبعـــثون الكتب إلى المساجين. هذه كانت سنة أطلقت من بعده. من حسن علاقتهم بالمساجين أنهم كانوا يمدونهم بالكتب، ويأمرون السجانين بالتخفيف عنهم. يطلبون من أبيهم أن يعطيهم نوعا من المساعدات. ولما جاءت الثورة ذبحت أكـــبرهم وهو حمود بن عبد الملك، وأخوهم الثاني تشرد ولم يرجع إلى الآن (عاد في أواخر الستينات). وصودرت أموالهم وأملاكهم، لماذا؟ لأن الثورة جاءت بطغمة مشـــبوهة مـــن الخـــارج لتمحو معالم الحركة اليمنية ولتقول إنها هي التي خلقت الحـــركة، وإنهم عملوا كل شيء، وأن هؤلاء اليمنيين لا يعرفون فكرا، وليس لهم مـــاض، ولـــيس فيهم أحد إلا من يوم جاءوا هم ليتفضلوا عليهم بالفكر وبالنهضة. كانوا يطمسون كل شيء لتبرير احتلالهم لليمن. فهذا نائب حجة ممن قدموا مساعدة كبيرة للأحرار، وإذا بأبنائه يجدون المكافأة بهذا الشكل.

وســـوف نـــتكلم الآن عن المهاجرين اليمنيين وعن مساعدتهم للأحرار. كانت معارضة الحكم الإمامي من الداخل مستحيلة، إذ كان مستحيلا أن يعترض أحد على

الحكـــام في الداخل، لأن في وعي النـــاس من التعـــاليم الدينيـــة أن الحاكم يطاع ولا يخـــالف، لقول النبي: "اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة." ويفسّر الفقهاء الآية: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم." بأن طاعـــة الأمير من طاعة الله ورسوله، لأنه يمثل الشريعة ويمثل التعاليم السماوية، باعتبار أن الحاكم خليفة النبي. ولهذا يسمّون الخلفاء. وكان النبي دائما لا يصدر في أحكامه إلا عن السماء. والمفروض من الخلفاء أن يكونوا متقمصين روح الشريعة وأن لا يخرجوا عنها. لهذا لا ينبغي أن يعترض عليهم أحد. وحتى الخروج عليهم غير جائز:

ولم يجز في غير محض الكفر   خروجنـــا عـــلى ولي الأمـــر

لا يخرج المسلم عن طاعة أميره إلا إذا كفر كفرا صريحا. وأما الظلم أو نحوه فـــإن الله سينصـــف المظلـــوم. وهكـــذا كانت المعارضة على هذا النحو في اليمن مستحيلة دينيا. لهذا تبادر إلى ذهننا بعد أن كان كل من أتهم بمعارضة مجرد اتهام تنزل به عقوبة السجن والجلد ونحو هذا، أنه لا مجال إلا في الخارج. لكن على من نعـــتمد فـــي الخـــارج؟ على المهاجرين اليمنيين. لأن أكثر اليمنيين مهاجرون في الخـــارج للعمـــل، وبخاصـــة في الدول القريبة من اليمن مثل بريطانيا في الجنوب وفرنســـا في ميناء جيبوتي بالقرب من البحر الأحمر. وأقرب مهجر لليمنيين عدن. وعـــدن تكاد تكون جزء من اليمن، بل هي قطعة من اليمن في جنوبها، والمسافات بيـــن اليمـــن وبيـــنها ميسورة. كانت هاتان الدولتان تستقبلان المهاجرين. وكانوا يعطونهـــم الأجر المغري بالنسبة لحاجة اليمني. كانوا عمالا في البواخر، وينقلون للعمـــل في بريطانيا وفرنسا، فوجد منهم عشرات الألوف في مرسيليا، وفي بردو، فـــي فرنســـا، وفي بريطانيا في كارديف وبرمنجهام. وكانت بريطانيا مهجر كبير. يوجـــد في هذه المهاجر اليمنية عشرات الألوف. كذلك في عصب، وهو مينا على الـــبحر الأحمر، وفي مقديشو. وكانت إيطاليا تسيطر على هذه المناطق. وكان في الســـودان جالية كبيرة. وكل هؤلاء كانوا يخرجون لطلب المعيشة وفرارا من الظلم النازل عليهم. فيخرجون ويكتسبون ويعودون إلى أهاليهم بالنفقات.

وكـــان ممـــا يشغل بالنا أن أبناء اليمن سينزحون إلى الخارج وتصبح البلاد خرابا. فما هي أسباب الهجرة؟ وأذكر أن أول ما كتبته سنة ١٩٣٨ وأنا في مصر رســـالة طبعــت ووزعت بعنوان "الأنة الأولى: أبناء اليمن في مهاجرهم يشرحون أسباب الهجرة لولي العهد المحبوب سيف الإسلام أحمد"، وكان الإمام يحيى لا يزال يحكــم. وكنا ندمغ الحكام الذين هم دون الإمام ودون أبنائه من نوابهم في المناطق المختلفة بأنهم هم الذين يرتكبون هذه المظالم، وأما الإمام فبعيد من هذا. كانت هذه الرسالة تحمل الشكوى من هؤلاء، ماذا صنعوا باليمنيين حتى حملوهم على الخروج مــن ديارهم سعيا وراء الرزق وفرارا من الظلم. وشرحنا الأسباب: منها التنافيذ، ومــنها الخطاط، ومنها زيادة الضرائب. هذه الأسباب جعلتنا نضرب على وتيرتها لإثـــارة السخط على الحكم القائم. وقد وجدنا أن المهاجرين هم العنصر الذي يمكن أن يعتمد عليهم لتمويل الحركة، أما الذين في الداخل فلا يطمع من أحد أن يقدم مالا مــن أجــل دعــم الحركة، لأن الذين في الداخل ينتظرون مساعدات من الذين في الخارج. حتى أن بعضهم حينما أرسلت إليهم صحيفة "صوت اليمن"، كان يقول ماذا يعطونـــنا من أجر على قراءتها، بدلا من أن نأخذ منهم اشتراك. غير أن هناك قلة قلـــيلة ساعدت القضية. وقد ذكرت لكم جازم الحروي في السابق. ولعله أبرز يمني مــن الداخــل كـــان يساعد هذه الحركة. ومن الممكن أن يكون اليمني الوحيد في الداخــل. كـــان بعض الأشخاص والمستنيرون يقدمون مساعدات بسيطة ويقدرون ظروفــنا فـــي الحركة ، أي أن اليمنيين لم يكن لديهم الوعي الوطني ، فكنا عند ما نطلــب مــنهم مســاعدة كالذي يستجدي استجداء . نقول لهم قدموا مساعدة لنأكل ونشــرب. لأن اليمني خرج وهو جاهل لا يسمع بما يجري في العالم من نهضة ، ولا بالحركات التحررية. حتى أنه يعمل ببناء هذه الحضارة ويعيشها ولكن لا يفكر في أمرها أبدا، بل قد يكون نافرا منها، يعيش الحضارة وهو مستوحش. لأنه لم يكن لديـــه استعداد عقلي لفهم هذه الأشياء. كان معنا من المهاجرين في عدن مجموعة تكـــاد تعد أسماءها، مثل: محمد سلام حاجب، والحاج عبد الله عثمان، ومحمد علي الأسودي، هؤلاء في عدن. وكان معنا في شرقي أفريقيا شاهر عبد الرحمن وناشر عــبد الرحمـــن. وفي جيبوتي محمد أحمد شعلان، وفي أديس أبابا في الحبشة كان

يوجـد أحمـد عـبده ناشر، وهو يعتبر من أعلام المكافحين، ولا يزال حتى الآن مهاجـرا في أديس أبابا. كان ممن يساعد الحركة بأن يأخذ مساعدات من أفراد من اليمنييـن مـن أجـل صحيفة "صوت اليمن" ومن أجل المطبعة ومن أجل العاملين عليها. كذلك في السودان كان يوجد جماعة. وفي بريطانيا كان يوجد الشيخ عبد الله علـي الحكيمـي ويوجد بجانبه شباب من أبناء شمير، ومن أبناء صبر، ومن أبناء النادرة. وفي أميركا، كان يوجد جماعات.

س ـ كيف انتشروا هكذا؟

ج ـ الذي ييسر لهم الخروج أنهم في عدن يأخذون جوازات إنجليزية. يوجد فـي عـدن من يسمون وكلاء البحارة. وهؤلاء الوكلاء ييسرون السفر لليمني إذا وصـل إلـى عـدن، يعـدون له شهادة بأنه من أبناء الجنوب، ويعطون له جوازا إنجليزيا، يسافر بهذا الجواز في العالم حيثما يريد، أما للعمل بحارا وأما عاملا في مصنع، أو في أية مهنة من المهن. وكان السفر إلى فرنسا من جيبوتي أيضا. كان الشـخص يحصل على الجنسية الفرنسية ويصبح عاملا. كانوا يرغبون في هؤلاء اليمنيين لأنهم عمال نشيطون من جهة، ومن جهة أخرى لأجل أجورهم المنخفضة. ثم إنهم لا يسببون المتاعب ولا يطالبون بما يطالب به العامل في وطنه من حقوق أو غير ذلك، لأنهم لا يفهمون شيئا غير العمل. فكان هؤلاء المهاجرون دائما المادة التـي نثير من خلالها النقد على الحكام الذين شردوا اليمنيين وجعلوهم مشتتين في المهاجـر وبلادهم أحوج إليهم. وبجانب هذا أيضا كانت الحركة تستعين ببعض من هؤلاء، في النادر وبقلة.

ظـل النشاط مع هؤلاء دائما. وكانت عدن المركز الرئيسي. وتكاد عدن أن تكون همزة وصل بين اليمن واليمنيين الذين في الخارج، فوكلاء البحارة موجودون فـي عدن، ولكل منطقة من مناطق اليمن وكلاء في عدن يستلمون التحويلات من المهاجريـن ويوصـلونها إلى أهاليهم في الداخل. وقد يشتري الأهالي في الداخل أرضـا للأشـخاص المهاجرين منهم، وقد يبنون بيوتا من الأموال التي تأتيهم، ثم يدفعون الضرائب للحكومة لأنهم لا يستطيعون سداد ما تطالبهم به الحكومة أحيانا.

فهــؤلاء المهاجــرون هم الذين أردنا أن ننشر الوعي بينهم وأن نتعاون معهم. كنا نصدر الصحيفة من عدن، وكانت الصحف تأتي من مصر إلينا وترسل عن طريقنا إلـــى عناويـــن الأشخاص الذين يتولون التوزيع بعدد معين. يتعاون معنا مثلا في الألـــف خمسة أشخاص من هؤلاء المهاجرين. لكن الذين حاربونا فيما بعد اعتقدوا أن كل المهاجرين يدفعون الأموال لنا على الرغم من أننا سجنا في حجة سبع سنين، وتولـــى الحركة أناس آخرون من بعدنا، فلم يحصلوا على شيء. وبعد خروجنا من الســجن بعــد هــذه المدة بدأنا نتصل من جديد بهؤلاء الأشخاص، إذ كانت الثقة موجــودة. كان الخصوم ينالون منا ويريدون أن يشككوا فينا، مما اضطرنا إلى أن نصــدر بــيانا أنـــا والزبيري من القاهرة إلى جميع اليمنيين في المهجر. "بما أننا ممنوعون من النشاط السياسي، ولم تعد صحيفة صوت اليمن تصدر، ولأننا لا نقوم بـــأي نشـــاط، فإننا نطلب إليكم أن لا تبعثوا بأي شيء، لا باشتراك ولا بمساهمة." وعلى الرغم من هذا اعتبر الخصوم أن هذه حيلة أخرى. ولكن الحقيقة أن الإنسان راض كـــل الرضى بأن يتمتع بثقة المواطنين الذي تعامل معهم والذين يعرفهم حق المعرفة. فهؤلاء المهاجرون كانوا عونا للحركة.

يضـــاف إلـــيهم أن أبناء الجنوب، من عدن وحضرموت والمحميات، رحبوا بحـــركة الأحـــرار اليمنيين ترحيبا حارا. وكان عندهم شعور بأن الجنوب جزء لا يـــتجزأ من اليمن، وأنهم يريدون أن يتغير الحكم في اليمن ليصبح أبناء اليمن كلهم شـــعب واحد. كان الحكم في اليمن هو السبب الذي يحملهم على البقاء تحت حماية الإنجليز. فكان في عدن آل لقمان وعلى رأسهم محمد علي لقمان، صاحب صحيفة "فـــتاة الجزيرة"، وآل الأصنج، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد محمد سعيد وعبد المجيد الأصنج، والد عبد الله الأصنج الذي كان يرأس جبهة التحرير في الجنوب. أحدثت هاتان الأسرتان نهضة أدبية في عدن. وهناك أيضا آل الجفري وآل خليفة، وكثير من الأسر في عدن. رحبت كلها بنا حينما نزحنا إلى هناك وأنزلتنا من أنفسها منزلا كبيرا، وتعاونت معنا إلى حد كبير أكثر مما تعاون معنا أبناء الشمال. وكان لهؤلاء هـــدف، حيـــنما تتحرر اليمن من الظلم يكونون هم من أبنائها ومن العاملين فيها. وكان يتوفر في عدن الحرية وتأثير الحضارة الغربية. فيها المدارس وفيها الصحافة

والمطابع. فكانت تعتبر بالنسبة لليمن كأنها باريس، يلجأ إليها المفكر والكاتب، ويجد العامل العمل، البعض يبني والبعض يتّجر. واليمنيون نشيطون إلى حد كبير.

وكـــان العامل الثالث من عناصر القوة التعلق بالعرب في الخارج. فقد كانت الدعايـــة العربية والصحافة العربية مما اجتذبنا أيام هجرتنا. وكنا نعتقد أننا سنلقى منهم عونا كبيرا. وفعلا، تعاون معنا الإخوان المسلمون، إذ كانت لهم فكرة صادقة يـــريدون نشـــرها بحق، وكانوا متعاطفين مع الشعوب وغير راضين عن أساليب الحكـــام. هـــؤلاء تعـــاونوا مع حركتنا وكانوا يعملون لنشرها في صحفهم، وجاء مدرســـون إلى اليمن من الإخوان المسلمين، كانوا يبثون الروح الوطنية ويساعدون حـــتى بالمـــال من أجل حركة الأحرار. يأخذون من رواتبهم ويمدون به الأحرار. وأذكر أن اثنين منهم جاءوا إلى تعز، وتعز أقرب مدينة إلى عدن، فلما خرجوا إلينا وكانوا يلمسون الوضع والحكم المتخلف، كانوا يقولون نحن نريد أن تنشئوا صندوقا لليمنييـــن الذين يخرجون ويضايقهم الحكم في الداخل ليجدوا القوت حتى يتيسر لهم عمـــل. يـــتولى الصندوق مساعدتهم وسنساهم نحن في هذا الصندوق. فكان هؤلاء أيضا من العناصـــر الذين نعتمد عليها : المهاجـــرون ثم أبناء عدن والمحميات ، ثـــم بعض العناصـــر العربية وبخاصة من الإخوان المســـلمين. وكان هناك أيضا أبو الحسن محمد علي الطاهر، بحكم العلاقات السابقة بيننا، يعمل لمساعدة اليمنيين المرتبطين بنا في القاهرة. وكان في القاهرة جماعة مرتبطين بحركة الأحرار، وهم المسمري والحورش وسلام فارع ويحيى زبارة. لم تكن هذه الحركة في تلك الأيام تعـــرف إلا اليمن وقضية اليمن ومشكلة اليمن، ولا تهتم بغيرها. لم تكن قد وجدت النزعات أو التيارات الجديدة. وقد تعرّض الإخوان المسلمون أيضا لنوع من العقاب بســـبب ارتباطهم بحركة الأحرار اليمنيين. وكان همزة الوصل بيننا وبينهم الفضيل الورتلانـــي، وهو من الجزائر. كان قد طرد من فرنسا لأنه كان يحرّض من أجل الـــثورة فـــي الجزائر. وكان قد جاء من فرنسا إلى مصر وحاول أن يلتحق بكلية أصـــول الدين بالأزهر إلى جانب نشاطه السياسي للاتصال بالأحزاب والجمعيات والمـــنظمات فـــي مصر. وكان عنصرا نشيطا إلى حد كبير ومن كبار المفكرين. بدأت أتعرف عليه وأنا عند الأمير شكيب أرسلان أساعده في كتابة رسائله، يمليها

علي غيبا: رسائل للملوك، ورسائل للحكام، ورسائل إلى سوريا، يحاول أن يحرك العـــالم العربي. وهو من الرواد الأوائل في النهضة العربية. وكان من دعاة الوحدة العربـــية. جاء الفضيل الورتلاني إلى الأمير شكيب أرسلان وطلب منه أن يساعده برسالة توصية إلى شيخ الأزهر لكي يقبلوه طالبا في الأزهر في كلية أصول الدين لإعطائـــه مـــبررا للبقاء في مصر. فكتب شكيب أرسلان رسالة إلى شيخ الأزهر وأثـــنى علـــى الورتلاني قائلا إنه من المجاهدين الذين نفتهم فرنسا. وهكذا بدأت أتعـــرف علـــيه خـــلال تردده على الأمير شكيب، وبدأت الصلة بيني وبينه دائما بمناقشـــة أمور تتعلق باليمن وبشجونها وبالاتصال بها. وكان هو من العوامل التي دفعـــت حركة الأحرار لأن تتحولوا من مرحلة المعارضة الكلامية إلى المعارضة الثورية. وقد جاء إلى عدن من القاهرة ليمثل في الظاهر شركة الباصات التي كان يملكهـــا شخص في مصر اسمه محمد سالم. ولما مرّ إلى عدن وتعرف على بعض اليمنيـــن وتـــبادل معنا الرأي دخل إلى تعز وقابل سيف الإسلام أحمد ولي العهد، فاســـتقبلوه واحتفوا به وأعجبوا بآرائه، وقدم لهم مشاريع من أجل النهوض باليمن وإصلاح اليمن، ثم سار إلى أن وصل إلى صنعاء وقابل الإمام يحيى. ولكنه كان يـــرى أن هـــؤلاء الحكام قد جمدوا على أسلوب لا يمكن أن يتحولوا عنه. وكان غـــيورا جـــدا وهو يرى أن اليمن برخائه، بخصويته، بمياهه، بأراضيه الزراعية الهائلـــة، وبالخيرات التي فيه والتي يمكن أن تتسع يستطيع أن يوفر العيش برخاء لثلاثيـــن ملـــيونا. إذ كـــان للورتلاني دراسات اقتصادية أيضا. وكان يمر ببعض المـــناطق التـــي تفيض المياه فيها دون أن يجري الانتفاع بها. وسيول تنحدر من الجبال المختلفة. فكان هذا يثير في نفسه التساؤل لماذا لا تفتح هذه الحكومة الباب للـــتطور، ولا تستقدم الخبراء وتتعامل مع الخارج للنهوض باليمن. فوجد أنه ليس هناك حل إلا أن يزول هذا الحكم، ولكن كيف يزول؟ تشيّع لهذه الفكرة وظل يوحي بها إلى أشخاص داخل اليمن مؤكدا لهم أن لا حل إلا بانتهاء هذا الحكم بأية طريقة مـــن الطرق. ورجع عند ذلك إلى عدن وهو يحمل هذه الفكرة. وذهب إلى القاهرة وهو يحملها. وأتصل بالإخوان المسلمين وباليمنيين الموجودين هناك، وظل يقنعهم بـــأن الحـــل الوحيد أن يتبدل هؤلاء الحكام، ليأتي بدلا منهم آخرون عندهم قابلية التغيير والتطوير، أما هؤلاء فلا ينفع شيء معهم. وبدأت هذه الأفكار تنطلق.

وجاءنا بعض الإخوة رسلا من عنده من القاهرة يفاتحوننا بهذه الفكرة. وكانت الفكـرة إنهاء الإمام يحيى وولده ولي العهد سيف الإسلام أحمد. ولكن من يخلفهم؟ رشّـح السيد عبد الله الوزير. وبيت الوزير أسرة تكاد تكون في الدرجة الثانية بعد أسـرة حمـيد الدين في اليمن. فقد اعتمد حكم الإمام يحيى على رجال بيت الوزير الذيـن كـانوا يحكمـون اليمن ولم يعتمد على أولاده. وكان قد وزعهم في مناطق متعددة، وخدموا الإمام بإخلاص، وأبرزهم السيد عبد الله الوزير الذي كان في ذمار ثـم تـنقل في أماكن متعددة، والسيد علي الوزير الذي كان في تعز. رأى الفضيل الورتلاني أن يرشح بيت الوزير ليحلوا محل بيت حميد الدين بشرط أن يكون هناك ديموقراطية وحرية ومجلس شورى. ووضعوا الأسس لهذا. وفاتحوا عبدالله الوزير بهـذا. وكان بين بيت الوزير وبيت حميد الدين ثأر، لأن الإمام يحيى عند ما كبر أبناؤه نحّى رجال بيت الوزير بدون سبب ووضع أبناءه مكانهم، فكان صراعهم من أجـل السلطة. إذ بدأ يحس بأنهم قد يستأثرون بالسلطة ويصبح أبناء الإمام خارجها بـلا دور. وكان أبناء الإمام أيضا يتطلعون لتولي السلطة ويخافون من آل الوزير. وهذا أيضا ما أتاح للأحرار مجالا ينفذون منه لإيجاد هوة بين الطرفين. وكنت أنا مـن أنصار ولي العهد أحمد. لماذا؟ بسبب أن علي الوزير حبس مشائخ لواء تعز ومشـائخ الشافعية. وقد ترك هذا في النفس مرارة. ثم إنني تعرضت أيضا لضرر شخصي من علي الوزير نفسه، وبقيت أكاتب الأمير أحمد إلى حجة وأثير في نفسه السخط لأن هؤلاء يريدون أن يستأثروا بالسلطة وأن يعملوا كذا .... كان هذا منفذا من المنافذ لإيجاد فجوة ننفذ منها. وكنا نعتقد أيضا أن الإمام يحيى وأولاده خير من آل الوزير. فقد كان آل الوزير متكبرين وظالمين.

س ـ هل كان الفضيل الورتلاني يعتقد هذا؟

ج ـ كان الفضيل الورتلاني يرشح آل الوزير ليكونوا خلفا لبيت حميد الدين. وكان يوجد انقسام. وعلى الرغم من أنني خرجت على ولي العهد أحمد، كنت أيضا ضد آل الوزير، وضد الجميع فيما بعد. كان عندي شك. كنت أقول إذا كان سيأتي عـبد الله الوزيـر ليكون إماما فولي العهد أحمد أفضل منه. كنت أتصور أن بيت الوزيـر جامدين ومتشددين أكثر من أولئك. ولكن الزبيري كان يعارض لأنه كانت

لــه علاقــة صداقة بآل الوزير. فقد سافر مع ابن علي الوزير إلى مصر، وكانت علاقته الشخصية بهم أكثر من علاقته بالإمام أحمد، وللعلاقة الشخصية دور. وعلى الرغم من أننا كنا قد أصبحنا ضد بيت حميد الدين، لم نكن نريد أن يكون البديل من بيــت الوزيــر، لأن هؤلاء نسخة من أولئك، بل إنهم شركاء في الحكم. كانت هذه وجهــة نظري. ولكن الأغلبية كانت مخالفة لرأيي، فسلمت بالأمر. وحينما عرض مشــروع اغتــيال الأمام يحيى وولي العهد أحمد وتعيين آل الوزير، عارضت في مسألة القتل. قلت لهم إن الإمام يحيى الآن في الثمانين من العمر، وهم قادرون على أن يــنحوه ويتولوا السلطة ويحكموا. لأن القتل سيفضي إلى الأخذ بالثأر. وغضبت مــن هذا الأمر لأن الأكــثرية كانت متشــددة ومقتنعة بأن ليس هنــاك من طريق إلا القتل. وجرى تدبير الأمر على هذا النحو. وجاء الفضيل الورتلاني إلى صنعاء مــرة ثانية. والتقي بعبدالله الوزير وأقنعه على الرغم من أن الوزير كان متخوفا. لكــنه أقتنع في النهاية، وأبلغ مجموعة من الذين في الداخل من الأسر الكبيرة بأن يهيئوا أنفسهم لهذا الأمر. فبدأوا يتحضرون لهذه الحركة. وكان الفضيل الورتلاني صاحب هذه الفكرة. وتم وضع "الميثاق الوطني المقدس" الذي يحدد سلطات الإمام ويجعله مقيدا بدستور، وبحقوق المواطنين، وينص على قيام مجلس شوري وتشكيل حكومــة. وحــدد التفاصيل إلى درجة أن أسماء أعضاء الحكومة قد عينت بالاسم. وترك الميثاق عندنا في عدن، على ان يعلن النبأ في يوم محدد. ورتبوا في الداخل مجموعة من رجال القبائل لاغتيال الإمام يحيى.

ومــن الغرائب أنه قبل الموعد بشهر أطلقت إشاعة في عدن تقول إن الإمام يحــيى قــتل. وكان الإخوة الموجودون معنا متعجلين يريدون أن يصدروا الميثاق وينشروا البيان، فرفعوا برقيات إلى أنحاء العالم وإلى الإخوان المسلمين في مصر مــن أجل أن ينشروا الميثاق هناك، لأن نسخة من الميثاق كانت توجد عند اليمنيين فــي مصــر. كيف وصل هذا الميثاق إلينا؟ أرسله عبد الله الوزير عن طريق أحد عماله، وهو القاضي محمد بن عبد الله الشامي، وأرسل بخط اليد وعلينا أن نطبعه ونحــتفظ بــه إلى وقت وصول الأنباء. وصل الميثاق مع الخادم غالب رحمه الله، وهــو مــن كبار تجار اليمن وممن ساهموا في حركة الأحرار، وأشترك اشتراكا

فعلــيا، وكـــان محـــل ثقة الوزير. وكان وكيلا لحكومة اليمن ووكيلا تجاريا أيضا للإمام. وحينما وصل هذا الميثاق إليه استدعاني وقال لي: "إنني مكلف بإبلاغك أنت والزبيري هذا الميثاق." قلت له: "أرجوك أن لا يطلع الزبيري على الميثاق، لا شكا فـــيه ولكنه حريص على كثرة الديموقراطية يريد أن يطلع كثير من الإخوة، وبذلك سينكشف السر ، لأن الأمانة عنده مسألة مسلمة ، ويحرص على إطلاع الشـــركاء أو الزملاء وأنهم لا بد أن يطلعـــوا على كل شيء، يعني لديه إيمان أعمى." قال: "لا يمكن أبدا." قلت له: "أنت تعرف أن الزبيري أعز الناس إلى نفسي، لكن مصدر الضـــعف فيه أن الإيمان والصدق يزيد عنده إلى درجة تكشفك وتفضحك. ورفض الخادم غالب قائلا إنه لا يستطيع أن لا يقول أي شيء للزبيري. وقال لي: "سأشدد عليه.". ثم دعا الزبيري وعرض عليه الميثاق. وما أن رأى الزبيري الميثاق حتى كاد أن يختنق من الفرح، لأنه شاعر يتأثر بأبسط الأشياء. ورأى أن من الأمانة أن يطلـــع فلانا وفلانا على الميثاق قائلا إنه لا يجوز أن نكتم السر عنهم، وصمم على ذلـــك. وظل هؤلاء ينتظرون متى ستأتي من صنعاء الإشارة المتفق عليها. وما أن وصلت الإشاعة حتى تسابقوا في طبع الميثاق ونشره. وأنا الوحيد الذي تردد، ليس هذا عن دراسة، وإنما كان عندي إحساس، أعاند في أشياء وتثبت الأيام أن عنادي فـــيها فـــي محله. لكن لا تسعفني القدرة على تعليل معاندتي. ولهذا يدمغني الناس بالاســـتبداد. لذلـــك كان ابني محمد يكتب لي قائلا: "عاند بوعي. أنت ذكي تدرك الأمور ولكن الناس لا يقبلون رأيك. ترفض شيئا لكنك لا تبيّن السبب." كان يحدث لـــي دائما مثل هذا. أرفض ما أراه غير صحيح ولكن لا أتمكن من تفسيره. وهكذا رفضـــت نشـــر الميثاق والأسماء وإعلان قيام الحركة قبل التأكد من صحة الخبر. وكنـــت متشددا في هذا الرفض فسخروا مني. وأخذوا يرسلون البرقيات إلى العالم وطبع الميثاق ووزع. فإذ بالخبر يتضح في اليوم الثاني أنه كان إشاعة كاذبة. وإذا بعبد الله الوزير في الداخل والذين نشرت أسماؤهم باعتبارهم في الوزارة يتفجرون غضـــبا. ذهبت إلى الخادم غالب الذي كان الواسطة لتسليمنا الميثاق لأجده منفعلا. فقلت له: "لا تلوم إلا نفسك، ألم أقل لك لا تعرض الموضوع على الأستاذ الزبيري. أنـــا برئ مما حدث." وبادرت إلى صياغة برقية منه يفهم منها أن المعارضين في عدن زوّروا قصة الميثاق والأسماء تزويرا، وأن القصة كلها مختلقة.

(بداية الوجه الثاني من الشريط السادس)

كتبت البرقية عند الخادم غالب إلى السيد عبد الله الوزير، ووضعت عليها اسمه لأنه سيكون المسؤول عند الوزير من حيث أن الميثاق أرسل بواسطته. وقلت في البرقية إن هؤلاء الأحرار الدساسين يريدون أن تسوء العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأن يزعزعوا ثقة الإمام في المخلصين من رجاله. صيغت البرقية بهذا المعني وأرسلت. ونشر السيد عبد الله الوزير نفيا لهذا الخبر، وتبين أن هذه أكذوبة. ولكن من نشرت أسماؤهم دخلوا في صراع خفي مع الإمام يحيى، وتوقعوا إما أن يسبقهم بتوجيه الضربة أو أن يسبقوه. ظل الإخوة بعد أن تبين عدم حدوث تغيير لا يستطيعون إظهار وجوهم بمن فيهم الزبيري ومحيي الدين العنسي والحورش. ولم أكن أحس مثلهم بالخجل لأن نظرتي كانت صائبة وترددي في محله. وشعروا بالجفوة والقطيعة، ولكن ذهبنا لزيارتهم والتخفيف عنهم، واعتبرناها مزحة. وكتب أحد الكتاب اليمنيين، وأسمه محمد حسن عوبلي، مقالا في فتاة الجزيرة بعنوان "أحلام الأمس حقائق الغد"، وضرب على ذلك مثلا نشر إشاعات عن موت كثيرين من القادة والزعماء وتحققت الإشاعات بعد ذلك. كانت نكسة وضربة للأحرار، لم يصدقهم أحد بعد هذا. وظلوا شهرا يعيشون أزمة عظمية جدا. كنا كلنا في حال مرير، وكان الإخوان المسلمون غاضبين لتوريطهم في نشر الميثاق. وأخيرا، وبعد شهر، تم تنفيذ الحركة حقيقة.

وكان قد نشر مع الميثاق أن الفضيل الورتلاني مستشارا عاما. لم يتخذ الإمام يحيى أي إجراء بعد نشر الميثاق فإذا بالواقعة تقع وينفذ الميثاق عند قتل الإمام يحيى بعد شهر من نشر الإشاعة الكاذبة. ولكن الأمور سارت على غير ما يشتهيها الناس. نظمت الاحتفالات في عدن وفي المهاجر الأخرى بقيام الحكم الدستوري. ونجي ولي العهد أحمد في تعز من القتل، بينما كان من المفروض أن يقتل هو وأبوه في آن واحد، وإذا به ينجو.

س ـ كيف نجى؟

ج ـ لأن الإمام يحيى كان في صنعاء وولي العهد نائب الإمام في تعز. فلما بلغه موت أبيه وهو ولي العهد، وقتل أخويه الحسين والمحسن، حزم أمره وحمل

السلاح وأتجه نحو الحديدة ومن الحديدة إلى حجة مكان القبائل، ومن هناك بدأ يعلن المقاومة لحكم عبد الله الوزير ويبيح صنعاء للقبائل. وحينما تطلق القبائل لا تسأل عن قنابل ولا عن صواريخ ولا عن مدافع، حينما يقال لهم انهبوا واسلبوا المدينة الفلانية، يحملون الفؤوس ويهبّون للسلب. دخلوا صنعاء وصدرت الأوامر لهم من الإمام الجديد أحمد الذي حل محل أبيه أن يصونوا بيوت الإمام يحيى والبقية مباحة لهم. دخلوا يقرعون الطبول، وأشعلت النيران في رؤوس الجبال، وهذا علامة النصر. فما من جبل يرى شعلة الجبل الآخر إلا وأشعل شعلة، فاشتعلت الجبال كلها لتصبح اليمن كلها شعلة واحدة. وتسمع الكلمات "يا إماماه ، يا إماماه." أنتصر الإمام أحمد وقبض على ابن الوزير، وقبض على الأحرار، ونهبت البيوت، وأبيحت صنعاء حتى يأتي الأمر من الإمام بوقف النار. وجاء الأمر من الإمام أحمد بوقف النار بعد القبض على جميع الأحرار والمتآمرين وسجنهم.

نحن وصلنا من عدن وكان معنا سيف الحق إبراهيم ابن الإمام، والزبيري وغيرهم. ذهب الزبيري وسيف الحق وغيرهم بطائرة مصرية وصلت لأن الإخوان المسلمين كانوا معنا، وكان يقود الطائرة عبد اللطيف بغدادي الذي أصبح فيما بعد عضو مجلس قيادة الثورة المصرية. وكان عزام باشا أمينا عاما للجامعة العربية. عندما علم وصل إلى جدة وإلى الرياض بهدف الذهاب إلى صنعاء للتوسط بين ابن الوزير والإمام أحمد. فلما بدأت القبائل تهاجم صنعاء والإمام أحمد يحقق انتصارات، طار وفد من صنعاء إلى الرياض مؤلف من الفضيل الورتلاني، لأنه أراد أن ينجو بنفسه من جانب، ومعه الزبيري وعبد الله بن علي الوزير. ذهبوا الثلاثة إلى الملك عبد العزيز برسالة من الإمام عبد الله الوزير.

س ــ أين كنت في هذه الفترة؟

ج ــ كنت ما أزال في تعز، لم أقبل الذهاب إلى صنعاء بالطائرة، قلنا نحن سنسافر عن طريق البر. سافرنا نحن ومجموعة من الإخوان من تعز عن طريق إب وذمار. أما الإخوان الذين ذهبوا إلى الرياض فلم يجدوا استجابة من الملك عبد العزيز آل سعود بسبب مقتل الإمام يحيى حتى لو كان ابن الوزير صديقه.

ولكـــن أثاروه من مصر، وكذلك الملك عبد الله من الأردن، وعبد الإله من العراق. كلهم وقفوا ضد هذه الحركة، باعتبارها حركة ضد الملكية في جزيرة العرب لأول مرة، في حين كان الملوك في ذلك الوقت هم أكثر الحكام. إذا، ما العمل؟ أن يتآمر الكل لوأد هؤلاء. وكان الإمام أحمد قد فكر أن يلجأ إلى السعودية من الحديدة، فقال لـــه الملـــك عـــبد العزيز آل سعود "أثبت وأنا معك بجيشي" فشد أزره وثبت. إذا، ســقطوا جميعا ووقعوا تحت رحمة الإمام أحمد. وكانت تأتي أفواج يتخطفهم الناس فـــي الطرقات، حتى بدون معرفة، حتى ولو كان يعرفك معرفة حقيقية، لأنك تقاتل الإمـــام. كانـــت توجـــد جماعـــة مـــن الوعاظ في صنعاء والقبائل يعتقدون فيهم ويقدنســـوهم. فلما وقعت الواقعة وخرجوا هاربين إلى القبائل ليلوذوا بهم، لم يقبلهم القـــبائل. أنـــتم قتلة الإمام، حاصروهم ودخلوا إلى صنعاء. أما الفضيل الورتلاني، صـــاحب فكرة حلول بيت الوزير محل الإمام يحيى، فقد عرف أن صنعاء سقطت وهـــو فـــي السعودية. والوفد العربي كذلك عرف ذلك وهو في السعودية، حاولوا الذهـــاب إلى لبنان لكن لبنان رفض قبولهم. ظل الورتلاني على الباخرة في البحر. أما الزبيري وابن الوزير فقد رجعا إلى عدن. وصلا والجو في عدن قد خرب، فما وجـــدا مخرجا إلا أن يسافرا إلى الهند. سافرا إلى الهند وتشردا هناك. أما نحن فقد وقعـــنا فـــي الأسر، وبقينا في سجن حجة ولجأ الزبيري إلى باكستان وهام الفضيل الورتلانـــي فـــي أرض الله، لم يرجع إلى القاهرة إلا بعد ثورة يوليه المصرية. فقد نزل من الباخرة إلى لبنان بمساعدة أبو الحســـن محمد علي الطاهر الذي يســـر له الأمور بمساعدة رئيس وزراء لبنان حينذاك رياض الصلح. ومكث في لبنان إلى أن قامـــت الـــثورة في مصر، فانتقل إلى مصر وأمّل بهؤلاء الثوار خيرا وحاول أن يوجههـــم. والتقـــي بعـــبد الناصر وتحدث معه. ولكنهم طردوه من مصر. وإذا به يصحو في ذلك التاريخ كما صحونا نحن الآن.

حينما خرجنا غاضبين على الإمام أحمد في سنة ١٩٥٥ مررنا بلبنان والتقيت بالفضـــيل الورتلانـــي فقال لي: "ما الذي خرج بكم إلى هنا؟ أتأملون بعبد الناصر خـــيرا؟" فاعتـــبرته حاقدا، ولم أقبل أي كلام منه باعتباره حاقدا على عبد الناصر. ومكث الورتلاني هنا مريضا حتى ذهب إلى تركيا ومات هناك.

(نهاية الوجه الثاني من الشريط السادس)

كانت توجد في اليمن، في تهامة، قبيلة تسمى قبيلة "الزرانيق". ظلت هذه القبيلة تــتمرد علــى الحكام، طيلة العهود. وهي تقطن في منطقة بين الحديدة وزبيد، في الجهة الغربية من اليمن على شاطئ البحر الأحمر. فلما تولي الإمام يحيى واستولى على اليمن، واصلت هذه القبيلة تمردها في حين كانت الحكومة ترهب الدخول معها في معارك، لأن فيها شجعانا ومستبسلين استبسالا عجيبا، وهي من الشافعية. وكان سيف الإسلام أحمد شخصية رهيبة بالنسبة لأمراء اليمن ولإخوته ولسائر المسئولين العامليــن مع الإمام يحيى، حتى أنهم كانوا يلقبونه أحمد "ياجناه"، نسبة إلى الجن، والجــن هم العفاريت، طائفة مختفية لا تراها الأعين. فالتزم لأبيه بأن يخضع هذه القبيلة. كان هذا تقريبا في حدود سنة ١٩٢٦ و١٩٢٧. وكنت في هذا الوقت أدرس فــي زبــيد وأطلب العلم. فطلب الأمير أحمد من كل منطقة أن تنزل لتساعده على إخضــاع هــذه القبــيلة وتطويقها من كل الجهات. نزل عمي شقيق أبي إلى زبيد، واســمه عــبد القادر نعمان، على رأس مجموعة من المحاربين من لواء تعز ومن قضاء الحجرية ليكونوا إلى جانب القوات التي يقودها الأمير أحمد. وطلب عمي أن أخــرج معــه إلى الزرانيق، إلى المنطقة التي كان يقيم فيها الأمير أحمد و تسمى "الجــاح"، مــنطقة فــيها نخيل كثير، وقريبة من شاطئ البحر وكانت تطوق قبيلة الزرانــيق من الجهة الغربية. فتركت الدراسة في زبيد وخرجت مرافقا لعمي الذي كــان يريد أن أكون إلى جانبه لأتحدث باسمه باعتباره غير متفقه في حين كنت قد قطعــت شــوطا كبــيرا في التعليم وأصبحت في نظر الأسرة فقيها. أراد عمي أن يستصــحبني معــه لمساعدته في الكتابة وتقديم المذكرات أو المعروضات. وكانوا يذهبون لمقابلة أحمد يا جناه، سيف الإسلام أحمد. كانت هذه أول مرة أقابل فيها هذا الأمــير. دخلــنا إليه ووجدناه في حالة متواضعة يلبس ملبس الجنود وعلى رأسه طاقية من طاقيات الجنود، خلاف ما يلبسه سيوف الإسلام، لأنهم في العادة يلبسون عمامــة عليها عذبة ممتدة من الخلف إلى نصف الظهر، وكان هذا خاصا بسيوف الإسلام الذين لا يعتمرون بعمامة صماء، بل يجعلون طرفا منها ممدودا من الخلف إشــارة إلــى أنهــم أولاد الإمام وسيوف الإسلام. وهذه طريقة تختلف عن طريقة

اعــتمار الإمـــام للعمامة. ففي عمامة الإمام عذبتان، عذبة من أعلى تهبط إلى خده الأيســر وعذبـــة من الخلف. وهذه شارة خاصة بالإمام. حينما يلف الإمام العمامة علـــى رأســـه يجعل أحد طرفيها من الخلف، وحين يكمل طي العمامة على الرأس يبقـــي علـــى طرف منها يدليه من رأسه إلى خده الأيسر. أما الأمير أحمد فقد كان خارجا عن كل هذا. وعند ما قابلناه صافحنا مصافحة، في حين كانت العادة أن يقبل الـــناس يد الأمير أو الإمام ويقبلوا ركبته والبعض يقبّل قدمه، وهو لا يمانع. كانت عادة تقبيل يد الإمام وركبته لاعتبار الانتساب إلى رسول الله وتكريما للنبي، وثانيا باعتـــبار السلطة والخلافة. ترك اختلاف الأمير أحمد عندنا انطباعا طيبا بأنه رجل متواضـــع. لأن كثـــيرا من الأمراء والسادة يمدون أيديهم للشخص ليقبلها وقد يقبل الركبة ويقبل القدم ولا يردونه ولا ينصفونه بالتحية، بل يربتون على ظهره أحيانا. وأمـــا إذا كان منشغلا بالكتابة والناس يقبلون الأقدام فلا يلتفت، بل يكتفي فقط بأن يقول "كيف الحال" لمن يريد أن يكرمه.

حيـــن قابلـــنا ســـيف الإســـلام أحمد، ذلك الشخص الرهيب، آنسنا وأنصفنا بالمصـــافحة، وحال بيننا وبين تقبيل يده أو ركبته، ثم ظل يتحدث معنا ونأخذ ونرد معه. وأذكر أنني حاولت أن أقدم له قصيدة شعر وأنا لا أقول الشعر، بل أردت أن أثبـــت أن عـــندي فصاحة وعندي بلاغة لأبرهن على قدراتي في هذا المجال. وقد تكلفت هذه الأبيات ولفقتها تلفيقا بحيث أنها ليست شعرا. وأذكر منها إلى الآن:

النصر والفتح المبين مع الظفر لولي عهد خلافـــة الدين الأغر

لمـــا قرأ القصيدة قال: "عجيب. هذا شعر جيد. لا فض الله فاك." وهذه عبارة تقال للشاعر حينما يلقي الشعر. يقال له: "لا فضّ الله فاك" أو "لا فضّ فوك." وكان عمي مذهولا لأن ابن أخيه يتكلم مع سيف الإسلام أحمد، أحمد يا جناه. فلما خرجت وثـــب يقبلني ويدعو الله بطول البقـــاء لي. والعادة أن الأبناء عندنا يرهبون الآباء ولا يجـــدون حـــتى كلمـــة مجاملة. كان هذا يبث في نفسي شيئا من الطموح ومن الغـــرور وبخاصة مع الصغر. خرجنا نحن وعمي إلى الخيمة. وأذكر أنني قدمت ورقـــة وأنا طالب علم أعزل، ألبس لباسا متواضعا وعلى رأسي عمامة متواضعة

أطلـــب فـــيها من سيف الإسلام أحمد بندقية ورصاص لأكون من جملة المجندين. وطلبـــت بغلـــة لكي أركب عليها، ومعاش لأنني كنت مهاجرا مع طلبة العلم ليس عـــندي شـــيء. وهؤلاء جاءوا بسلاحهم ومصاريفهم وبالبغال التي يركبون عليها. فأجاب علي سيف الإسلام بخط يده يقول: "المصروف والبغلة أيسر ما يكون، وأما البندق والرصاص فلا وجود لذلك عندنا." وعلى كل حال عدنا إلى خيمة أعدت لنا أنا وعمي ولبعض رفاقه. أما الجنود الذين نزل بهم فقد وزعوا على المراكز. وفي هذه الأثناء ظللنا نعيش في هذه الخيمة ونتردد بين وقت وآخر لزيارة سيف الإسلام أحمـــد. وأظـــل أنا أفتتح الجلسة ببعض المسائل أحيي بها المجلس، وأدلهم على أن عـــندي علم، وأختار مسائل تكون بعيدة عن أفهامهم لأثبت أنني قوي. وكان الأمير فـــي هـــذا الوقت يرتاح لهذا. والغريب هنا أن قصائد أتت إليه من بعض الشعراء فأرسلها إلي لأرد عليها، وهنا أسقط في يدي، لأنني لست شاعرا وتلك القصيدة التي تكلفـــتها تكـــاد أن لا تكون شعرا. وهذه قصائد جاءت من شعراء وكلفني بالإجابة عليها شعرا، وهو صادق في ذلك ولم يكن يمتحنني، بل رأى من تلك الأبيات أنني شـــاعر. والعادة في مجالس الأمراء وفي مجالس الإمام، إذا جاءت إليه قصيدة من أي شـــاعر لا يكافئه عليها بالمال بل يرد عليه بقصيدة مثلها والشعراء موجودون عنده. وقد خلق هذا أزمة في نفسي، ففكرت بمغادرة "الجاح" وأن أعود للدراسة في زبـــيد، وقلـــت إني أنما خرجت مرافقا لعمي لفترة واختلقت سببا وهو أن الدراسة متواصـــلة ولا يمكنني البقاء. وقد أجهدت نفسي لوضع رد على بعض هذه القصائد بمقـــدار ثلاثـــة عشـــر بيتا أجبت بها على قصيدة. وقد أذن لي بالرجوع إلى زبيد لإكمـــال دراســـتي، وكان السبب تجنب الإحراج وانكشاف الحقيقة. أذن لي بالسفر فتخلصـــت مـــن الورطة، وعدت لإكمال دراستي وبقيت في زبيد. كانت هذه أول معرفة لي بسيف الإسلام أحمد. وبعد أن مكث أياما في الجاح جاء إلى مدينة زبيد، فأســـتقبله العلمـــاء واســـتقبلته زبيد، وهي مركز من مراكز العلم كما شرحنا عنها ســـابقا. ذهبـــت للسلام عليه واستأذنته بالسفر إلى الحج. وحينما رآني قال: "أهلا بالهـــارب." لأننـــي تركـــت المعركة وعدت للدراسة. وكان فيه مظهر من مظاهر النشاط والقوة جعلنا ننجذب إليه ونسخط على الأمراء الذين عرفناهم من قبله من آل

الوزير، لأنهم ليسوا بهذا التواضع، ولا بهذه البساطة. كتب لي رسالة وتوصية إلى أخيه سيف الإسلام محمد الذي كان أميرا للواء الحديدة، وسافرت إلى الحج. ثم بعد الرجوع من الحج، انقطع الاتصال بيننا وبينه زمنا طويلا إلى أن حدثت الحرب بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود في سنة ١٩٣٤.

عاد سيف الإسلام أحمد، فبدأت أكاتبه. وكنت قد تركت زبيد وأصبحت في الحجرية، وقد أنشأت مدرسة وكأني زعيم روحي في البلد. مات والدي وأصبحت أنا خليفة له. يلجأ الناس إلي لحل مشاكلهم. وكان إخوتي يعدونني عالما من علماء الدين وهم غير متعلمين علم الشريعة ولذلك يعتبرون أنني أكبرهم علما وإن كنت أصغرهم سنا. فلما بدأ الخلاف بيننا وبين السيد علي الوزير الذي كان نائبا للإمام في تعز، بدأنا نكاتب ولي العهد سيف الإسلام أحمد إلى حجة ونتراسل معه ليكون سندا لنا. بدأت المراسلة بيننا وبينه، وكانت الرسائل تنم عن ثقة كاملة إلى درجة أنه وضع بيننا وبينه شفرة بالأرقام لنكتب له الرسائل بالشفرة حتى لا تفتح في البريد فيطلع أحد على ما فيها، لأن البريد كان غير مأمون. وكان كتمان السر في اليمن شيء له أهمية بالغة. يقال: "استعينوا على أموركم بالكتمان". وكثيرا ما كتب "احفظ لسانك والقلم" وأنا أشكو له من علي الوزير ومن الأوضاع التي عندنا كأني أفزع إليه، ولكن ربما كان هو نفسه يطبق هذا الأسلوب الذي أشكو منه، لأنه ليس أسلوب علي الوزير وإنما أسلوب النظام كله. كان دائما يكتب "احفظ لسانك والقلم" ويطمئنني بأن هذه المظالم ستزول ولا يتظاهر بغير هذا. فلما اشتدت الأزمة بيننا وبين السيد علي الوزير ولم نجد عند ولي العهد أية حماية وجدنا أنفسنا معرضين للخطر دون أن نلقى منه حماية لأنه في حجة وعلي الوزير أقرب إلينا يقيم في منطقتنا. فكرت بعد هذا بأن أترك البلاد وأسافر إلى مصر للدراسة. وجعلت المبرر السفر إلى الحج. ومضينا إلى الحج، فلما وصلت إلى مصر، جاء ولي العهد سيف الإسلام أحمد من منطقة حجة ليحكم تعز، المنطقة الذي أنا منها. وبدأ يراسلني لكي أعود إلى اليمن، وأن علي الوزير الذي كان الخلاف بيننا وبينه قد أزيح من المنطقة وأصبح بدون عمل. فبقيت أتبادل الرسائل معه من مصر.

س ــ هل عندك الرسائل؟

ج ــ نعم، عندي الرسائل وأجوبته عليها أيضا. أخيرا اقتنعت بضرورة السفر إلـــى اليمـــن فتركـــت مصر بعد ثلاث سنين ورجعت إليه. وأذكر أنه حينما دخلت واقبلت عليه وهو في مجلسه الذي يواجه فيه الناس قال لي:

وما جئت حتى آيس الناس أن تجي سموك منظــورا وجئت على قـــدر

مستشـــهدا بهـــذا البيت من الشعر، وهي تحية قلبية. قربني إلى جانبه وظل يســـألني عن الأحوال في مصر وكانت أيام الحرب العالمية الثانية. ومن يأتي من الخارج يعتبرونه ملما بكل شيء ويشعرون بضعف أمامه لأنه قد درس وأطلع على كـــل شيء. فبقيت أحدثه عن الأحوال في الخارج وأقارن بين الأحـــوال في اليمن وما فيها من الاستقرار والأمان وحفظ الدين وعدم سفور المرأة، وأندب الحالة التي في الخارج، السفور، وشرب الخمور، وكل ما يتعلق بالمفاسد المنتشرة وأضيف أن اليمـــن بوجـــود مولانا الإمام وولي عهده تطهرت من هذه الادران. قلت هذا حتى أطمئن. لأن الذي يأتي من الخارج يحاط برقابة شديدة وتكون العيون مسددة نحوه، وإذا لـــم تعجبه الأوضاع في الداخل تعرّض للسجن أو لأي أذى. فعملت لكي أدخل الطمأنيـــنة إلى نفوسهم. وكان أخوه سيف الإسلام عبد الله قد قابلني في الزيدية في تهامة، وحدثته بهذا الحديث فأعجب وكتب معي رسالة، وكان وزيرا للمعارف، إلى أخـــيه ســـيف الإسلام أحمد يتحدث فيها عني وعن مقابلتي ويطلب إليه أن يكلفني بإدارة المعارف. واستهوت ولي العهد أحمد هذه الأحاديث، والحط من قيمة فاروق وأنـــه رجـــل قـــد خرج عن الإسلام وعن قواعد الدين. والقول عن بلاد مصر إن الرجال والنساء يسبحون معا في شواطئ الإسكندرية، وعن السينما وأمور أخرى، وعـــن الفظائع الموجودة في الخارج كلها والتي نريد وقاية اليمن منها. فطلب مني أن أقـــول هـــذا علـــنا للناس. فصغت خطبة ألقيتها في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعـــة، والناس ينصتون، وسيف الإسلام أحمد يبكي من شدة التأثر لما قد أصاب الإسلام والمسلمين خارج اليمن، ولم يبق سوى اليمن سالما من هذا الخطر.

وكلفني بإدارة المعارف في تعز. ولكن هذه الوظيفة كانت شكلية. وكان العمل أن أكـــون دائما في مجلسه للإجابة على الرقاع، رقاع المظالم التي ترد إليه، والرد على الرسائل التي تصله بالبريد من جميع أنحاء المملكة، يوزعها على الجلساء في المجلـــس ليجيـــبوا علـــيها. ويستعرض كل الجوابات ويوقع عليها ويلاحق بعض الأجوبـــة وبعض الرسائل ليتولاها بنفسه. وحصلت الألفة بيني وبينه بهذه المجالس والمنادمات والمساجلات الشعرية والأدبية. وأصبحت بمثابة الصديق. حتى كان إذا خرج للنزهة يمر بنفسه بالسيارة ليقف في الباب حتى أخرج ويأخذني معه لنمضي معا كصديقين.

س ــ هل كان يوجد الكثير عنده في المجلس؟

ج ــ نعـــم. كان يوجد في المجلس مجموعة من الكتاب. وكان زميلي الأستاذ الزبـــيري من جملة الكتاّب. ولكن كنت أنا بالنسبة إليه كصديق يطمئن إليه. وظلت هذه العلاقة بيننا. وكان الناس يدمغوننا بالنفاق، وأننا في مركز يمكننا من أن ننصح الإمام. والعادة هناك في اليمن لا توجد معارضة. إنما يقال الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكر والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم. ونحن باعتبارنا من العلمـــاء يجـــب علينا أن ننصح الأمراء، وأن نكون بطانة خير وجلساء خير حتى نرشدهم إلى ما يجب عمله. ولكن كانت المطالب في اليمن مختلفة. كان يوجد أناس لا يـــريدون أن تصل الحضارة الحديثة إليها لأنها ستفسد البلاد، ولا يريدون العلوم العصرية، وأناس آخرون يريدون التطور ويسمعون بالحركات الجديدة ويريدون أن تســتفيد البلاد منها. وكانت مناسبات الأعياد أو الاحتفالات تأتي وتقام مهرجانات، يتصـــدر سيف الإسلام أحمد في هذه الاحتفالات فيأتي الخطباء والشعراء يتبارون بمدحـــه وبالثناء عليه وبذكر مزاياه. وكنت أنا أرتب خطبة في كل مناسبة أتحدث فيها عن فضائل الإمام وعن مناقبه وعن ما تسعد به البلاد وأهلها، ثم ندرس طريقة نلمّح بها على أمل إنشاء المدارس والقيام بالإصلاح. وكان هو أيضا ينتبه لمثل هذه التلميحات. ويأتي الزبيري فيلقي قصيدة. وهكذا كان الأدباء يتبارون على هذا النحو بحيـــث تكاد الحركة الأدبية أن تكون محصورة في الثناء على الإمام، وطلب العفو مـــنه. ينظم المسجون قصائد يطلب منه العفو، ومن يخاف يطلب الأمان. ولم تكن

أغــراض الشــعر والأدب تخرج عن ذكر مزاياهم وصفاتهم، وعن طلب رضاهم. كانت محنة البلاد وتخلفها على هذا النحو. وكل من ينظم قصيدة يكسب حظوة عند الإمــام، إمــا يحصل على منصب أو على وظيفة قضاء، أي يعيّن قاضيا في أية مــنطقة أو يجعله مأمورا يتقاضى الضرائب لأنه يستفيد بعد أن يتقاضى الضرائب مــن الفلاحيــن، أو يصدر أمرا يوليه بموجبه على منطقة من المناطق لمجرد أن تكــون قصيدته رائعة وأن يكون أديبا. لم تكن كفاءة الإنسان أو مواهبه تتضح من خــلال تقديم شهادة، بل بما يشتهر عنه في كتاباته وفي أدبه. المقياس كفاءة الرجل ولــيس مجرد أن يأتي بشهادة أو يقول أنا قرأت في مكان كذا. يرون أسلوبه كيف يكتــب، ومــا هي أفكاره وعلومه في المجالس عندما يسمعون أحاديثه في النقاش. يكــون الإمام جالسا وحوله مجموعة يتناقشون في مسألة شرعية مثلا، هذا يتحدث وذاك يــتحدث. هــنا تتبين الكفاءة ويتضح من يصلح للقضاء ومن لغيره. هذه هي المقاييس التي كان يعمل بها، لأن الشهادات العلمية لم تكن موجودة.

ظلت العلاقة بينا على ما هي. لكن كنا متطلعين إلى التغيير. وكان يوجد أناس آخــرون أيضا يطلبون التغيير. وكان الكثير من الناس يتساءلون لما ذا يظل نعمان والزبــيري اللذين كان يشار إليهما بالبنان هكذا يقضــيان أوقاتهما في المدح؟ لماذا لا يقومان بعمل ما يدعو للتغيير. وأنحى الكثير من الناس علينا بالأئمة، ولكننا كنا نتلفت حولنا ونقول كيف يمكن أن نخرج، وإذا خرجنا ما الذي نعمله لنعارض هذا الحكم؟ لا بد أن نتلمس هذه الأجواء من حولنا. وهكذا سيأتي دور الأشخاص الذين اعتمدنا عليهم. لأننا كنا ما نزال لدى ولي العهد. وعند ما رأينا أن الأمور لا تطاق استقر رأينا على أننا لابد أن نتخلص من قبضة ولي العهد وأن نهاجر إلى الخارج لكــي نتمكن من كشف الأحوال التي تسير عليها اليمن. فقد أصبحنا نتخوف من أن الأمــور لو سارت على هذا النحو قد تصبح البلاد عرضة لغزو خارجي. كان هذا يساورنا أيضا. وكان الخطر يأتي من الطليان لأنهم استعمروا الحبشة واحتلوها في تلــك الفــترة وكان لهم مطامع في اليمن، ويأتي أيضا من الإنكليز وهم في عدن. وكانــت في نفوسنا كراهية للاستعمار لما نسمع من الضجة في العالم العربي، مما يشكون من الاستعمار وضياع فلسطين. هذه كلها كانت تثير في نفوسنا الطموح لأن

تـــتطور اليمن إلى وضع يمكنها من حماية نفسها. إلا أن الأسلوب الذي تسير عليه الحكومة لا يحقق هذا الطموح. والشعب ساخط على هذا الحكم وسيرحب بأي غاز يأتي إلى البلاد. وقررنا أن نخرج.

فوجـــئ ولي العهد بخروجي أنا والزبيري إلى عدن. وبدأنا نكاتبه من هناك. وأذكـــر أننـــي كتبت له رسالة بعد موقف متوتر في الجلسة التي أخبرتكم عنها في الحديث السابق حينما سأل بعض الأدباء أنت تقرأ الأدب وأنت تقرأ كذا. وهدد قائلا "والله لأسفكن دماء هؤلاء الأدباء بسيفي هذا، حتى ألقي الله وهو عني راض." جعلنا هذا الإنذار نخرج. تركت الرسالة عند أم الأولاد. كان محمد طفلا صغيرا. قلت لها بعد أن نسافر بيومين أرسلوا محمد بهذه الرسالة إلى ولي العهد وهذا الكتاب. وكان الكـــتاب تجديد ذكرى أبي العلاء المعري لطه حسين. وطه حسين من الأسماء التي كـــان ينفر منها. لم أجرؤ على أن أقدم له الكتاب. فكتبت له رسالة عاطفية أقول له فـــيها: "يعلم الله أننا لم نخرج سخطا عليكم ولا غضبا منكم ولكننا خفنا على أنفسنا من أن نصبح عرضة لوشاية نمام وتصبح حياتنا مهدرة بسبب نميمة أو وشاية.

والبحتري يقول:

ولقـــد رابني بنو ابن عمي بعد خفض من جانبيه ومس

أي أنـــه هاجر. قال: "إني شددت الرحال بمجرد الشك من ابن عمي." وهكذا ارتاب في ابن عمه وشك فأرتحل من البلاد. فكيف نحن حينما نرتاب من ملك قادر أن يـــبطش وأن يفعل ما يريد. وموسى حينما خرج قال: ففررت منكم لما خفتكم. وإذا كـــان الأنبياء يفرون من الخوف فكيف بنا نحن؟." جعلت الخوف المبرر الذي دفعنا إلى الفرار. فأرسل ولي العهد إلينا رسالة مؤثرة إلى عدن، يقول فيها إن هذا لا يخطر ببال ولا كان يتصور ولا ينتظر ما حدث. وطلب أن نرجع. أما نحن فقد كنا نشعر أننا ارتكبنا خطأ لا يمكن الرجوع عنه. فبقينا بالمعارضة في عدن وأسسنا حـــركة الأحـــرار إلى أن دخلنا سجن حجة. فإذا به يبعث لنا الرسالة الذي حدثتكم عـــنها "أعاد الله سالفات الأيام. وإننا نتذكر ما قلتم وما كتبتم. وعلم الله ما أضمرنا لكم سوء." فقلت يخاطبني بهذا الخطاب كالذي يعتذر إلى صديق وأنا في أسره وفي

قبضته وله ألف مبرر لأن يقتلني، لأنني من المتهمين بقتل أبيه ويستطيع أن يزور علي أية تهمة. أثر هذا في نفسي وأجبت عليه وأنا متأثر بمشاعر العرفان من هذه الرسالة. وتأثر أيضا نائب حجة الذي قرأ رسالتي إلى الإمام أحمد.

س ــ أعندك الرسالة؟

ج ــ نعم. إنها موجودة مع الرسائل كلها. وصلت الرسالة إلى الإمام وأجاب عليها وبدأ الجو ينفتح ويهدأ. انفرجت أسارير الإخوان في السجن، وعرفوا أنه إن كان قد عفى عني فسيعفو عن الجميع، على اعتبار أنني في نظر الرأي العام وفي نظــر الــناس أن نعمان المجرم الأكبر الذي يجب أن ينتهي. فكان الإرياني وسائر الإخوان المعتقلين يطمئنون من هذه المراسلات التي كنت أبلغهم بها سرا وأطلعهم على ما يأتي من جواب، فيستبشرون خيرا. يقول بيت من الشعر العربي:

إذا تاب الإله على ابن عامر فبشر كل عاص بالســلامة

ولما عرف الأستاذ الزبيري وهو في باكستان بمراسلة الإمام لي وبالعفو عني قــال: "عرفت أن القلب الذي يستطيع العفو عنك سيستطيع العفو عن كثيرين. وأنا والله مــا نمت بعدك على فراش وثير، ولا انطلقت وأنت سجين، ولا سلوت وأنت حزين". كتب هذه الرسالة وأرسلها عن طريق الإمام أحمد نفسه. تواصلت العلاقات والمــراجعات بيني وبين الإمام. كان يتقبل الشكوى، ويتأثر بأية مراجعة، لكن في حــدود جزئية . أما إذا جاءت مسائل السياســية وما يتعلق بالحكم أو بتغيير شيء فــلا قــبول لهذا. وكنت أقول إن بيني وبينه ارتباطا وثيقا في العواطف ولكن بيننا انشقاق في العقل، يعني كان بيننا خلاف كبير لا يسمح بتلاقي الآراء. روح الإمام وحب السيطرة والإحاطة بكل شيء روح دكتاتور. ولا يمكن أن تسير معه إلا في حــدود مــا يلائــم رغبــته. أما ما يصطدم مع رغبته فإنك تدخل معه في شقاق. تواصــلت هذه العلاقات مع الإمام أحمد وأنا في حجة. وظل الاتصال بيني وبينه. نطلب العفو عن المسجونين، وندعوه للسير في هذا الاتجاه حتى سنة ١٩٥٥.

ففي هذه السنة استأذنت بالخروج من حجة لأذهب إلى للعلاج. فلما ذهبت إلى تعــز عرف أنني أريد أن أتخلص من حجة. عرف من هذا الطلب أنه ليس للعلاج

ولكن من أجل أن انطلق من حجة. وكان عنده مخاوف من أن أهرب إلى الخارج. وثارت الشكوك في نفسه. سمح لي بالخروج من هناك إلى تعز. وخلال بقائي هناك حدثــت المؤامرة التي حيكت ضده من أخيه سيف الإسلام عبدالله سنة ١٩٥٥ ومن عموم إخوته، ومن أسبابها علاقته بنا، لأن أولاد الإمام يحيى، اخوته وأشقاءه، كانوا يــرون في الأحرار النقيض والمعارض الوحيد لهم في حين بدأ الإمام ينعطف نحو الأحـــرار ويشـــد علاقـــتهم بابنه. وخلال هذه الفترة كنا قد تكونت عندنا فكرة في السجن أن نرشح ابنه محمد البدر لولاية العهد، ليكون وليا العهد بعد أبيه. كان إخوة الإمـــام يــرون أن يكـــون أحدهم خليفة الإمام أحمد وليس ابن أخيهم، فعرفوا أن الأحرار يعملون لحدوث انشقاق بينه وبين إخوته.

س ــ أكنتم تقصدون ذلك؟

ج ــ كـــلا. فـــي الواقع كنا لا نريد أن نتعامل مع إخوته. إنما نريد أن نكسب الإمـــام من جهة ابنه. وهناك بعض القصد في هذا العمل. كنا دائما نطلق لقب ولي العهد على البدر وننشر هذه الفكرة. ولما خرج الإرياني من سجن حجة وذهب إلى الحديدة استقبله البدر. ومن هناك وضع صيغة لولاية العهد تعمم إلى الشعب للتوقيع عليها. وكان ذلك بالتفاهم معنا جميعا. ووضعت هذه الصيغة ووزعت على مناطق اليمن. هنا بدأت شدة الخلاف تحتد بين الإمام وإخوته، لأنه يريد أن يحتكر الخلافة ويجعلها في ابنه. فكان البدر يتودد إلينا. ولم يكن هذا يرضي الإمام. فلما ذهبت إلى تعـــز كانت فكرة ولاية العهد قد بدأت تنتشر. وكان سيف الإسلام عبد الله يدبّر لقيام انقلاب على أخيه الإمام أحمد وضد البدر. فلما حوصر قصر الإمام أحمد استدعيت فجـــأة لكـــي أحضر. حضرت وإذا بي أجد القاضي عبد الرحمن الإرياني وبعض الإخوان وسيف الإسلام عبد الله المرشح لأن يكون خلفا لأخيه الإمام أحمد في تلك الفترة. وكان البدر في الحديدة. فوجئت بهذا الموقف، واقترحت أنه لا يحسن تنحية الإمام أحمد ولكن يطلب منه تكليف سيف الإسلام عبد الله بتشكيل الحكومة، ويتولي سيف الإسلام عبد الله إدارة الأعمال. كان هذا بدوافع صادقة مني، لأن بيني وبين الإمام أحمد عواطف مؤثرة على نفسي، وتوجد علاقات ود بيني وبينه. ومن ناحية أخرى أردت أيضا أن احتاط. قلت ربما يتخلص الإمام أحمد من الحصار. يجب أن

يكـــون رأيي معروفا عنده. بقيت حذرا حتى عند ما كانوا يفاتحونني بأن في نيتهم القيام بمثل هذا العمل كنت أسفه كل هذه الأشياء. وكنت غير راض عن هذا الأمر ضد الإمام أحمد. لهذا حاولت أن أتخلص من الجميع وأخرج من الدوامة التي قامت لأتصـــل بالبدر. ووجدت المبرر الذي شرحته لكم في حديث سابق للانتقال. دفعت مـــن يقـــول إن البدر لا يمكن أن يتأثر إلا بالأستاذ لعلاقته به. فذهبت إلى الحديدة وبدأنـــا نفكـــر كـــيف نفرج عن الإمام أحمد وننقذه من الحصار. أرسلنا البدر إلى الســـعودية. فلما رجعت وجدت الإمام أحمد وحييته وذكرته بأبيات للأستاذ الزبيري يقول فيها:

العرش عرشك لا سواك ولن ترى نـــدا إلى آفـــاق عرشـــك يرمـــق
وإذا افـــترى قـــــوم به قلنـــا لهم هـــذي الســـما فثبوا إليها وارتقوا

فقـــال: "شكر الله سعيك. أهلا وسهلا. أريد أن أقبل هذا الفم." فبقينا معه خلال تلـــك الفترة بعد أن انفك من الحصار. حاولت أن أوصل إليه أن هذه فرصة ينبغي أن تغـــير فـــيها نظام الحكم، وأن تشكل حكومة وتكون برئاسة ولدك البدر. ولكنه رفض. حتى أنه كتب لي في بعض الرسائل يستشهد بقول الشاعر:

إني على ما ترين من كبري أعرف من أين تؤكل الكتف

ثم قال: "أنا سأمضي بســـياستي هذه حتى النهاية ، وبعـــد أن انتهي أعمـــلوا مـــا تريدون". وجدت أنه لا يوجد أي أمل يرتجى منه أبدا، ولا يمكن أن يتغير هذا الرجل بعد هذه المحن وبعد هذه الشدائد. أنقذ سنة ١٩٤٨، وأنقذ سنة ١٩٥٥. بقاؤنا معـــه خطـــر عليـــنا. وكانت الرسائل تأتي من الزبيري من القاهرة تحضني على التخلص والبدار إليه. ولكن كان يعترضني أن الإمام أحمد صنع معي صنيعا كبيرا لا يمكن أن أغدر به. أخيرا وجدت أنه من مصلحة اليمن، وربما من مصلحة الإمام نفســـه، أن يخرج الإنسان ليستعين بالعرب لنصيحته. وكان في ذهني أن العلاقات بين السعودية ومصر قوية وطيبة في تلك الفترة. كانت توجد علاقة قوية بين الملك ســـعود وعبدالناصر سنة ١٩٥٥. وكانا دائما يتعاونان معا وسياستهما موحدة. فقلنا مـــن الممكـــن أن تتعاون المملكة السعودية ومصر لإقناع الإمام بتغيير الأوضاع.

كانـــت دوافعنا مخلصة حتى أننا احتلنا بالسفر إلى الحج وكان البدر يحج معنا في تلـــك الســـنة. واجتمعـــنا بالملك سعود وشرحنا له سوء الأوضاع وأن الإمام نجى بأعجوبة لكن السخط اليوم قائم، وسيكون هـــذا السخط منصـــبا على البدر، والبدر لا ناقة له ولا جمل، فنرجو من أجل مصلحة البلاد العربية أن تنصحوا الإمام أحمد وتقنعوه بضرورة تشكيل حكومة مسؤولة تتولى الإصلاح في اليمن. قال سعود: "أنا قد بعثت برسالة. والأستاذ نعمان يعرف." وحقيقة أننا اتفقنا ذات مرة أن نطلب من ســـعود أن يبعـــث رســـالة إلى الإمام ويعطيه نصيحة. واجتمعنا بمستشاري الملك سعود، جمال الحسيني ويوسف ياسين، لكي نشرح لهما المطلوب حتى تكون رسالة الملك على أساس وفقا لما نطمح إليه. وأرسل الملك سعود إلى الإمام رسالة ينصحه بتشكيل حكومة كما يفعل هو في السعودية، وأن الأوضاع تحتاج إلى أن يتغير. ثم أعطـــاه نموذجـــا عن تشكيل مجلس الوزراء في السعودية. فقال سعود إن الأستاذ نعمـــان يعرف بأني أرسلت رسالة، والبدر يعرف ذلك أيضا. قلت له: "الأفضل أن تبعـــث بدعـــوة للإمام أحمد للخروج لزيارة السعودية ثم يزور مصر، ليري معالم الحضارة الحديثة. وفي هذا الوقت يكون البدر قد شكل حكومة والإمام في الرحلة." قـــال ســـعود: "لا أستطيع فعل ذلك، ولكنني الآن ذاهب إلى إيران استجابة لدعوة وجهـــت لي. وبعد عودتي من إيران سأبعث بنصيحتي إلى الإمام أحمد." وفي هذا الوقـــت يئست. وكنا قد تورطنا بالشكوى. وقلت ربما وجد الآخرون مجالا للنجاح. ولكـــن أنـــا لن أبقى. سيعرف الإمام أنني الآن أعمل ضده. فانسحبت ليلا وتركت الـــبدر راقدا في القصر. وذهبت إلى القاهرة وعندي أمل أن حكام القاهرة يبحثون حقـــيقة عـــن سعادة الشعوب العربية ولا تدفعهم الرغبة في السلطة. فقلنا لنتعاون معهم. وبدأنا بالهجوم علي سياسة الإمام أحمد من الإذاعات. وهنا قطع علاقته بي. وكان هذا آخر ما بيننا وبين الإمام احمد.

س ــ حدثنا عن علاقتك بآل الوزير؟

ج ــ فـــي حديـــث سابق قلنا إن بيت الوزير كانوا أقوى من اعتمدت عليهم الســـلطة في عهد الإمام يحيى. برزوا فوق غيرهم من الأسر الأخرى. كانت توجد أســـر كثـــيرة مثل بيت شرف الدين، وبيت المتوكل، وبيت القاسم، وبيت الكبسي،

وبيت الشامي، وبيت المطاع. أسر هاشمية كثيرة متعددة. ولكل أسرة من هذه الأسر الحق في الإمامة ولا يشترط أن تكون في أسرة معينة، من حيث أن كل هذه الأسر تنتسب كلها إلى النبي. ويشترط أن يكون الإمام علويا فاطميا، أي أن ينتسب إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء. فلكل واحد من الهاشميين الموجودين في اليمن الحق أن يكون إماما إذا استوفى الشروط المعينة المطلوب توفرها في الإمام. وكان بيت الوزير يقفون إلى جانب بيت حميد الدين في عهد الإمام يحيى. وكان عندنا في منطقة تعز أمير الجيش السيد علي بن عبد الله الوزير نائبا للإمام يحيى. وكان لواء تعز يعتبر بالنسبة لألوية اليمن أكثر الألوية اتصالا بالحضارة لقربه من عدن، لأن عدن ملاصقة للواء تعز، وعدن مركز من مراكز الحضارة الغربية من حيث أن الغزو الحضاري قد وصل إليها. وكانت تتسرب عن طريقها أشياء بسيطة من أنواع الملابس وغيرها من الأشياء البسيطة. وجد أمير لواء تعز نفسه آتيا من القبائل الشمالية ليحكم منطقة توجد فيها جماعات عندهم نوع من التحضر، أولا بسب أن الأتراك كانوا يحكمون لواء تعز، وكان فيها متعلمون وإداريون وأناس متفتحون نوعا ما، ويعتبرون أرقى من الحكام الذين يأتون ليحكموهم. وكان يوجد في لواء تعز بيت نعمان، الأسرة التي انتسب إليها، ثم بيت الباشا، السيد محمد باشا وأحمد باشا، وهؤلاء كانوا في مدينة تعز، وبيت نعمان كانوا في الحجرية. وكان يوجد أولاد محسن باشا في منطقة العدين. وكان يوجد علي عثمان وعبد الله عثمان. يعني مشائخ وركائز في مناطق لواء تعز، واللواء عبارة عن محافظة من المحافظات، ويتكون من عدد من النواحي، وفي كل ناحية مجموعة عزل، وفي كل عزلة مجموعة قرى. كان بيت نعمان في الحجرية الملاصقة لعدن وللمحميات. وأهل الحجرية كثيرو الهجرة إلى الخارج. فكانت هناك حساسية بين بيت نعمان وبيت الوزير. فقد كان الشيخ عبد الوهاب نعمان قائم مقام الحجرية من أيام الأتراك. فلما جاء الحكم الإمامي ظل في وظيفة قائم مقام الحجرية وإن غيّر الإمام اللقب من قائم مقام الحجرية إلى عامل الحجرية، والعامل في اليمن ليس العامل الذي يمارس العمل أو الأجير. من يقوم بالعمل المهني في اليمن يسمى (شاقي)، فلا يقال العمال بل يقال (الشقاة)، كأنه مشتق من الشقاوة والشقاء. وهكذا كان عامل الحجرية يعني

حاكمهـــا. وكان الاحتكاك موجودا دائما ما بين حدود الإنكليز وحدود اليمن، ما بين لحج والحجرية الممتدة إلى لحج، على أبواب عدن. وكان بنو نعمان يتوزعون في مراكز الدفاع عن الحدود ويجندون المحاربين.

وكـــان آل الوزيـــر يشكّون في الحكام من الشافعية بأنهم كانوا فيما سبق مع الأتراك ويميلون نحو الخارج، وربما يتفاهمون الآن أيضا مع الانجليز النصارى. لأن الإنكلـــيز الآن يحكمـــون منطقة الجنوب وسكانها شافعيون، فربما نحن أيضا كشوافع ننضم إلى إخواننا. خرج السيد علي الوزير لاحتلال المنطقة وهو أول من وصـــل مـــن مسئولي الإمام بعد انسحاب الأتراك. وكنت قد أخبرتكم بأن الزيديين كانوا في أيام التعصب الشديد يعتبرون أن أموال الشافعيين مستباحة، ونساءهم مثل نســـاء النصـــارى، أو مثل أصحاب الملل الأخرى، كأنهم يحتلون بلادا فيها كفار. كانت هذه الروح موجودة عند الزيديين بالنسبة للشافعيين.

س ــ وهل لدى الشافعيين نفس الروح بالنسبة للزيديين؟

ج ــ كانوا يعتبرون الزيديين وحوشا خارجين عن الملة. وأثناء وجود الأتراك فـــي اليمن كان الشافعيون متفاهمين مع الأتراك لحمايتهم من الزيديين لأنهم جميعا ســـنيون. فلمـــا انجلى الأتراك تراكمت عند الزيود الأحقاد ضد الشوافع أولا لأنهم كانوا يقفون مع أعدائهم، وثانيا بسبب نظرتهم إلى المذهب.

س ــ ما هو الفرق؟

ج ــ أيام التخلف والجهل، كان الإنسان ينظر لمن هو خارج على مذهبه كأنه علـــى غيّر ملة، كما تجد الشيوعي ينظر للمتدين والعكس، من لم يكن على مذهبه يجـــب أن لا يكون له مقام ولا حياة. كان التعصب المذهبي شديدا. هؤلاء مذهبهم الزيدية وأولئك مذهبهم مذهب الشافعي. الفروق من حيث قواعد الدين بسيطة، لكن أصـــبح موضوع أن ينتمي هذا إلى الزيدية وأن ينتمي ذلك إلى الشافعية، كالانتماء إلى الأحزاب. وكانت السلطة في أيدي الزيود فضموا إلى السلطة المذهبية. من حقه أن يملك السلطة أو أن يشارك فيها أما الشافعي فليس من حقه أن يكون له ســـلطة أو أن يشارك في السلطة. من حقه فقط أن يظل فلاحا يكدح ويتعب ويقدم للحكومة

والحكومة زيدية. فكانت توجد حساسية ما بين بيت نعمان وبيت الوزير. فحين حكم علـــي الوزير لواء تعز كانت نظرته نحو الحكام في اللواء التعزي، وبوجه خاص نحـــو أهـــل الحجـــرية الملاصقين لعدن، نظرة شك. خاصة وأن عندهم نوعا من المقاومـــة ونوعا من عدم الرضوخ. مثلا بعض الحكام كانوا يستسلمون أما هؤلاء فلـــم يستسلموا. لذلك خرج علي الوزير، أمير تعز، إلى الحجرية، ونزل في بيوتنا ضـــيفا، وصـــادف أن أحـــد أقاربنا كان يقود معركة في حدود الإنكليز، وتعرض لهـــزيمة فـــي المعـــركة، فقال علي الوزير إنهم باعوا البلاد للنصارى ولا بد أن يعاقـــبوا. وبـــالغ فـــي عقابه لهم. وكان عمي عبد الوهاب نعمان يحكم الحجرية، واســـتقبل هذا الأمير استقبالا حارا، وكانوا يذبحون الذبائح في الطرقات لاستقباله. ذبحـــوا حوالي ٤٠ ثورا على مسافات متعددة في كل مكان يذبح ثور. وهذه قاعدة في اليمن، حينما تصل جماعة كضيوف تنحر الذبائح أمامهم في الطرقات.

(بداية الوجه الثاني من الشريط السابع)

ولأن الحكومة لم تبن مقرات لمراكز الحكومة، وإنما اكتفت بما خلفه الأتراك، ظل علي الوزير رب البيت والناس كلهم يخدمونه، وهناك قاعدة في اليمن، إذا جاء الكبير يصبح هو المالك:

يا ضـــيفنا لو زرتنـــا لوجـــدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

كـــان هذا السيد علي الوزير رجلا محافظا ومتدينا، وأبي بالذات محمد نعمان كـــان متدينا أيضا، وله عقيدة في آل النبي، ويحبهم. وهذه عقيدة منتشرة في اليمن، أي حـــب من ينتسبون إلى رسول الله. كان أبي يلازم الوزير دائما في نومه وفي يقظته ويظل ينظر إلى وجهه كأنما يرى أن النظر إلى وجهه عبادة. وذات يوم وأنا صـــغير السن ربما في سن الثامنة كما أذكر، مرض والدي من الحمى وأنقطع عن السيد علي الوزير، فقال لي والدي أذهب إلى السيد علي الوزير، وقل له يكتب لي رقـــية، والرقية معروفة يستشفي المريض بها وتسمى التميمة، ويسمونها في اليمن حـــرزا لأنهـــا تحرز الشخص وتقيه من الشياطين ومن الأمراض. فقال لي والدي اذهب إلى الســـيد علي الوزير وقل له أن يكتب لي رقية لأني محمـــوم . أنا لأنني

صغير السن كان يسمح لي بدخول بيتنا، ولكن إخواني الكبار وغيرهم لا يسمح لهم الحرس بالدخول إلا بإذن من الوزير لأنه هو صاحب الدار. دخلت إلى عنده وقلت لـــه إن أبي يطلب منك عزيمة لأنه محموم، أخذ القلم وكتب، فأعطاني الورقة وقال لي عطفها، يعني اطوها، ظننت أنه قال لي جففها، فبقيت فاتحا لها وهو منهمك في أعمالـــه يكتـــب، التفـــت ورأني وأنا فاتح الورقة، قال لي: "لماذا فاتح الورقة؟ هل قرأتها؟ قلت: لا. قال بطل مفعولها مزقها، لا بد أن أكتب له رقية ثانية، أنتم يا بني نعمـــان، الصغير يلدع والكبير يلدع. ظن أنني اكتشفت ما يكتب وأنني قرأته. كتب رقـــية ثانية وجففها وطواها بنفسه ثم قال لي: "قل له يربطها بساعده الأيسر." هذه طريقة من العلاج في اليمن، الأمير بنفسه هو طبيب، مداو ومعالج. بقي أياما يعيش بينـــنا ويترقب ويري الناس في جهل. وكان ومن معه قادمين من بلاد مقفرة لأن المناطق الشمالية حيث الأئمة والزيود تعيش مجاعات وفقر وبؤس. فلما نزلوا إلى هـــذه المناطق وجدوا الناس لهم مساكنهم ولهم أراضيهم وثيابهم حسنة، وهذه كلها تثـــير في نفوسهم حسدا وحقدا ونظرة سخط. فظل يطوي هذا في نفسه ويتربص. رجع من قضاء الحجرية إلى قاعدته في مدينة تعز بعد أن مر على بعض المناطق. ووصل عمي عبد الوهاب إلى تعز، فاستدعاه واستدعى إلى جانبه الكثير من العمال واعـــتقلهم جميعا، وأباحوا بيوتهم ونهبوها وأرسلوهم إلى السجن في صنعاء، عند الإمـــام يحـــيى بحجـــة الادعـــاء أن هناك مؤامرة. وبقي والدي على علاقته بعلي الوزير. وأذكر أنه جلس فوق المسجد يكتب رسالة وأنا بجانبه، ومن عباراته قوله للســـيد علـــي الوزيـــر: "بلغنا ما دبره الظالمون الذين أحرقوا أنفسهم بما صنعوا، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين." كان والدي يبرر للوزير ما فعله معتقدا أنه صادق وأن أخوه ظالم وأنه يستحق هذا العقاب.

س ــ أكان يقف مع الوزير؟

ج ــ نعـــم. كان يرى أن الوزير ابن رسول الله، ومتديّن وعادل، وينظر إليه نظـــرة تقديـــس. وبعـــد أن اعتقل عمي عبد الوهاب، اعتقلوا أيضا بعض الأقارب وجـــرى نهب كل ما يملك في بيته من أثاث وأمتعة. كانت هذه الأشياء تنطوي في نفســـي منذ الصغر. رحلت بعد هذا إلى زبيد ودرست. وبقي عمي عبد الوهاب في

السجن حتى توفي كل المسجونين الذين سجنوا من حكام مناطق اليمن الذين اعتقلهم الوزير، ونجى عمي وحده. فلما نجى أخرجه الإمام يحيى من السجن. وعندها أخذ يلوذ بولي العهد سيف الإسلام أحمد وبأولاد الإمام، يشدد علاقاته بهم ويثير السخط ضد علي الوزير عند أولاد الإمام ويغريهم به بحكم الأخذ بالثأر. وكان علي الوزير ينـتقم من آل نعمان الموجودين في تعز ويعتبرهم خصومه، لأن خصومه الأولين مـاتوا في السجن وانقرضوا. لكن الذين بقوا وظلوا دائما مثار سخطه موجودين. مثلا كان لي أخ كبير هو علي محمد نعمان، كان موظفا. وكان على الوزير يحكم المـنطقة ويفصـلهم مـن أعمالهم ويقيم العراقيل أمامهم، كل هذا نكاية بهم لأنهم مرتبطون بالإمام وبأولاد الإمام ولأنهم يثيرون المعارضة له. وجاءت أيام علاقتي بولـي العهد فتعرضت للعقاب من علي الوزير عند ما فتحت مدرسة وبقيت أدعو الـناس للصـلاة وأنشر الدين. فكتب يمنعني من هذه الدعوة وقال ابن نعمان ليس معنـيا بالإسلام، وكأنه كان يرى أن لا نقوم بأي عمل ، وأن لا نظهر على السطح لا بمصـلحة دينـية ولا دنيوية. ظلت العلاقة تسوء بيننا وبينه على الرغم من أن والدي كان صديقه. ولما مات والدي نعاه وتأثر لموته وعطف على أولاده من بعده. وحاولت أن أخلف والدي كرجل صالح وعالم، ودخلت عنده بعد أن أتيت من زبيد وحضرت مجلسا من مجالسه. وأحببت أن أبرهن على علمي بأن طرحت سؤالا فيه أولا إظهـار للمعـرفة، كمـا قلـت لكم لم تكن مواهب الإنسان تتضح من خلال الشهادات، وإنما تظهر فيما يبدي من علم وفيما يورد خلال النقاش، وفيما يحل من مسـائل ذهنـية ونحوية. فانتقيت بيتا من الشعر أردت أن أمدح به الأمير وأظهر المعلومات التي عندي فقلت:

بسـتان قلبك مثمـر ألوانه العدل والمعروف والإحسان

فهل للقلوب بساتين أم أن هذه تشبيهات مجازية أم أنها استعارات بيانية يستعار فـيها اللفـظ لقول شيء آخر. أوردت عددا من الأسئلة حول هذا البيت. وفي هذه اللحظـة كانت توجد جماعة لفت أنظارهم أن لدى الشخص المنزوي هذا القدر من العلم ومن هذا الكلام. أجاب الوزير وقال "إنه مجاز ولكن أريد أن أسألك." قلت له: "تفضـل يا مولاي والفائدة منكم مطلوبة." قال: "كسراب بقيعة. "بقيعة" هنا وصف

للسراب، والسراب مذكر وبقيعة مؤنث، لماذا وصف المذكر بصفة مؤنثة؟" قلت له: "الـذي يتبادر إلى ذهني وقد أكون مخطئا يا مولاي أن بقيعة ليست وصفا لسراب ولكنها جار ومجـرور ، الباء حـرف جر وبقيعة مجـرور بالباء. السـراب هو مـا يتراءى للإنسان وقت الهجير من أنه ماء وإذا به يتبين أنه لا شيء. وكسراب بقـيعة يعني كسراب بقاع والبقيعة تطلق على القاع." فتحمس أحد العلماء من هناك يريد أن يثأر للوزير فقال: "نريد أن نسألك عن إعراب قول الله سبحانه: ما جئتم به السـحر إن الله سـيبطله." تعريض بأنه سيبطل السحر الذي قلته ويريد أن يعرف أحكام "ما" في العربية: ما المصدرية وما الاستفهامية. وكانت هذه المسائل حاضرة عندي، فقلت له: "ما اسم موصول بمعني الذي ، الذي جئتم به السحر، وجئتم صلة الموصول والسحر خبر للمبتدا: أي الذي." قال: "ما شاء الله، ذكي ونبيه." وحصلت علـى الشهادة وصدر الأمر في ذلك الوقت من السيد علي الوزير، في شكل رسالة إلـى الإمام يحيى يقول فيها "إنه وصل إلينا الفقيه أحمد محمد نعمان الذي تعلم في زبيد وهو نبيه ومن أهل الاستحقاق، نرجو أن تعينوا له ما ترونه مرتبا شهريا ليقوم بالتدريس في الحجرية. وقد حمل رسالة من عامل الحجرية القاضي حسين الحلالي ومن حاكمها القاضي محمد بن علي المجاهد". وعند ما خرجت من عنده أمسك بي شخص أصبح فيما بعد صديقا، هو السيد محمد أحمد باشا، عامل تعز من تحت أمر علي الوزير، فقال لي: "أريد أن اسألك أنت من أين؟" قلت له: "من الحجرية." قال: "ومن بني نعمان!" قلت: "نعم". وكان من أصدقاء أسرتي ولكن مع انقطاعي للعلم لم أكن قد عرفتهم." قال: "أنت أخو علي محمد نعمان." قلت: "نعم." قال: "وأين نزلت." قلـت: "نزلت في بيت حسن آغا." قال: "لماذا لم تنزل عندنا في البيت، لأن العادة الأصـدقاء ينزلون عند أصدقائهم." قلت له: "لا أنزل في بيوت الظلمة." قال: "في بـيوت الظلمة! أنت آتيت لتمتحن الأمير الوزير إذا كان يصلح للحكم أم لا يصلح؟ "مـا إليك والفضول." قلت له : "نحن نحيي المجـالس بالعلم وبالذكر ، فكل مجلس لا يحيى بالعلم ولا يذكر الله فيه يكون حسرة يوم القيامة." قال: "لا إله إلا الله، أفاد الله مـنك، هـيا تفضل." وأخذني بالقوة وأركبني معه وأوصلني إلى بيته وأسلمني لأخيه السيد عباس بن أحمد. وبقيت هناك عند أخيه، ونشأت بيني وبين السيد عباس

ابـن أحمد صلة إلى النهاية. بقيت أياما عندهم في تعز وعدت إلى الحجرية. وظل السـيد علي الوزير يعقب بعدي ويتابع ما أعمل؟ وماذا أقوم به من نشاط؟ طمحت للاتصـال بسيف الإسلام أحمد بسبب معرفتي له من الزرانيق. وقد أحدث هذا أثرا عـند الوزيـر، فظـل يكتب للإمام بأن الأستاذ نعمان أصبح يعلّم العلوم العصرية وينشر دعاية للوهابيين وللسعوديين ضد الإمام. وكنت أنا اشتكي من ذلك إلى ولي العهـد. فاسـتدعاني علي الوزير وأبقاني في تعز تحت الإقامة الجبرية لمدة أربعة أشـهر. وتوتـرت العلاقـات بينـي وبيـنه، وكان هذا التوتر من تأثير الخلافات والرواسب السابقة إلى أن جاءت الفرصة التي خرجت فيها إلى مصر حتى أصبح ولـي العهـد فيما بعد في تعز. وقد واصلت الكتابة والنشر في الصحف ضد علي الوزير، أصف ما يفعل بأهل لواء تعز، وكيف حبس المشائخ، وحبس عمي. وكان ولي العهد يقرأ ما أكتب ويرتاح لأنه موجه ضد آل الوزير.

وفي تلك الفترة تم إقصاء بيت الوزير من الحكم. وجاء ابنهم عبد الله بن علي الوزيـر إلى مصر، فاستقبلته استقبالا أخويا وبدأت أربط معه صداقة وأعيد الصلة القديمـة. وعـندما سـافرت من القاهرة حملت رسائل لآل الوزير، لماذا؟ لأني قد ارتبطـت بالزبـيري. وللزبـيري علاقة بآل الوزير. وقد طلب مني أن نتفاهم مع هـؤلاء. وكانت مشاعري طيبة نحو عبد الله بن علي الوزير الذي جاء إلى مصر. كنـت احـترمه وأكرمه واحتفي به. فأثر هذا في نفسه. وكان يكتب إلى أبيه. فلما رجعـت إلى تعز كان ولي العهد قد حل محل علي الوزير هناك. ولكن وجدنا أن الأحوال قد أصبحت بالنسبة للعموم أسوأ مما كانت عليه في عهد علي الوزير. لذلك بدأنا نحسن علاقتنا بآل الوزير ونوجد نوعا من العلاقات والروابط، إلى درجة أن عمي عبد الوهاب أصبح مع علي الوزير الذي حبسه وشرّده صديقان يتآمران معا لقـتل الإمـام يحـيى. وإذا بهما يعدما بسيف الإمام أحمد معا سنة ١٩٤٨. ودخل السجن عدد كبير من بيت الوزير وبيت نعمان. وهكذا أصبح بيت الوزير فيما بعد محط أمل، لأنهم تبينوا أنهم خير من بيت حميد الدين. كان أبناء الإمام يحيى عند ما اسـتولى والدهـم على الحكم شبابا أحداثا، أكبرهم أحمد ثم محمد، الذي غرق في الـبحر والذي كان خير أبناء الإمام يحيى. وبدأ الناس يتطلعون لعهد بيت الوزير،

وعند الإعداد لانقلاب ١٩٤٨ جرى ترشيح آل الوزير للحكم. وعندا فشل الانقلاب دخلنا السجن نحن وإياهم. وإذا بأولاد علي الوزير كأنهم أعز من أبنائي. كنا سوية فـــي ســـجن حجة، نتعايش معهم ونتعاطف معهم. وتكررت مراجعاتي للإمام أحمد أطلب فيه العفو عن بيت الوزير. إلى أن دارت الايام دورتها. وعند ما خرجنا إلى مصـــر كان أولاد علي الوزير قد خرجوا. وإذا بهم ينقلبون ضدي ويعملون ضدنا. يحسّـنون علاقتهم ببيت حميد الدين ويحملون علينا نحن الأحرار. وكانوا من جملة انشـــقاقات الأحرار. كانوا من الأحرار فانشقوا. لماذا؟ لأن الأحرار لم يعدّوهم لأن يكونـــوا فـــي الصدارة، ليس أنا بمفردي، وإنما الجميع. لأن الناس لا يريدون بيت حمـــيد الدين ولا بيت الوزير. فحين سقط بيت الوزير سنة ١٩٤٨ أراد أبناؤهم أن يكونـــوا خلفا لبيت حميد الدين. وما دمنا الآن قد حملنا على بيت حميد الدين فلا بد أن يكونوا في الصدارة، لأنهم ضحوا سنة ١٩٤٨. وبدأ الأحرار الذين لا ينتسبون إليهم يحملون عليهم ويريدون أن يتعاملوا معهم كأناس عاديين. لكنهم لم يقبلوا بهذا، بل كانوا يريدون أن يكونوا في طبقة القادة، وأن يحلوا محل بيت حميد الدين عند ما ينـــتهوا. في بيت الوزير شباب أذكياء، وكان لهم نشاط في القضية الوطنية. ولكن فـــي نفوسهم شيء وهو أن الكثير من رجال أسرتهم قد أعدم سنة ١٩٤٨، وأنهم قد ضحوا، فلا بد أن يكون لهم مكان يعترف به الآخرون. ظنوا أننا نحن واقفون لهم بالمرصـــاد بسبب الرواسب القديمة والميراث القديم، فظلوا دائما يركزون علينا في الصحف، لدرجة أننا لو اتخذنا أي موقف لا بد أن يكتبوا ليشوهوا هذا الموقف. ولم تهـــدأ الحـــال وتتحسن العلاقات بيننا وبينهم إلا بعد أن خرجت من السجن الحربي بمصـــر ســـنة ١٩٦٧. وقـــد كونـــوا لأنفسهم حركة سموها "اتحاد القوى الشعبية" وارتـــبطوا بالسعودية على هذا الأساس، وظلوا يصدرون بيانات ورسائل يطالبون فيها بحل وسط بين الجمهورية والملكية. وحينما خرجت من السجن والتقيت بهم في بـــيروت أزلت ما في نفوسهم من شكوك وأوهام، وأصبحت كأخص أقربائهم. حتى أننـــي عملـــت لتنقية الأجواء بينهم وبين الآخرين الذين يحاربونهم أو المتضايقين. أقمت نوعا من العلاقة بيني وبينهم حتى أنني قلت لهم يجب أن نسير نحن وأنتم في اتجـــاه واحـــد. نـــريد أن تخطـــو اليمن خطوات موفقة. ولا نشترط أن تأتي هذه

الخطوات على أيدينا. يجب أن نتحرر من الأنانية. إذا جاء الخير لليمن على أيدي أي كان فلنرحب به ونؤيده. ينبغي أن لا نبقى أنانيين، بحيث إذا لم يأت الخير على أيدينا لا نقبل به. كما كان يقول المصريون من قبل: "الاستعمار على يد سعد أفضل مـن الاسـتقلال علـى يد عدلي". هذه أنانية وتعصب. واليوم بدأت اليمن تخطو خطـوات موفقـة وعلينا أن نباركها. وإذا كان الحكام قد وقفوا تجاهكم كما وقفوا تجاهـي، مع أن مواقفهم تجاهي كانت فظيعة جدا، حينما رأيتهم عادوا إلى الطريق السليم الذي ندعو إليه نسينا كل شيء. وتحسنت العلاقات ونحن في حالة سلام عام.

س ــ اخبرنا عن علاقتك بالبدر وعلاقة البدر بعبد الناصر؟

ج ــ أول ما تعرفت على البدر كان له من العمر ١٦ سنة، جاء به والده من حجـة إلـى تعـز وأنا مدير للمعارف في تعز. وقد خطب في الناس، وصلى بهم الجمعـة. والأئمة دائما يدربون أولادهم على الخطابة لصلاة الجمعة وعلى الصلاة بالناس ليكون إماما دينيا إلى جانب كونه إماما سياسيا. وبعد أن خطب البدر، ألقيت كلمـة أتحدث فيها عن هذه التربية والتنشئة الدينة من الصغر، وعما نتخيل في هذا الأمـير الشـاب في المستقبل، ونثني على أبيه وعلى قاعدة الأئمة وعلى تعويدهم لأبـنائهم الذهـاب إلى بيوت الله والتردد على المساجد. كانت خطبة طويلة جعلت البدر نفسه يسمع لأول مرة حديثا بليغا وهو آت من حجة من بين القبائل. ولما سمع هذا الحديث تأثر به. وكنا نلازمه أحيانا ونظل نتحدث معا. وأبوه عند ما سمع هذا الحديـث أعجب به. كنا نقول إن الأمة العراقية احتضنت فيصل في العراق وهو طفـل لأن أبـاه صـنع مـا صنع. وهكذا يربى الملوك ويربى الأئمة وهم صغار ويكسـبون محـبة الشعوب. فكانت هذه من عوامل توثيق صداقتي مع الإمام ومع الـبدر فـي الوقت نفسه. وبدأ البدر يتفتح ويتزود بالثقافة الحديثة وتأتي له الكتب الحديـثة والجرائد، إلى درجة أنه تمرد مرة على أبيه وطوى الكتب الفقهية والكتب الجامدة والمخطوطات وما إليها ليقرأ الكتب الحديثة. وحصل خلاف بينه وبين والده حـتى أن والده غضب وقال: "ارسل لي بكتبي." أي أن والده أعطاه كتبا في الفقه وفـي الشريعة الإسلامية وفي الأحاديث، فظن أنه يهدد أبنه البدر بهذا، فإذا بالبدر يحمل الكتب كلها مع الحمالين ويرسلها إلى أبيه. لم يتوقع أبوه أن يقوم بهذا العمل.

فقال إن نعمان هو أستاذ البدر، وإن البدر تلميذ الأستاذ، وأطلقت هذه الإشاعة. فلما وقـع انقـلاب ١٩٤٨ وأتينا إلى تعز، احتفينا بالبدر وجعلناه أيضا وزير دولة مع الأحرار، واعتبرنا أنه من الأحرار، وأنه ملتصق بالأحرار ومتضامن معهم لضمان نجاتـه حتى لا يصاب بسوء. وذهبت إليه أزوره بعد أن رجعنا ونحن متصدرين قيادة الأحرار في تلك الفترة، وكان هذا الموقف أيضا من المؤثرات في نفسه. فلما وقعنا في الاعتقال كان له أثر عند أبيه في العطف علينا لأننا عاملناه معاملة كريمة. ولما رفعنا استغاثة من السجن لأول مرة قلنا فيها أبياتا:

والـبدر شـافعنا إلـيك فإنه ... أدنى إلى القلب الكبير الطاهر

هبـنا له فهو المرجى في غد ... لفكـاك عـان أو إقالة عاثر

ولمـن تـبقى فيه أدنى ريبة ... مـن بعد هذا فهو أكبر كافر

كانـت هذه استغاثة بعثناها للإمام ونحن في السجن ننتظر الموت. وظل البدر يعمـل عـند أبـيه لتخفيف السجن عن الأحرار، ولما خرجت من السجن استقبلني ونزلـت ضـيفا عنده في الحديدة. حتى أن الإمام قال: "خذ ضيفك." وهذا ما ثبّت العلاقات بيني وبينه. وكان قبل ذلك يزور حجة فنستقبله ونتحدث معه ونظل دائما إلـى جانـبه. وكنا نخاصم خصومه حتى أقرب الناس إليه. فتوثقت العلاقات بيننا وبينه. ولما حدثت حوادث ١٩٥٥ طرت أنا إليه إلى الحديدة، وسرنا معه إلى حجة، فبقيت العلاقات بيننا قوية. ولما سافر إلى الحجاز سافرت معه ذهابا وإيابا، ثم سافر إلى مصر وكنت معه أيضا. لكن بدءوا يدخلون في نفسه نوعا من الشك كما صنعوا مع الزبيري، بأنه لا يصدر شيء إلا عن نعمان. هذا ما جعله يتهرب من أن أرافقه أو أن أبقي في المكان الذي يبقى فيه. إذا مكث في تعز يجب أن أكون في صنعاء. حتى أنني كاشفت الإمام وكتبت له عن هذا أقول له: "إنني أفضل أن أكون دائما في مقـامك بعـيدا عن البدر لأنك أنت لم يتهمك الآخرون بأنك متأثر بنعمان كم اتهم البدر، فأنا أريد أن أبقى إلى جانبك." وقد جاوبني بخط يده.

وحينما قامت هذه الحركة الأخيرة سنة ١٩٦٢، كان من رأيي أن الثورة في اليمـن أو أيـة حـركة عنيفة ينبغي أن لا تقوم، وأنه يجب التعاون مع البدر لأنه

مـــتجاوب مـــع الأحرار ومع دعوتهم. فلا بد أن نجعله مرحلة من المراحل. وإذا تطـــور الوضـــع في اليمن واختار اليمن نظاما غير هذا النظام فليعمل، لكن نحن أحـــوج مـــا نكون للبدر، ولا بد أن يكون وجوده ضرورة وطنية. وكان هذا رأي كثيريـــن مـــن الإخـــوان الأحرار في الداخل المرتبطين بنا. وكان رأي فريق من المصريين أننا يجب أن نتعامل مع البدر، وأنه لا يوجد عنده أي تعصب أو تحجر. جعلتـــنا هذه العلاقات نقدّر فيه دائما هذا المعنى ونرتبط به من أجل مصلحة البلاد. وعند ما رأيت أن الاتجاه ضده في مصر فهمت ذلك وحاولت أن أخرج من مصر وأســـافر إلى اليمن بعد موت الإمام أحمد لأكون إلى جانبه أنبهه. وأبرقت له برقية أعـــزيه بأبـــيه وأهنـــئه بتولي الإمامة، مع توجيهه إلى ما يجب أن يسير عليه في سياســـته الجديدة في نفس البرقية. ولكن كما يقولون "سبق السيف العذل". هاجموه وأخـــرجوه ولامونا لأننا بعثنا له برقية، وأننا غير مرتاحين للثورة، وقالوا إننا لسنا ثـــوارا. انقطعـــت الصـــلة بيننا وبينه منذ قامت الثورة حتى زيارتي الأخيرة إلى الســـعودية. ذهبت لزيارته واستقبلني كما يستقبل الصديق صديقه. وقلت له في أول لقـــاء "مـــن أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه" إن عبد الناصر قتل يوم نجوت أنت. فقد أجهز عليك وركز على قتلك وعلى أن ينسف القصر عليك، ولكن عظته بالهزيمة. وهذا فن من فنون القتل، فيكفيك أنك نجوت وأحرزت نفسك منه وظللت ثـــلاث سنين تقاتله وتجدع أنفه. ماذا تريد بعد هذا؟ فإن بقي هناك شيء فأجعله من أجل اليمن. أجعل اليمنيين يشعرون أنك لم تقاتل من أجل أن تصبح ملكا أو لتأخذ عرشـــا أو لتحكم، إنما من أجل أن تحرر اليمن من عدوك وعدوها. وتأكد أن هذا الموقـــف سيكسبك العطف الكبير. وجدته مرتاحا لهذه الفكرة. قال: "يعلم الله أنه لم يـــبق في نفسي شهوة حكم. ولكن شهوتي بأن أكون يمنيا. وهذا القانون الذي يأتي ويقـــول يستبعد بيت حميد الدين." قلت له: "هذا قانون أجنبي نحن رفضناه وأنا أول من استبعده وتعرضت لحملات ظالمة واتهمت بأنني أشد حقدا على اليمن من بيت حمـــيد الدين لسبب أنني قلت: "إذا استبعدنا بيت حميد الدين من السلطة لا يجوز أن نســـتبعدهم من المواطنة. إن هذا حق إنساني لهم وهم ساهموا في تحرير اليمن من العـــدو الدخيل عليها." فقال: "حتى إنني أنكرت على عمي الحسن وقلت له كنت في

أمريكا تريح أعصابك فما الذي جاء بك إلى هنا؟ جئت إلى جدة ماذا تعمل؟ تكتب! ولمن تكتب؟ وماذا تكتب؟ نحن يجب أن نواجه الواقع. من بعد أن قتل الإمام يحيى عرفــنا أن هذا إفتاء شعبي، وأن الشعب لا يريد أن نكون حكاما، ونحن لا نريد أن نفرض على اليمنيين أبدا." قلت له أيضا: "الحكمة أننا نلتقي على رأى واحد نواجه به الآخرين ونقول نحن نريد حقنا في المواطنة وأما الحكم فهذا يترك للشعب." قال: "أنــا موافــق على هذا." قلت له: "خذ شعار عبد المطلب حينما غزا الأحباش مكة وأرادوا أن يهدموا الكعبة وكان هو سادن الكعبة وحاميها، ابتز بعض جيش أبرهه إبــل عــبد المطلب، فذهب ليقاتل ابرهه. فظن أبرهه أنه جاء يطلب منه أن يحمي البيت، وإذا به جاء يطلب من ابرهه أن يفك له إبله، حتى أن أبرهه قال: "ماذا! أنا كنــت أعــتقد أن هــذا جاء ليحمي مقدساته وبيت الله وحرمه وإذا به جاء يطلبني الإبــل." فقال عبد المطلب: "أنا رب إبلي وللبيت رب يحميها." وأنت ليكن شعارك هكذا "أنا رب أسرتي ولليمن شعب يحميها." ونحن كأفراد من هذا الشعب قلنا يجب أن يطبق هذا الشعار. وبقينا نسترجع الذكريات ونذكرهم بما كنا قد قلنا في السجن لعبد الناصر "إذا كان لا شعر يفيد ولا نثر فليس لكم إلا القبائل والبدر.

روحنا عليه. ثم قلنا له على كل حال في سبيل الله ما لقيت، أنت نجوت الآن. مــن أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه. هذا ما قلته له. كان هذا أول لقاء بيني وبينه بعد القطيعة وبعد هذه الحرب، فوجدته مرتاحا وحوله مكتبه واسعة تحوى كل العلوم والفنون. قلنا له هذا هو الملك. حتى أن العلماء الألمان كانوا يقولون إن الله عوضــنا عــن المستعمرات والفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية. يقرأ الإنسان ويتفتح.

س ــ أكان الإمام البدر ذكيا مثل أبيه؟

ج ــ نعــم. كان فيه ذكاء أبيه ولكن العصر ليس عصر أبيه. جاء في عصر مخــتلف عن العصر الذي كان فيه أبوه، لكن أبوه لم يستطع أن يواجه هذا العصر. الناس تغيروا وتبدلوا وظهرت الأفكار الجديدة. قال المتنبي:

آتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتينــاه على الهرم

س ـ اخبرنا عن علاقة البدر بعبد الناصر؟

ج ـ كان البدر كما قلنا شابا متطلعا ومتفتحا للحياة. وحينما وجد نفسه مرشحا لولاية العهد ومرتبطا بالأحرار، وسمع بثورة مصر، وجد أن عليه تحسين علاقاته بهـا لـيوجد في اليمن نوعا من الرجال الذين يعملون لصالح الشعب. لأن الدعوة العربية كانت تهز الناس هزا عنيفا بشعاراتها وبمبادئها وبما تنشره من التنفيس عن الشـعوب من خلال البكاء على أحولها والندب عليها. كانت هذه كلها تؤثر في كل إنسان حريص على خير الشعب. فكان هو يتجاوب مع هذه الأفكار. وأقنع أباه بأن يسـمح له بالذهاب إلى القاهرة سنة ١٩٥٤ لزيارة الرئيس المصري محمد نجيب، وأن يستقدم من هناك بعثات طبية وعسكرية. وأتاح له والده الفرصة، فخرج والتقي بعبد الناصر والسادات.

س ـ وكنت أنت معه، أليس كذلك؟

ج ـ كلا. كنت أنا في سجن حجة سنة ١٩٥٤ ولم أخرج إلا سنة ١٩٥٥. لأن الثورة المصرية كانت قد أحدثت رد فعل في اليمن، فرأى البدر أن من الأفضل أن يـتعامل مـع هـذه الثورة ليشعر اليمنيين المتطلعين إلى أنه معهم. فخرج ووجد الزبيري والأحرار اليمنيين هناك، وأتصل بهم وارتبط بهم وطمأنهم عنا في الداخل وأنـه علـى صلة وثيقة بنا، وأنه يتعاون معنا، وأنه لا يسير إلا بتوجيهاتنا. وهذا واقع. لأنه كان كأحد الأحرار. وأرتبط بالمصريين وطلب منهم أن يرسلوا له بعثة عسـكرية لـيدرب جيشـا في اليمن. أعطوه بعثة عسكرية وكان لها رئيس ممتاز ومخلـص. أعطوه بعثة تعليمية فطلب بعثات تقنية. وعاد إلى اليمن لفتح المدارس واسـتقدام المعلمين والخبرات. وبدأت الأمور تنتعش وتتطور. وكنا نحن قد خرجنا من السجن. وبدأت الاتصالات والارتباطات. وحينما قامت ثورة ١٩٥٥، وجدت أن مصـر سـتكون سنده، وفعلا وقفوا إلى جانبه، ووقفوا إلى جانب الإمام أحمد هم والسـعودية، على اعتبار أن الحركة كانت تستهدف البدر، وكانوا يتهمون أن سيف الإسلام عبد الله على ارتباط بحلف بغداد. وأحسوا بحركات تدبر في اليمن للقضاء علـى الإمـام والبدر. فظلوا عونا للبدر على أساس أن يكون صديقهم. ارتبط بهم

وتعاون معهم وذهبنا نزور عبد الناصر سوية لشكره على موقف مصر إلى جانب الإمــام وضــد حركة سيف الإسلام عبد الله. وبدأنا نتوسع في المطالب من مصر. ولكــن الإمام كان قد قضى على خصومه، إخوته ومن معهم. ذبح سيف الإســلام عــبد الله وأخوه العباس وخصومه الذين قاموا بالانقلاب وأوجد جوا رهيبا مرعبا. فقرر البدر أن نذهب سوية إلى السعودية. وربما كان عبد الناصر ينتظر أن يزور الســعودية في تلك الفترة ونلتقي هناك ونشرح له أن الإمام عاد إلى عادته، ونطلب التعاون بين الدوليتين لنصيحة الإمام. وخرجنا متفاهمين على هذا الأساس.

س ــ هل كان تحت تأثيرك كثيرا؟

ج ــ نعــم. كــان يــتأثر ويستجيب إلى حد كبير ويقتنع. لأنه ذكي ويرى أن العصر يحتاج إلى تغيير، وأن المجال لم يعد يقبل بالأسلوب الذي سار عليه آباؤه. يقرأ ويطالع، متفتح وذكي. كان يستروح ويتجاوب، ولهذا ذهبنا إلى مصر واشتكي لعــبد الناصــر أننا نحتاج بأية صــورة إلى تغيير الأوضــاع والسياسات . وكان عــبد الناصر يعرف نوايا هذا الإنسان ويعرف تجاوبه. بعد انقلاب ١٩٥٥، عند ما خرجنا إلى القاهرة لنقوم بحركتنا قرر البدر أن يذهب إلى القاهرة لكي يوقف حركة الأحــرار. واتصــل بعبد الناصر الذي كان متجاوبا معه. ورأى البدر أن في هذا الموقف غدرا لأن أباه والآخرين قالوا له هذا صديقك خرج يعمل ضد أبيك. والواقع أنهــا كانت غلطتي تماما. ولكن كان الإنسان مخدوعا بالآية الكبرى (بعبد الناصر) ولــم تكن النوايا سيئة. وكان الأصوب أن نهيئ الجو للبدر ونتعاون معه. فاضطر تحــت تأثير أبيــه والمحيطين به . ثم كيف يســتجيب لعبد الناصــر؟ لو كان عند عــبد الناصــر عقــل وحكمة، حتى لو خرجنا نحن معارضين، كان الأصوب أن يــتفاهموا معــنا على خطة حكيمة. لكن هذا لم يحدث. بل قالوا احملوا على الإمام فحملــنا. أتيت وارتبطت بالزبيري ومجموعة من الشباب الذين كانوا منفعلين ضد الإمام وكأن الإنسان إذا تأخر عنهم سيوضع في صف الخونة. فلما جاء البدر تفاهم مــع عــبد الناصر وأوقف نشاطنا نحن. بعد هذا توصلوا إلى ميثاق جدة بين اليمن والسعودية ومصر، ووقعوا اتفاقية دفاع أو ماسمي "ميثاق جدة الثلاثي." وكان البدر قطــب الرحى في هذا لأنه أقنع الإمام وأخرجه من الحديدة وأراد الذهاب إلى جدة

لمقابلـــة عــبد الناصر. وتقابلوا هناك وتوصلوا إلى الميثاق واتفقوا عليه. جاء دور الاتحـــاد بعد الوحدة بين مصر وسوريا، فأقنع أباه بضرورة الارتباط واتحاد اليمن مع الجمهورية العربية المتحدة وضمها إلى البلدين لتطوير اليمن. وكنا نحن نرحب بهذه الخطوات ولو بصمت. قلنا من أجل أن تنهض اليمن مع البلاد العربية. عمل كـــل هذا لكن الإمام أحمد كان يعرقل تنفيذ أي شيء، وكان البدر يطلب أن نصبر علـــى أبيه، ويطلب من عبد الناصر أن يصبر على الإمام، ولكن عبد الناصر بعد هزيمتهم في الوحدة بين مصر وسوريا، أرادوا أن يبحثوا عن نصر جديد. إذا هزم في معركة فسيدخل في معركة أخرى. فحبك المؤامرة للقضاء على البدر وعلى أبيه تحـــت ظـــل حركة الأحرار. سرق حركة الأحرار وقضية الأحرار ونبذ الأحرار الأصـــليين وجـــاء بعملاء مشبوهين مثل البيضاني ومجموعة من العملاء وركزهم دعـــاة لقضـــية الحـــرية في اليمن. وشنوا هجوما سافرا على الإمام، وعلي وعلى الزبـــيري ومـــن في صفنا من الأحرار. رتبت هذه الخطة كلها للقضاء على الإمام وعلـــى البدر. ولم نتجاوب ولم نتعاون مع هذه الخطة ورفضناها. بل لو كنا وجدنا ســـبيلا لأن نتفاهم مع الإمام وكان الصلح ممكنا لتفاهمنا معه. ولكن كان الباب قد ســـد. لكننا توقفنا متفرجين ولم نشترك في هذه العملية القذرة التي لم تكن تستهدف الـــنهوض باليمـــن، بـــل جعل اليمن قاعدة لعبد الناصر ليمر عبرها إلى السعودية وعـــدن، ويزعج الجزيرة العربية ويحقق فيها أطماعه، ويجعل اليمن فقط مستعمرة لأهوائه. كنا نحن نلمس هذا فرفضنا.

فلمـــا قـــاموا بالعملية (ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢) لم يبال لا بالعهد الذي بينه وبين البدر ولا باللقاءات. وهكذا دبر الأمر للقضاء على البدر. فكانت حكمة الله أن نجـــى الـــبدر. ضرب القصر فتسلل إلى الدور الأسفل وخرج من باب آخر ولبس لـــباس القبائل وخلع ثياب الإمامة ومشى بين القبائل إلى أن نفذ من الحدود اليمنية إلى السعودية خلال أسبوعين. أعلنوا أنه قد قضي على البدر تحت الأنقاض. وتبين فـــيما بعد أنه لم يقض عليه. وظلوا يحملون على البدر، ويسمونه الإمام المخلوع. وتواصل التشهير بالأسلوب الناصري الذي عرفه الناس. وهذه خلاصة علاقته بعبد الناصـــر ونتائج العلاقات والود . حتى أنه حينمـــا كانت المؤامرة تحـــاك ، وكان

أنــور الســادات قطب هذه المؤامرة القذرة، حينما أبلغه أن الإمام أحمد مات موتا طبيعيا وأن البدر بويع بالخــلافة بدلا عن أبيه وأن الذين اتفقوا معه للقيام بالقتل لم يقوموا بشيء ولم يحققوا شيء، جاء أنور السادات إلى عبد الناصر فقال له ساخرا "البقية في حياتك يا أنور، الإمام أحمد مات والبدر طلع إماما، والعملية باظت فلا بد أن تــرد على برقية الإمام المنصور الإمام البدر." قال له: "يا سيادة الرئيس سوف لن نتعجل بالرد على البدر، الأحسن أن نؤجل الرد لأن الرد لو سمعه أصحابنا في صــنعاء ســيفهمون منه أنكم تدعمون البدر وسيمتنعون عن القيام بالعملية، لأنهم مصممون على الجريمة وعلى قتل البدر. والآن قد خف علينا العمل، لم يبق أمامنا إلا هدف واحد، انتهينا من ذلك الهدف. فقال له: "ما العمل؟" قال: "البيضاني سيلقي الليلة حديثا يهاجم فيه البدر ويهاجم الإمام حتى ولو كان قد مات والبرقية تروح في ظــل هــذا الحديث حتى يفهم أصحابنا أن البرقية فقط للمغالطة ليواصلوا عملهم. وهكــذا فعلــوا. واصــلوا الهجوم العنيف على البدر في يوم كان فيه يتولى الملك ويرســل إلــيهم ببرقية، فإذا بهم يهاجمونه ويهاجمون والده الميت، وأرسلوا برقية ليطمئــنوا العمــلاء حتى يقوموا بالعملية. فنجى البدر من الوقوع في يدهم. وأذكر أننـــي عند ما أرسلت برقية تهنئة للبدر جاء أحد مستشاري عبد الناصر لأول مرة إلــى منزلــي بعد القطيعة الطويلة والجفاء كمن يبدي الاستياء من حديث البيضاني الذي أذاعة أمس، كأنه تبارد إلى ذهنهم أنه لو فشلت العملية نمسك بجماعة الأحرار الأولين حتى لا تفوتنا الصلة بالمرتبطين بالبدر. جاءني هذا التفسير فيما بعد. قال: "جئــت يا نعمــان إلى عندك اليــوم بعد أن ذهبت إلى وزير الاســتعلامات محمد عبد القادر حاتم أقول له لا يشرف مصر أن نشتم ملكا يموت وأصبح بين يدي الله وملكــا يقوم! أنتم تريدون أن تحرقوا الجسور بيننا وبين الدول العربية، والبيضاني الذي يريد أن يظهر على حساب إحراق مصر يحرق الجسور بيننا." ثم قال: "والآن أريــد الاتصال بمدير مكتب الرئيس وسكرتيره الخاص سامي شرف" وقام وتناول الــتلفون وتكلــم مع سامي شرف قائلا: "يا سامي. أنا أتكلم من بيت زعيم الأحرار الأســتاذ نعمان وكنت عند عبد القادر حاتم، وأريد أن تبلغوا الإذاعة، هذا لا يصح،

لا يصـــح هذا الكلام، هذه إساءة إلى مصر. والبيضاني يريد أن يظهر على حساب إحراق الجسور بيننا وبين اليمن؟ من هو هذا البيضاني؟ وأطبق السماعة. فهمت أنه لو فشلت هذه العملية نعمل نحن لإبقاء العلاقات. قلت له: "ما رأيك أن نرسل برقية للبدر؟" قال: "ارسلوا له برقية تهنئة واتفقوا معه." واجتمعنا واتفقنا وأرسلت البرقية ونشـــرت في الصحف المصرية. بقينا نترقب رد البرقية ولكن الأمور سارت على غـــير مــــا كنا نتوقع. لأن المتربصين والمكلفين بقتل البدر كانوا يرتبون الأمور. واحـــتالوا علـــى الـــبدر بإخراج السلاح والمدفعية في صنعاء على أساس أن عمه الحســـن جاء لينازعه على الحكم حتى يكونوا جاهزين للدفاع عنه، في حين كانوا يرتبون هذه العملية للإجهاز عليه.

س ــ من الأشخاص الذين كانوا يعدون لهذه العملية؟

ج ــ كان عبدالله جزيلان مرتبطا بعبد الناصر، وعلي عبد المغني من الضباط الذين قتلوا فيما بعد، ومجموعة من الضباط ولكن كان على رأسهم عبد الله جزيلان وعلي عبد المغني. كانت علاقة هؤلاء بالسفارة المصرية في صنعاء. وكان محمد عـــبد الواحـــد (القـــائم بالأعمال المصري) همزة وصل بينهم وبين مصر يوافيهم بالأنـــباء. وكان حسن العمري أيضا مرتبطا بهذه العملية. وكان أكثرهم يظنون أن المصـــريين يـــريدون إنقاذ اليمن. وكان حسن العمري يعمل في اللاسلكي، فكانت البرقـــيات تأتـــي إليه، وكانوا يرمزون إليه بمدير البنك. وكان البيضاني هو الذي يتصل بهم من القاهرة. وكانت القاهرة قد أعدت له كل وسائل الاتصال، ووضعت بيـــن يديـــه المال ليتصل وينفق. وضعوا ثقتهم فيه ولم يثقوا بأي يمني آخر، لأنه عمـــيلهم وملتصق بهم. وكانوا عن طريقه يترقبون الأحداث يوما بعد يوم. وأخيرا أرغموهم بالتخويف أنكم إن لم تبادروا فإن الكارثة ستحل عليكم. فكانوا يقولون لهم امهلونا يومين أو ثلاث حتى يتم كل شيء. وكان البيضاني يقول قنبلة واحدة تكفي لتطهـــير اليمن. ويشوّق المصريين ويشعرهم أن المسألة سهلة ومن البساطة بمكان بحيـــث لا تحتاج إلا إلى قنبلة واحدة. فظلوا على هذا النحو يعدون إلى أن هاجموا

القصـــر ليلا يوم الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢. ولم يكن عبدالله السلال موجودا لأنه لـــم يكن قابلا لأن يتصدر الحركة. وكان الذي رشح هو حمود الجائفي لكنه رفض هذه العملية وقال إن هذا تعجل ونحن غير مستعدين وستحل الكارثة على رؤوسنا. وقـــيل إن الســـلال قال للمصريين نحن لا نستطيع أن نقوم بهذه العملية لأن القبائل ســـتطبق عليـــنا وعلى صنعاء وتنهبها كما جرى سنة ١٩٤٨، والسعوديين كذلك. فقـــالوا لهم عليكم فقط بإطلاق الطلقة الأولي لا غير ودعوا الباقي علينا. عليكم أن تجهـــزوا علـــى البدر، وإذا سقطت هذه الشرعية فكل شيء سيتم. فرتبوا أمورهم جميعا وضربوا القصر، وشعروا أن البدر نجى، ماذا يعملون؟ دعوا كل الذين كانوا متعاونيين مع البدر، من عمه سيف الإسلام علي وكان مسكينا في بيته لا شـــأن له فـــي شـــيء، وعمـــه الآخر إسماعيل، وابن عمه الحسن بن علي، وأجهزوا عليهم جميعا. جلبوهم من البيوت وأطلقوا عليهم الرصاص بطريقة وحشية فظيعة. حسن إبراهيم، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب، يعني العناصر البارزة. والقصد من ذلك إذا عاد البدر يكونون قد سحقوا كل أعوانه وأنصاره. بينما هم يجدّون في تنفيذ هذه العملية خرج البدر وهرب. ألحوا على مصر أن ترسل الجيوش بسرعة وترسل الطائـــرات وأن تـــنقذهم بسرعة لأنهم واقعون في الهلاك لأن البدر سيؤلب عليهم القبائل. جاءت الطائرة لتقصف حجة لمطاردة البدر، لأنهم كانوا يظنونه في جهات حجـــة. أقبلـــت الطائـــرات وكـــانوا في خوف شديد. لم ينقذهم إلا إرسال القوات المصـــرية. كانت القوات منذ البداية تسير في البحر، وكان كل شيء قد رتب قبل التحرك للإطاحة بالبدر. كانت البواخر في البحر تنقل الجنود والطائرات. وخرج البيضـــاني المعـــتمد السياسي المصري والمندوب فوق العادة ليسيطر على الأمور وتبقي الاتصالات جارية. وجعلوا البيضاني الحاكم الفعلي لليمن. وهذا هو الذي زاد مـــن ســـخط اليمنيين جميعا، جمهوريين وغير جمهوريين، أن يأتي هذا البيضاني لـــيحكمهم؟ هـــذا المشـــبوه الجاسوس. يعني كان له في أذهان الناس صورة غير مرضـــية. وبقـــي خـــلال هذه الفترة إلى أن خرجنا نحن بالطريقة التي عرفتموها وأعادنا إلى مصر بالطائرة مرة أخرى.

(بداية الوجه الأول من الشريط الثامن)

الــزيدية فـئة من الشعب اليمني ارتبطت بمذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد دخل مذهب الإمام زيد إلى اليمن عند ما جاء الإمام الهادي إلـى الحق يحيى بن الحسين في القرن الثالث للهجرة إلى اليمن لاجئا إليها بعد أن دارت معارك بين العباسيين والعلويين في البلاد العربية، فلجأ هذا إلى اليمن ونشر مذهـبه. اعتـنق المذهب جماعة من القبائل وأصبح للهادي ذرية أنجبت وتناسلت وكان أئمة الزيدية منهم. وقامت في المناطق الشافعية دول بني زياد، والرسوليون، والصـليحيون الفاطمـيون. انتشر بعض هذه الدويلات في الشمال وتصارعت مع الزيدية، وبعضها في الجنوب في مناطق شافعية. وكان كلما جاء غزو من الخارج يلـوذ الشـوافع به خوفا من سيطرة الزيدية، وكلما تقلص النفوذ الخارجي امتدت الـزيدية وحكمـت اليمن كاملا. يبسطون سيطرتهم على الشوافع، ويحكمو بالظلم، ويـبالغون فـي جباية الأموال باسم الزكوات، حتى قيل لأحد الأئمة "لقد سلبت من الناس الشيء الكثير والزكاة المقررة في الإسلام هي العشر وأنت تأخذ الآن أكثر ما بيد الأهالي" فقال: "إني أخاف أن يعاقبني الله على ما أبقيه لهم" أي أنه يعطي لنفسه حق استصفاء جميع ما في أيديهم. وعندهم مبررات لهذا، فقد يغزوهم أجنبي فيقاتل الأئمة بالأموال التي معهم. ولذلك يعملون لسحب ما في أيدي الناس حتى لو غزاهم غـاز لا يجـد شيئا يقاتل به. هذه من التعليلات والشبه التي كانوا يثيرونها. وأيام الـتخلف كـان الإنسـان ينظر لأصحاب المذهب الآخر كأنهم من دين آخر بسبب التعصـب المذهبـي ما بين زيدي وشافعي، ما بين حنفي ومالكي، ما بين شافعي ومالكـي، علـى اعتـبار أن المذاهب الإسلامية المشهورة كانت أربعة: الشافعي، والحنبلي، والمالكي والحنفي. ولكن الأئمة وأتباعهم كانوا يقولون إن المذهب الزيدي المذهب الخامس، وكان معارضـوهم يقولون إنه مذهب خارجي ليس له أصـل . وكانـت الشـافعية تحـارب على هذا الأسـاس ويقولون إنه لا يوجد حول الكعبة إلا أربعـة مقامات: المقام الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي. فإين الزيدي؟ فيرد الـزيدي بأنـه فوق سطح الكعبة. عاشت اليمن بين مد وجزر. وكان أئمة الزيدية يسـتولون علـى اليمن كلها أحيانا، وأحيانا ينسحبون إلى جبالهم في شهارة أو في

غـــيرها ويظلون هناك إلى أن تأتي دولة غازية. وجاء الأتراك، وسيطروا في آخر أيام الإمبراطورية العثمانية على مناطق اليمن كلها. وتولى الإمام المنصور محمد، والد الإمام يحيى قتال الأتراك. وعند ما مات تولى بعده ابنه لإمام المتوكل يحيى. فكانـــت الحـــرب دائما بين اليمنيين والأتراك. ولكن المــراد باليمنيين هنا الزيود، أمــا الشـــوافع كلهـــم فكانوا خاضعين للسلطة العثمانية وخاصة تهامة اليمن ومنها الحديدة، وكذلك تعز، وإب، والبيضاء. أما عدن وما إليها فكانت بيد الإنكليز. هؤلاء الأتـــراك (نهايـــة الشريط) حينما حكموا كانوا يغذون هذه الناحية ويثيرون الشوافع ضد الزيود، وكان الزيود يعتبرون الأتراك كفارا ونصارى، ويعتبرون من يتعاون مـــع الأتـــراك فهـــو مـــنهم، ويعتبرون الشوافع إخوان النصارى. كان ذلك بسبب الحـــروب والدعايات، وكل طرف يقذف الطرف الآخر بما يكسب به نصرة قومه. وظلـــت الحـــروب في اليمن على هذا النحو بين الزيدية والشافعية، أو بين الزيدية والغـــزاة الذين يحكمون المناطق الشافعية. وقد حارب الإمام يحيى الأتراك وكانت بيـــنهم معارك ولكن في مناطق معينة من المناطق الشمالية لا يتعدوها. أما صنعاء فكانت بيد الأتراك وإن تعرضت لهجمات متكررة ومعها سائر المناطق. وتواصلت الحـــرب خـــلال فـــترة طويلة. ولكن وقع بين الإمام والأتراك صلح، في معاهدة يســـمونها صلح "دعان" باسم المنطقة التي التقوا فيها. وهكذا اتفق الإمام والأتراك على أن يبقى الأتراك مستولين على مناطق كثيرة من اليمن على أن يجعلوا للإمام شيئا من النفوذ الروحي وخاصة في مناطقه. لكن المناطق التي يسكنها شوافع تبقى تحت حكم الأتراك. إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولي سنة ١٩١٤، حين دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. وجد الأتراك أنفسهم في حالة حرب، فهل يظلون يحاربون الإمام يحيى أم يحاربون الإنكليز، لأن الإنجليز كانوا مســـيطرين علـــى عدن وأراد الأتراك الموجودون في اليمن أن يستولوا على عدن وعلى مضيق باب المندب. هاجموا هذه المناطق. وهبطوا إلى لحج وأحاطوا بعدن وأقاموا مواقعهم على مقربة منها في منطقة الشيخ عثمان. كل ما فعله الإمام يحيى أن هادنهم ولكنه لم يقاتل معهم. والذين قاتلوا مع الأتراك ضد الإنكليز هم الشوافع، أمـــا الـــزيود فظلـــوا مهادنين لا يتعرضون للأتراك، ومتوقعين أن ينهزم الأتراك

ليستولوا على البلاد من بعدهم. وقد هزمت تركيا واضطرت أن تسلم البلاد. لم يكن الإنكليز يطمعون باليمن. ومن حيث أن الإمام كان مهادنا لهم لم يشارك في الحرب على الانجليز رأوا أن يتركوا قسما من اليمن الكبيرة للإمام ويكتفوا بالسيطرة على عـــدن والمحمـــيات. وانسحب الأتراك من المناطق التي كانوا قد استولوا عليها في الجنوب ليستعيدها الإنكليز. وعند ما رأى الإمام يحيى أن أمامه فرصة كبيرة اتجه للتفاهم مع الإنكليز وهادنهم ودخل صنعاء. وهكذا استولى الزيود على الحكم والويل للشـــوافع الذين تعاونوا مع الأتراك على الرغم من أن الشافعية أعلنوا ولاءهم حالا للإمـــام يحي ومن جملتهم عمي عبد الوهـــاب من الحجـــرية. تسابقوا جميعا لأنهم لا يريدون أن ينضموا إلى الإنكليز مع أن الإنكليز ساوموا الشوافع على أن ينضموا إليهم فرفضوا ورأوا أن يرتبطوا بالدولة الإسلامية دولة الإمام.

اســـتولى الزيود على الحكم ولم توجد حكومة للشوافع الذين كانوا دائما رعيّة، يدفعون الضرائب. وإذا أعطوا وظائف يعطون وظائف محدودة، لكن لا حق لهم في السلطة. ولا يوجد فروق في أصل المذهب، الخلاف كما ترون والعداء إنما جاء من ناحـــية السياســـة والحـــروب. أما من ناحية المذهب لا توجد فروق. إلا أن الأئمة الـــزيود يرون أن خليفة الرسول هو الإمام علي بن أبي طالب، وأنه الخليفة الأول في حين يرى الشوافع أن أبو بكر هو الخليفة الأول. توجد فروق في المسائل الدينية شكلية، مثلا هذا يضم يديه إلى صدره في الصلاة وذاك يسربل، يعني أشياء بسيطة، والاجتهاد عند الزيدية مفتوح وعند الشافعية مغلق. لم يعد يوجد اجتهاد في المسائل الفقهـــية والعلـــيمة. يقولون يجب تقليد إمام من الأئمة لأن زمن الاجتهاد قد انقطع. ويوجد عند الزيدية كذلك ضـــرورة الخـــروج على الإمام الظـــالم. وعند الشوافع لا يجـــوز الخروج على الإمام الظالم إلا إذا كفر كفرا بواحا. أما إذا كان ظالما فإن الظلـــم من طبيعة النفوس ويلجأون إلى الدعاء إلى الله والتوسل. وتعتقد الزيدية أن المـــرء مخيّر بينما يؤمن الشوافع بالقضاء والقدر، أي أن الإنسان مجبر. وباعتبار الـــزيدية فـــئة من المعتزلة فإنهم متحررون فكرا أكثر من الشوافع. الأصل فروق مذهبـــية كما رأينا، ولكن حينما استأثر الزيود بالسلطة أوجد هذا شيئا من العداوات ومـــن الأحقاد والسخط. لأن هؤلاء الشوافع كانوا مضطهدين، بسبب أن الجيش من

الــزيود والحكــام مـــن الــزيود والأئمة من الزيود. فأوجد هذا خلافا بين الزيدية والشافعية في اليمن. وفي عهد الإمام يحيى على الرغم من هذا العنف بدأت الوحشة تزول. اختلط الزيود بالشوافع وبدأ الشوافع يطلعون إلى بلاد الزيود، مع أنه لم يكن يوجــد شـــافعي يسكن في بلاد الزيود، في حين كان يوجد زيود يسكنون في بلاد الشوافع ويأخذون أراضي لأنهم آمنين، أما في مناطق الزيود لم يكن يوجد أحد من الشـــوافع، وكانـــت العزلة قائمة. أما في عهد الإمام يحيى فقد بدأ الاختلاط وبدأت الوحشة تتلاشى وتزول.

وفي الوقت الذي كان فيه الإمام يحيى يقاتل الأتراك، كان يوجد أيضا الأدارسة في عسير وتهامة. والأدارسة شوافع، والإدريسي زعيمهم شافعي. فكان بينه وبين إمام الزيدية دائما خلاف واحتكاكات. امتد حكم الأدراسة في منطقة عسير إلى تهامة اليمن وإلى الحديدة وإلى زبيد وأصبحت لهم دعاية منتشرة. كان لهم في أول أمرهم دعوة صوفية. خرج جدهم السيد أحمد بن إدريـــس إلى هذه المناطق وظل ينشر الدعوة الروحية والتصوف والدعوة إلـــى الله وتطهير النفوس إلى أن جاء أولاده وحولوها إلى سلطة سياسية. لأن الناس نصروهم تحولوا إلى أئمة. هكذا تبدأ السلطة أولا فكرة روحية. يأتي رجل يعلم الناس أمور الدين. ويحسن الناس به الظن ويثقون فيه ويبدأ بحـــل مشـــاكلهم وهكذا. وإذا به قد أصبح حاكما بالتدريج. ويصبح ورثته حكامـــا. جـــاء أحفاد هذا الإدريسي وأخذوا المنطقة في حين كان جدهم قد بدأها بدعوة دينية. ثم ارتبطوا بالطليان لأن الطليان أرادوا محاربة الأتراك. وكانـــت علاقـــاتهم بالأدارســـة وطيدة فكانوا يستمدون السلاح من الطليان ويحـــاربون الأتراك، وظل الأتراك يحاربونهم. وعلى الرغم من أن الإمام كـــان يحـــارب الأتراك، كان يشعر أن هؤلاء الأدارسة منافسون خطرون، أولا لأنهـــم ســـادة ينتسبون إلى النبي ولكنهم شوافع. وكيف يكون الشافعي حاكمـــا وخلـــيفة؟ فكان يخاف منهم خوفا شديدا. وبعد أن انسحب الأتراك اســـتولى الأدريســـي علـــى إمارة عسير وتهامة حتى الحديدة، وهو ميناء

صـنعاء واليمـن. ظلـت صنعاء محاصرة بدون ميناء. ولم يكن الإنكليز راضـين عن الإدريسي لأنه حليف للطليان. وأرادوا أن يتفاهموا مع الإمام يحـيى ولكن بأي مقابل؟ كان المقابل أن يقتطعوا مناطق من جنوب اليمن لـيدعموا الإمـام في الحديدة ضد الإدريسي. ودخل الإمام في حروب مع الإدريسي وترك الحرب مع الإنكليز في الجنوب. وفي الوقت الذي كان فيه الإمـام منشـغلا بالإدريسي كان الإنكليز يستولون على المواقع المهمة في الضـالع. وكانـت المناوشـات تقوى وتتسع الحروب مع الأهالي. ولكن البريطانيـن لـم ينجحوا بسهولة. فاستخدموا الطائرات في بعض الأوقات واسـتولوا علـى مـا أرادوا من أراض. ودخل الإمام يحيى في حرب مع الإدريسـي فـي لـواء الحديدة، وأخرج الأدارسة من المنطقة الممتدة من الحديـدة إلى ميدي. وبعد ميدي توجد المنطقة التي هي الآن جيزان وأبها علـى اعتبار أنها يمنية. عندها تحالف الأدارسة مع عبد العزيز آل سعود، فحمـاهم وتـركهم في عسير. ومات محمد بن علي الإدريسي فخلفه أبناؤه الذيـن اختلفوا مع السعوديين ولاذوا بالإمام يحيى والتجأوا إليه. فقام الإمام يحـيى ليسـترجع عسـير وأبهـا مادام الإدرسة معه. ودخل الحرب مع السـعودية. فانتصـر عبد العزيز آل سعود وأخذ تهامة كلها حتى الحديدة وضـم أكثر المناطق. فتراجع الإمام يحيى وقال: "يكفى ما قد كان. ونعوذ بالله من المتربصين بالإسلام شر الدوائر. ولكن ارجع لي الأراضي التابعة لـي. مـثل عبد الناصر عند ما كان يريد أن يأخذ إسرائيل فأخذت سيناء، والآن يقول خذوا غزة وكل شيء وأتركوا لي سيناء. تصرف الإمام يحيى التصـرف نفسـه. يريد الحديدة والمناطق الأخرى لأن الشوافع مالوا إلى السـعوديين بسبب ضيقهم من الإمام. رأى الإمام أن اليمن كلها ستسقط من يـده، فعقـد صلحا. وسعى لعقد الصلح أيضا وفد من لبنان وفلسطين من أعضائه شكيب أرسلان.

س ــ بدأت في ذلك الوقت تفتش عن آيات قرآنية لتجد حلا، لأنك كنت بعيدا عن السياسة أليس كذلك؟

ج ــ نعم. لهذا كنت ألوذ بالمساجد ونقرأ الآيات للتعوذ من هذه الأشياء. لكن الأحداث تلاحقت بسرعة فكانت تكنس كل الماضي وتطارده مطاردة شديدة. استولى السعوديون على عسير وصفّوا الأدارسة نهائيا وانتهت إمارتهم. مع أنهم كانوا أولا مـــع الطلـــيان وضد الأتراك، وعاشوا في هذه الإمارة يحاربون الأتراك فترة من الزمن، كانوا قد تصالحوا معهم، وتواصل حكمهم في عهد الإمام يحيى لمدة. وكان بعض القبائل اليمنية يرتبط بهم. وأخيرا انتهى الأدارسة نهائيا واستولى السعوديون على عسير وأصبحت جزء من المملكة العربية السعودية. ولم يقبل عبد العزيز آل ســعود الصـــلح مـــع الإمام إلا بتسليم أولاد الإدريسي والتخلي عن مناطق معينة. ووافق بعدها على سحب قواته حسب اتفاقية "الطائف" سنة ١٩٣٤. وعند ما حارب الإمام السعودية كان قد وقع اتفاقية مع الإنكليز لمدة أربعين سنة، تبقي الحدود كما هـــي علـــيه في الجنوب. لأن في الأصل تطلق تسمية اليمن الطبيعية على ما بين الحجـــاز ومســـقط وعمان، وكانت تسمى المخاليف: مخلاف حضرموت ومخلاف الجـــند ومخلاف صنعاء، ما يطلق عليه الآن بالألوية كان يسمى المخلاف. فكانت اليمـــن تنقسم إلى خمسة مخاليف، ولم يعرف القسم الجنوبي بأنه كان يوما ما دولة مســـتقلة أو منفصلة عن اليمن. وحينما جاء الإنكليز إلى عدن عام ١٨٣٩ ليتخذوا مـــن عـــدن قـــاعدة لتموين سفنهم وللسيطرة على طريق المواصلات بين الشرق والغـــرب، لـــيربطوا المحيط الهندي بالبحر الأحمر من أجل تموين السفن البخارية بـــالفحم، اتخـــذوا مـــن عـــدن قاعدة. وكانوا يطلقون على ما يسمى الآن الجنوب "المحمـــيات التســـع" التي تضم حضرموت والضـــالع ولحج ودثينة والحواشـــب، ولـــم تعـــرف باســـم مستقل بل كانت تسمى عدن والمحميات التسع. وعند ما كان الأتـــراك يحكمون اليمن كانوا يطلقون عليها النواحي التسع، أي أنها نواحي تابعة لليمـــن. وحينما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وكانت اليمن ولاية تابعة للخلافة العثمانية، تركيا وألمانيا من جانب والحلفاء من جانب آخر، حاول الأتراك وهـــم مقـــيمون في اليمن أن يسترجعوا عدن من يد الإنكليز ويسيطروا على طرق

المواصـــلات ومنها بوغاز باب المندب. سيطر الأتراك على بوغـــاز باب المندب ثم حاولوا استرجاع المحميات، فنزلت جيوشهم بقيادة علي سعيد باشا الذي كان قائدا تركيا في اليمن مع بعض القبائل اليمنية من الشوافع، أما الزيود كما تحدثنا من قبل فكـــانوا يحاربون الأتراك وهم في الشمال إلا أنهم وقعوا هدنة بينهم وبين الأتراك خـــلال الحرب العالمية وخلال حر ب الأتراك مع الإنكليز. استرجع الأتراك لحج والصـــبيحة والضـــالع ومعظـــم المحميات وسيطروا عليها. وحينما انتصر الحلفاء وانســـحبت تركيا عاد الإنكليز مرة أخرى إلى هذه المناطق. وكانت القوات التركية قـــد اقتربت من عدن حتى الشيخ عثمان واستولت عليها. وبعد الحرب العالمية بدأ الإنكليز يفكرون بفصل الجنوب عن الشمال وأن يوجدوا فيها دولة لأبناء المحميات لكي ينفصلوا عن الشمال الذي حارب إلى جانب الأتراك ضدهم. وبدأت هنا تتبلور فكرة انفصال الجنوب، لأن الإنكليز يريدون مبررا شرعيا لبقائهم في المحميات عن طريق دولة يتفقون معها على استمرار وجودهم. وكان بين الإمام يحيى والإنجليز بعـــض الـــتفاهم، باعتـــبار أن الطرفيـــن كانـــا ضد الأتراك. فلم يتحمس للمطالبة بالمحمـــيات ولا بمـــا كان قد استولى الأتراك عليه من أراض وضموه إلى اليمن. وترك لحج والصبيحة ومناطق كثيرة للإنكليز ليتفرغ لقتال الإدريسي المنافس لـــه على الإمامة والسيطرة على اليمن. وهكذا أنصرف الإمام لمحاربة الإدريسي وعقد هدنـــة مع الإنكليز الذين استغلوا فرصة انشغال الإمام بهذه الأمور وأخذوا ينظمون أمورهم في المحميات. وبعد انتصار الإمام على الأدارسة والاستيلاء على ما كان بـــأيديهم مـــن اليمـــن، عاد لفتح معارك مع الإنكليز. ولكن الإنكليز كانوا يملكون الأســـلحة والنظام ولم يكن عند الإمام شيء، فبدأت الطائرات عام ١٩٢٧ تقصف بعـــض المدن اليمنية مثل الحديدة وبعض مناطق الحدود، فاستسلم الإمام ورأى أنه غـــير قادر على أن يدخل معهم في معارك وإن ظل حتى عام ١٩٣٤ يقوم ببعض المناوشات مع الإنكليز. وبدأ الخلاف بينه وبين عبد العزيز آل سعود لأن الأدارسة رأوا أن يلتجئوا إلى السعوديين وأن يضموا منطقة عسير وما إليها للسعوديين نكاية بالإمام. ولذلك بدأ الاحتكاك بين اليمن والسعودية مباشرة، فقرر الإمام أن يسترجع هـــذه المـــناطق بـــالقوة. أرسل عبد العزيز آل سعود مندوبين إلى الإمام دخلوا في

مفاوضات من أجل الحدود ولم يصلوا إلى اتفاق. وكان الإمام يعتقد أن عبد العزيز آل سـعود لا يملك القوة التي يملكها الإمام، وأنه في الحجاز غير مقبول لأنه ليس مـن آل النبـي والإمام يحيى من آل رسول الله، ويرى أنه أولى بحماية الحرمين الشـريفين مـن هذا البدوي صاحب نجد الذي ليس لديه علم ولا شريعة. وقد كان الإمـام ينفّر الناس دائما من العرب، ويعتبر أن جميع حكام العرب ليسوا شرعيين فـي حين أنه وحده الخليفة المسؤول عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فمن حقه أن يحمي مقدسات الإسلام في الحرمين. وتحت هذا التأثير دخل في حرب مـع الملك عبد العزيز آل سعود. وكان الإمام يحيى يرى أن عبد العزيز آل سعود إمـام غـير شرعي وأنه اغتصب الحرمين الشريفين من أشراف مكة الذين كانوا يحكمـون الحرمين الشريفين ومنتسبين أيضا إلى رسول الله، فولايتهم شرعية على الحرميـن. لذلـك فشلت المباحثات بين عبدالعزيز والإمام. وكان يظهر أن الإمام يحـيى نفسـه يتلاعب. وكان عبد العزيز آل سعود بدويا صريحا. ومعروف عنه الصراحة، حتى أن أمين الريحاني الذي قام برحلة إلى اليمن وإلى الجزيرة العربية زار عبد العزيز آل سعود وزار الشريف حسين في أيام حكمه بمكة والمدينة وزار الإمـام يحيى. فكان يتحدث عن عبد العزيز آل سعود قائلا إنه صريح وأنه يعترف بالبساطة والجهل. ونقل عنه كلمة يقول فيها "حنا ما تعلمنا وعلى الذين عندهم علم أن يعلمونا"، بينما كان الإمام يحي يقول (الوجه الثاني من الشريط الثامن) "قبّح الله ملكـا يدخـل عليه من هو أعلم منه". فكان اعتداده بنفسه قويا وبأنه خليفة الله في الأرض وخلـيفة رسول الله، ويرى أنه أولى بالاستيلاء على الحرمين. وما اعتبر الحـرب واسترجاع الحدود اليمنية إلا مبررا، وإلا فكان عنده أمل بأن يسيطر على الحرمين الشريفين ويخلصهما من آل سعود. وقد بلور هذا المعنى الأستاذ الزبيري في أبيات يهجو فيها الإمام يحيى قائلا:

فـيا ملكـا لـج فـي بطشـه	**وداس الـبلاد وأخـنى بهـا**
ودب لأمـته فـي الظـلام	**دبيـب اللصـوص لأسـلابها**
وذر الغـبار بأجفانهـا	**وصـب السـموم بأعصـابها**
وقـال لها مصر أرض الفجور	**تسـير الخمـور بأبوابهـا**

وبغــداد عاصـــمة الملحديـــن ومكـــــة نهـــــبا لأعـــــرابها
و مـــا الأرض إلا لـــنا وحدنـــا ولكـــــنهم غالطونـــــا بهـــــا

فتحـــت تأثير هذا الوهم الذي سيطر على الإمام بأنه الأحق، اتفق مع الإنكليز علـــى هدنـــة ووقـــع معهـــم معاهدة لأربعين عاما سنة ١٩٣٤ ليتفرغ للحرب مع السعودية. وحينما يفرغ من الحرب مع السعودية سيستأنف الحرب مع الإنكليز لأنه كان يقول "خذ الفروض بالعهود". فهو في حال الضرورة يهادن ولكنه حينما تزول هـــذه الضرورة ينقض العهد. كان هذا دأب الإمام يحيى دائما. وعمل الإنكليز في هـــذه الفترة أيضا لتحقيق الكيان المستقل في الجنوب، وظلوا يبحثون عمن يتبنون هـــذه الفكـــرة مـــن أبناء الجنوب. ولكن أبناء المحميات كانوا أشتاتا. أعطوا لقب الســـلاطين ولكن مثل لقب العمدة أو لقب الشيخ وقرروا لهم مرتبات ولكن لم يكن عندهؤلاء السلاطين فكرة عن الدولة ولا يمكن أن تبنى دولة في هذه المنطقة، لأن السكان قليلون والأرض متسعة والعلم مفقود. يعني كانت مقومات الدولة مفقودة.

وكانت اليمن تمضي نحو التأخر والعزلة بمرور الأيام. وأصيب الإمام بهزائم متوالية. هزم على يد السعوديين، وهزم على يد الإنكليز. وقد أسقطت هذه الهزائم هيبـــته فـــي اليمن. فظل ينكمش ولا يطمح. ونشأت فكرة الأحرار كما تحدثنا لأن اليمـــن أصبحت عرضة للضياع، فقد تأتي إيطاليا التي كان لها مطامع، أو قد يفكر الإنكليز يوما باحتلال اليمن. لكن الإنكليز أرادوا أن يوجدوا هذا الكيان. فلما قامت حركة الأحرار كان أبناء الجنوب مرتبطين بها. حتى قادة الانفصال فيما بعد، كانوا مـــن أكثر المتحمسين لفكرة الأحرار لكي تتحرر اليمن من الحكم المتخلف ويقوم فيها حكم عصري يشمل المنطقة كلها. وكان فيهم محمد علي الجفري رئيس رابطة أبناء الجنوب، والسيد شيخان الحبشي، وسالم الصافي. كل هؤلاء اصبحوا فيما بعد قـــادة لدعوة الانفصال. بعد قيام حركة الأحرار وقيام الحكم الدستوري عام ١٩٤٨ وقـــتل الإمام يحيى وسقوط حكمه، تشكلت حكومة لم يفكر الأحرار بأن يدخلوا فيها عناصـــر مـــن أبناء الجنوب، بل جعلوا كل الحكومة من الشمال فقط. بعد هذا بدأ الإنكلـــيز يلفـــتون نظر أبناء الجنوب إلى أن الشماليين إنما يستغلونهم للوقوف مع

الشــمال، وهــم حينما شكلوا الحكومة لم يدخلوا أيا منهم في الحسبان. كأنهم ليسوا مواطنيــن. فبدأ من بعد ١٩٤٨ وفشل حركة الأحرار التفكير عند المثقفين من أبناء الجنوب بإيجاد كيان خاص بهم. أوحى الإنكليز لهم باسم براق يجلب مشاعر العرب لتدعيم هذا الكيان فأعطوهم تسمية "الجنوب العربي" ليفصلوا بينه وبين الشمال في اليمــن، لتبقى اليمن محصورة في المنطقة التي يهيمن عليها الإمام يحيى إلى حدود المملكة العربية السعودية. أما ما عداها فاسم آخر لا يتصل باليمن بشيء: "الجنوب العربــي". ظل الصراع حول هذه التسمية، وكان على أحرار اليمن أن يقــاوموها. وقــد تبــنى هــذه التسمية رابطة أبناء الجنوب بقيادة محمد علي الجفري وشيخان الحبشــي وسالم الصافي الذين كانوا يعملون مع الأحرار من أجل تحقيق يمن واحد والــتخلص من الاستعمار. تبلورت هذه الفكرة وظلوا يدعون الناس إليها. لم يقبل الإمــام أحمد بهذه التسمية، وكان يرفض إذا جاءت إلى الجامعة العربية أية مذكرة تحمــل اسم "الجنوب العربي" ويصر على أن تكون التسمية "الجنوب اليمني". وعند مــا قــام عــبد الناصر طامحا باسم العروبة ليسطر على البلاد العربية باسم هذه العروبة، بدأ يقوي "اسم الجنوب العربي" ويدعم رابطة أبناء الجنوب نكاية بالإمام، غير عابئ بفصل الجنوب عن الشمال. لأن كلمة العربي كانت تلهب مشاعره دائما كشــعار يطغــى به على العالم العربي. اختلف الأحرار مع رابطة أبناء الجنوب، ووقــع انقســام شديد بينهم. فقام مؤتمر نقابات عمال عدن بقيادة عبد الله الاصنج، والعمــال الذيــن في عدن أغلبهم من أبناء الشمال، فكانوا يتحمسون ويطلقون على أنفســهم عمال جنوب اليمن ولا يطلقون عليها الجنوب العربي. وبدأ الصراع بين المؤتمــر العمالــي ورابطة أبناء الجنوب. وتبنى عبد الناصر رابطة أبناء الجنوب وظــل يدعمهــا ويقويهــا. وكــان الإمام يحترق. ولم تسجل الجامعة العربية في محاضــرها اسم الجنوب العربي بل الجنوب اليمني. وفكر الإنجليز فيما بعد بإقامة دولــة "اتحاد إمارات الجنوب العربي" وجمع السلاطين في مجلس من أجل تحقيق هــذا الانفصــال وإقامــة الدولــة. تواصــل الصراع. وكان الأذكياء من اليمنيين والمفكرين كلما نبهوا المصريين إلى أن هذه التسمية خطرة لأنها تقسم اليمن قسمين كانوا يقولون "التسمية ليست مهمة. ماذا ستعملون؟ فهل أنتم قادرين على أن تفعلوا

شيئا؟" وظلوا يدعمون رابطة أبناء الجنوب. فلما اختلفوا معها عادوا لتقوية المؤتمر العمالي ويتمسكون بالأصنج ويقاطعون الرابطة. وأنضم إلى الرابطة السلطان علي عبد الكريم الذي كان سلطانا للحج، خرج على الإنكليز وأنضم إليهم إيمانا بالعروبة. وأخيرا أهملوا رابطة أبناء الجنوب وشدوا أزر عبد الله الأصنج. وتبلورت الحركة بتكوين جبهة تحرير جنوب اليمن. رجع المصريون فيما بعد لاستعمال اسم جنوب اليمن. بدأ عبد الله الأصنج بحركته العمالية على أساس أن تكون حركة يمنية وتحقق الوحدة مع اليمن الواحدة. وأراد المصريون للانقسام أن يتعمّق فأمسكوا بقحطان الشعبي زعيم الجبهة القومية وألغوا الأصنج. وساروا وقتا مع قحطان الشعبي الذي كان مرتبطا برابطة أبناء الجنوب وكان عضوا في رابطة أبناء الجنوب يدعو أيضا للفصل. وأخيرا تبنى الجبهة القومية. فشل قحطان الشعبي فعادوا يمسكون بعبد القوي مكاوي. جاءوا بالمكاوي وضموه إلى الأصنج وأطلقوا جبهة التحرير خلال هذه الفترة. والموقف يتبلور على أساس أن هناك دولة مستقلة في الجنوب في مواجهة الجمهورية التي في الشمال إلى أن جلا الإنكليز عام ١٩٦٧. فجاءت الجبهة القومية وطمرت كل الفئات ولم تقبل جبهة التحرير التي كان يدعمها عبد الناصر ويؤيدها. لأنه أيدها انتصرت الجبهة القومية. ورأى الإنكليز أن يسلموا الأمور للجبهة القومية نكاية بالمصريين ونكاية بالوطنيين أيضا الذين ظلوا يكافحون ضد الإنكليز هذه المدة. فتولى قحطان الشعبي وأطلق عليها جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وعنده مطمح بأنه سيستولي على الشمال أيضا وبدأ الصراع. ولكن مصر عادت تدعم الجبهة القومية واعترفت بها. وكانت أول من اعترف بقحطان الشعبي وجمدت جبهة التحرير في القاهرة، وهي التي ظلت معها هذه المدة كلها، واعترفت بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

بدأ الشمال يتطلع لتحقيق الوحدة واستعادة الجنوب. فبعد جلاء الإنكليز من الجنوب وخروج المصريين من الشمال جاء الوقت المناسب لأن تتحقق الوحدة بين البلدين وتتحقق الوحدة الوطنية. وقد كان كل الأحرار ينادون بهذا الشعار، وأصرت الجبهة القومية وبتدعيم من مصر على الانفصال لتبقي منفصلة عن الشمال باسم دولة مستقلة. والتجأ كل أبناء الجنوب: الرابطة وجبهة التحرير التي يرأسها مكاوي

إلـــى صـــنعاء مطالبين بتحقيق الوحدة. أصبح الصراع الآن بين الشمال والجنوب، وأسس الشمال مجلسا وطنيا وخصص فيه أثني عشر مقعدا شاغرا لممثلي الجنوب علـــى اعتـــبار أن الجنوب جزء لا يتجزأ من اليمن وإنما الظروف التي كانت تقيد حكومـــة صنعاء خلال هذه الفترة ظروف خارجية تحررت الآن منها فأصبح من حقهـــا أن تطالب بإعادة الشطر الثاني. والصراع الآن قائم. فالجبهة القومية تنادي بـــالوحدة ولكـــن بشرط أن تكون الجبهة القومية هي المسيطرة وإخراج الرجعيين وإخراج أصحاب العهد البائد، أي الوحدة بشروط الثوريين. الموقف إلى اليوم على هـــذا النحو. أبناء الجنوب من جبهة التحرير والرابطة مع حكومة صنعاء يطالبون بتحقـــيق الوحدة. والوضع الطبيعي أن تشمل اليمن عدن والمحميات وحضرموت، وأن تقـــوم حكومـــة مركزية تتألف من جميع أبناء المنطقة. ولكن الانفصال الآن يحـــارب بعـــنف. هـــذا ما يتعلق بالجنوب اليمني. خصصوا اثني عشر مقعدا في المجلـــس للجـــنوب. على أساس أن يعقد أبناء الجنوب الموجودين في صنعاء وفي مـــناطق الجنوب مؤتمرا وطنيا لينتخبوا اثني عشر عضوا من النواحي المختلفة في الجنوب ليمثلوا الجنوب في المجلس. وما تزال المقاعد شاغرة الآن.

س ـــ اخبرنا عن القبائل وتأثيرهم في توجيه السياسة والحكم؟

ج ـــ لا تـــزال القـــبائل فـــي اليمن في أكثريتها، مع طول العزلة اليمنية التي ضـــاعفها الإمـــام يحيى بحجة حماية البلاد من الاستعمار، على فطرتها الأصلية، تعـــيش عيشـــة بسيطة في قمم الجبال في القرى والأودية. وتعيش هذه القبائل في الشـــمال مسلحة. ما إن يصل الطفل إلى سن الحادية عشرة حتى يتدرب على حمل السلاح. وجند الأئمة هذه المناطق في الشمال حيث القبائل الزيدية لتكون دائما تحت ســـيطرتهم ليحموا بها البلاد ويجاهدوا بها في سبيل الله. كانوا دائما يطلقون عليهم لقب "المجاهدين في سبيل الله". يمنحهم الأئمة هذا اللقب. إنها تعيش عيشة بسيطة، لا يكـــاد يوجـــد التعليم بينهم، بل هو محصور في مدن معروفة مثل مدينة شهارة ومدينة صعدة والمناطق التي عاش فيها الأئمة الزيدية، يعلمون فيها الفقه الإسلامي فـــي حـــدود القواعـــد الشرعية وشيء من قواعد اللغة العربية إلى درجة محدودة ليخرج منهم القضاة الذين يفصلون في خصومات الناس وبعض الذين يفقهون الناس

فـــي أمور دينهم. أما القبائل فتكاد تكون أمية لا تتعلم. ويوجد في كل قبيلة فقيه من أجـــل عقد الزواج والتعليم، ويعتمدون في عيشتهم البسيطة على ما تزرع الأرض وما يربون من الحيوانات والمواشي ونحو هذا. ويعتمدون على ما يأتي من الخارج مـــن أقمشة وملابس بسيطة. وكان الغالبية يلبسون اللباس الأسود المصبوغ بالنيل الأسود. وكانت توجد منطقة في زبيد لصناعة هذه الثياب تسمى المصابغ، يصبغون القماش الأبيض بنيل أســـود لتلبسه القبائل في اليمن. ويشـــدون على هذا القميص، ولا يضعون تحته أي شيء بل يتأزرون ويشدون الوسط بالخنجر ثم بحزام محشو بالرصـــاص ويحملـــون البندقـــية ويضـــعون على رؤوسهم قطعة من هذا القماش مصبوغة بالنيل حتى أن اللون النيلي يسيل مع العرق على وجوههم وأجسادهم التي تكون مغطاة أحيانا بهذا النيل. ويعتبر هذا عنوان الرجولة. يمشون حفاة. والذي يهم هـــو البندقية. وإلى جانب البندقية كيس النوم، ويكون هذا الكيس دائما مشدودا إلى ســـاعد الشخص. حينما يصل إلى أية محطة للنوم يفتح الكيس ويدخل فيه بملابسه وبندقيـــته ويربطه من الداخل وقاية لنفسه من القمل. يعيشون بهذه العيشة البسيطة، يحرثون الأرض بالثيران ويزرعونها بما تمطر السماء. لأن مواسم المطر منتظمة فـــي اليمـــن، وبعـــض المناطق توجد فيها وديان مستمرة لكنها لا تستثمر. وهناك مـــناطق توجـــد فـــيها حضائر العنب، في جهات صنعاء وفي خمر وفي مناطق مـــتعددة من الشمال. يقتاتون قوتا بسيطا. ووجبات الطعام عندهم في الصباح وفي المســـاء. أما بعد الظهر فيتناولون قطعة من الخبز، ويسمى الروات أو يقـــال لـــه غـــوات. ويتـــناولون في الصباح العصيد، وهذا أكثر انتشارا ومن السهل تحضيره وطبخه. إذ يخلط الدقيق بالماء الفائر حتى ينضب ثم يجف منه الماء ويصب عليه أمـــا المرق إذا كان قد ذبحوا أو يصب عليه اللبن أو الحليب ويوضع عليه السمن. ويتناوله أهل البيت من الإناء الواحد متحلقين حلقة واحدة. هذا غذاؤهم. ويتناولون أيضا قهوة القشر، وهو غير الصافي الذي في داخل حبة البن. ويصدر الصافي إلى الخارج لأن البن لـــه قشر وله نواة. فالنواه هي التي تصدر إلى الخارج أما القشر فيحتفظون به ويغلونه على النار ويتقهوون به. وهذه قهوة منتشرة وطيبة جدا ولذيذة حـــتى أن فيها بعض الحلاوة لا تحتاج إلىالسكر، ومنتشرة في اليمن. ويقولون إنها

أفضل من النواة لأن البن الخالص يحدث تيبسا في المعدة. وعندهم أن قهوة القشر ملين، ولذلك تعد القهوة المفضلة والمنتشرة عند القبائل.

المعيشة كما تحدثنا بسيطة. وواجبات المرأة عندهم أن تقوم بشؤون البيت. وأحيانا تقوم المرأة في المناطق الشمالية عند القبائل بكل شيء حتى أنها أحيانا تحمل السلاح والخنجر في حين يكون الزوج مجندا يقاتل في سبيل الله مع الإمام. ولا تقبل هذه القبائل على التجارة وعلى الأعمال المهنية، بل حرفتهم القتل والقتال. وكان الأئمة والحكام يعتمدون إلى حد كبير على هذه القبائل الشمالية. وأشهر القبائل المحاربة في اليمن حاشد وبكيل. وتسمى الجناحين.

س ـ من أكبر قبيلة؟

ج ـ يمكن ان يبلغ عدد هاتين القبيلتين ما يزيد على المليون، لأن كل قبيلة من القبيلتين الكبيرتين تحتوي على عدة قبائل. وهناك قبائل متعددة. مثلا خولان، وأرحب. أسماء القبائل متعددة ولكن يجمع هذه القبائل كلها تسمية حاشد وبكيل، وتسميان الجناحين لأنهما جناحا صنعاء على اليمن والشمال وتحيط بصنعاء. وتكاد أغلب القبائل في الشمال تنتمي إلى حاشد وبكيل. وتتفرع كل القبائل منهما. حاشد تتفرع إلى عدة قبائل وبكيل تتفرع إلى عدة قبائل وكل قبيلة لها اسمها.

س ـ من يتولى رئاسة القبيلة؟

ج ـ شيخ القبيلة يصبح هو الحاكم للقبيلة. يحتكمون إليه بالوراثة. ولهذا يصبح ابن الشيخ شيخا وابن القاضي قاضيا ولو كان لا يعمل بالقضاء. إذ تتسلسل بيوت القضاة مثل بيت العمري، وبيت الإرياني. وكذلك المشائخ: مشائخ أرحب، ومشائخ حاشد، هؤلاء المشائخ بالوراثة، يصبح أكبر ولد في أسرة الشيخ شيخ القبيلة. عندما يموت الأب يكون أكبر أولاده شيخ القبيلة، يحتكمون إليه. وتتصل الدولة بالشيخ. فإذا أرادت أن تجند محاربين تتصل بالشيخ وتقول نريد أن تجند لنا من القبيلة مئة شخص مثلا، يختار حالا هؤلاء المحاربين ويصدرهم ويتركهم فترة مع الإمام ثم ينقلهم إلى أشخاص آخرين، وحينما يكملون دورهم يذهب أشخاص آخرون. ويصبح للشيخ بيت مشهور وديوان يأتي الناس إليه ويأكلون عنده الطعام

ويكون هو باعتبار كرمه. يكون الشيخ سخيا وكريما. وابن السبيل الذي يمر يأوي في بيت الشيخ وكذلك الفقير والبائس. وإذا جاء ضيوف أو عابرون ينزلون في بيت الشيخ. وإذا أرسلت الدولة جنودا إلى هذه القبيلة يستقبلهم الشيخ. يكون الشيخ بمثابة حـــاكم الـــبلدة. ولا تــزال هــذه التقالــيد مرعية. والمشائخ هم الذين يفصلون في الخصومات.

س ــ هل يكون بيت الشيخ كبيرا؟

ج ــ يزيد بيت بعضهم عن خمسة أدوار. ويبنى البيت في قمة جبل وله ديوان واســع يجتمع فيه الناس ويفترشون الأرض. لأنه لا يوجد عندهم مقاعد. يتوسطهم الشيخ، وعندما يأتي الضيوف توضع نارجيلة (مداعة) أمام كل مجموعة من الناس. والقات الذي تحدثنا عنه يطرح أيضا أمام الشيخ. ويوزع من الأغصان للمجتمعين عــنده. كذلــك إذا قامت وليمة أو عرس وجاء ضيوف إلى هذه القبيلة ينزلون في ديــوان الشــيخ. وهو ديوان بسيط مفروش على الأرض. فيكون في ديوان الشيخ الطويل الحجارة المطروحة لوضع المرفق عليها والاتكاء، لأن العادة في المتكأ أن يجلــس على فخذه الأيسر ناصبا الساق اليمني وواضعا مرفقه الأيسر على الحجر ومائلا برأسه على كتفه الأيسر. هذه هي الجلسة المعتادة. ويكون كل واحد ملاصق للآخر. ويمتد المجلس إلى مئة أو مائتين شخص ومقابلهم كذلك، وتوضع النارجيلة في الوسط وتمد القصبة فيشرب هذا ويمدها للثاني والثالث وكل واحد يأخذها من يد الآخر. هذا في مجالسهم عندما يقضون الوقت في أحاديثهم وفي الأخبار والقصص والروايات. وإذا جاء فقيه القرية يجتمع بهم ويقرأ لهم من كتاب أو يحدثهم إلى أن يحيــن موعــد الصــلاة يقومون حالا لأداء الصلوات الخمس وقت الظهر، ووقت العصــر، ووقــت المغرب ووقت العشاء ووقت الصبح. وعندما يحدث خلاف بين قبيلتين، يتصدر مجموعة للصلح. وخلال هذا الصلح تنحر الذبائح ويأتي الضيوف من القبيلتين ويجتمعون على الذبائح ويتعشون وتقوم النساء بطبخ الطعام وتحضيره. ويشــتمل الطعــام على الخبز من القمح. توضع الأرغفة في أوعية كبيرة ويصب عليها (بداية الوجه الأول من الشريط التاسع) السمن والعسل في الجفان التي تحوى الأرغفــة المستديرة الكبيرة من القمح. كما أن اللحوم أيضا توزع في جفان بحلقات

مـــتعددة وتسمى حدرة. يتحلق كل جماعة حول جفنة من هذه الجفان. ويسمى مقلا أحـــيانا أو المقلة. وبعد أن يفرغوا من العشاء ويتسامرون تحل المشاكل فيما بينهم. وقـــد يأتون بفقيه من الفقهاء ليكتب وثيقة صلح تصبح قاعدة، ويسمونها قاعدة فيما بينهم.

وتختلف القبائل فيما بينها وتقوم الحروب. ولكن إذا اعتدت قبيلة خارجة عنهم عقـــدوا الهدنـــة فيما بينهم وظلوا يحاربون الأخرى على قاعدة أنا وأخي على ابن عمـــي، وأنـــا وابـــن عمي على الغريب. ويستنصر الأئمة دائما بهذه القبائل سواء للحروب فيما بينهم أو لمد سيطرتهم ونفوذهم إلى الأماكن الأخرى. لأن اليمن كانت عرضة للغزو الخارجي. والذين يرحبون بالغزو الخارجي هم الشوافع الذين يحسون باضـــطهاد الزيود لأن الزيود قبائل محاربة متمرسة على القتال، وهؤلاء أصحاب زرع يربون الحيوانات ويزرعون الأرض ويتجرون. فروح الحرب مفقودة عندهم بخلاف أولئك القبائل.

س ـــ هل عند الشوافع سلاح؟

ج ـــ حـــتى وإن وجـــد. فـــإنهم لم يتدربوا على القتال، وباعتبار أنه لم توجد حكومة شافعية في اليمن بحيث يصبح لهم سلطة، بخلاف القبائل الزيدية في الشمال من حيث أن الأئمة عاشوا بينهم وأوجدوا الحكم فيهم، فأصبحوا معدين أنفسهم كأنهم مجنديـــن تحت السلاح. فالقبائل تعيش محترفة للحرب وتمارس الحرب دائما. ليس القبائل في اليمن فقط. بل أذكر أن عبد الرحمن عزام باشا، أول أمين عام للجامعة العربـــية، حدثنـــي عن القبائل في ليبيا فقال: "أيام حرب الطليان كانت القبائل تجند نفســـها للقتال أناس مع الطليان وأناس مع المقاومين للطيان، فتدخلنا للصلح وتهدئة حـــال القـــبائل من الحروب وتسكين هذه الثائرات. وفوجئت ببعض مشائخ القبائل جـــاءوا إلي يسلمون علي ويحيوني فظننت أنهم يشكروني على حل المشاكل، وإذا بهم يقولون أنت رجل ابن ناس وتحب الخير للناس، نترجاك أن تبحث لنا عن فتنة نعـــيش مـــنها". فالقبائل دائما ترتزق بالحروب وبالغنائم. وحتى في صدر الإسلام، يوجـــد ذكـــر للغنائم لاستنفار الناس للقتال. (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله

خمسه وللرسول). إذا استولوا على بلد كوفئوا بالغنائم والمكاسب. هذه طبيعة القبائل المحاربة. ويسمونهم المرتزقة لأنهم يرتزقون من الحرب. وبعض الشعراء الأقدمين يصور طبيعة بعض القبائل فيقول:

إذا نحـن زدنا في عطايا قبيلة لكـف أذاهـا زاد فينا انتقامها

هي النار أن أضرمتها وعطاءنا لها حطب إن زاد، زاد ضرامها

لا تشـبع ولا تـرتوي. تبحث دائما عن فتنة تعيش منها، أو عن أي حرب. لـم توجـه هذه القبائل الزيدية التوجيه الحسن لتزرع الأرض وتستغل منابع المياه وتسـتثمر هذه الثروة. كان الأئمة يحتاجونها دائما لتطيعهم طاعة عمياء، ويظلون جهلـة غير متعلمين، حتى أنهم ينكرون تعليم القبائل ويقولون "القبيلي ليس للتعليم، ولكن علمه استخدام البندقية ليقاتل". لذلك ظلت القبائل على هذا الوضع. وحينما بدأ الأحـرار دعوتهـم، كـانوا يدعون لنشر العلم والثقافة والتعليم، ولكن ليس بنفس الحماس في دعوتهم لتغيير الحكم. وكانوا يرون أن تغيير الحكم سيؤدي إلى حضور هـذه القبائل وقد ينشر فيها النور والثقافة. فجاءت التيارات الجديدة من هذه القبائل معـتادة على العزلة. وحينما قامت الثورة الأخيرة وجاء الغزو المصري، انقسمت القـبائل قسـمين: قسم يقاتل في الجانب الملكي وقسم يقاتل في الجانب الجمهوري، وتيسـر لهـم فتنة يعيشون منها. وجاءت مغريات كبيرة في هذه الفترة. جرت بين أيديهم مئات الألوف من النقود وهم كانوا يقاتلون مع الإمام بخمس الريال أو بعشر الـريال. أصـبح الشيخ، الذي لم يكن يجد من الإمام إلا مئة ريال في السنة أو في السنتين، يأخذ مئة ألف ريال شهريا من يد المصرين ويأخذ من السعوديين عشرات الألوف من الجنيهات الذهب. ولهذا استمرت الحرب ست سنين.

س ـ أهذا ما شجع على قيام الحرب واستمرارها؟

ج ـ نعـم. كان هذا مما شجع على الحرب. لأنهم يعيشون منها. والقبائل إلى الآن لـم تتفتح عقولها للعلم وللمعرفة. والسبب أن اليمن تخلّفت كثيرا. وكما ذكرت لكـم، في أيام الحرب بين الأمام يحي وبين الأدريسي كانت القبائل تنقسم قسمين: قسـم يقـاتل مـع الإمام وقسم يقاتل مع الإدريسي. فكان الكثيرون يتندرون عليهم

ويقولون إن دعاءهم "الله ينصر الإمام إلى النصف، وينصر الإدريسي إلى النصف". وكـــنا في أيام الحرب في اليمن نتندر ونقول "اللهم أنصر الجمهوريين إلى النصف والملكييـــن إلى النصف". هذا منطق القبائل. لأنهم يعيشون على الحرب ولم يهتدوا إلـــى مهـــنة يعيشـــون منها. وقد بدأ الآن أبناء القبائل بالخروج إلى الخارج، وبدأ بعضهم يتفتحون ويخرجون إلى مصر وإلى العراق وإلى سوريا وإلى أوروبا أيضا ويـــتعلمون. محســـن العيني من أبناء القبائل أصبح وزير الخارجية والآن مندوب اليمن في الأمم المتحدة. وكثير من أبناء القبائل أصبحوا سفراء، وهنا يوجد السفير علـــي المطري من بني مطر من أبناء القبائل. بدأ التعليم ينتشر ولكن ليس بدرجة واسعة. ما يزال التعليم محصورا في المدن، وأبناء القبائل الذين دخلوا المدن تعلموا وتفتحوا وخرجوا إلى الخارج. وحينما نشأت حركة الأحرار في مصر عملنا لنشر التعلـــيم. وأنا باعتبار أن مهنة التعليم كانت شاغلي منذ الصغر كما استعرضنا في الحديث، أصبحت أدعو اليمنيين في مهاجرهم إلى أن يعتنوا بالتعليم. فكانوا يبعثون أولادهـــم ليـــتعلموا تحت إشرافي في مصر. وانصرفت خلال فترة تجميد نشاطي السياســـي للإشراف على الطلاب اليمنيين، استقدمهم من المهاجر ونطلب لهم منح تعليمـــية. وهـــؤلاء الذين كنا نعتني بتعليمهم اعتنقوا الحزبية فأصبحوا حربا علينا، يحاربوننا ويرون فينا أعداءهم. كيف نقنعهم، وكيف نصنع بهم.

أخيرا خرجت من القاهرة عام ١٩٦٠ وقمت برحلة إلى المغرب العربي، ليبيا وتونـــس والمغـــرب والجزائـــر، وفي هذه المناطق مهاجرون يمنيون. فكنت ألفت أنظـــارهم إلى التعليم حتى يعودوا إلى بلادهم وعند أبنائهم شيئ من الثقافة. ذهبت لأول مـــرة إلى بريطانيا لأزور المهاجر اليمنية، ووجدت اليمنيين عبارة عن عمال غـــير متعلميـــن. لفتنا أنظارهم إلى أنهم يشتغلون بهذه الآلة وهم يجهلونها. البعض يصابون بدون علم من ضرب التروس لهم، والبعض تبتر أيديهم في المصانع عن جهـــل. جعلني هذا أقتنع اقتناعا تاما بأنه لا سبيل لتحرير بلادنا إلا بالعلم. ورجعت مـــن بريطانـــيا لا إلى مصر، بل إلى عدن، المهجر الأول الذي انطلقت منه حركة الأحـــرار. وحيـــنما جئـــت إلى هناك استقبلني اليمنيون وانتظروا أن أنشّط حركة الأحـــرار من جديد. وجدت مجموعة عندهم روح ثورية، فقلت لهم دعونا من كل

شـــيء. العلــم، ولا ســبيل غـــير العلـــم. طريقنا الآن تعليم اليمنيين. أبناء اليمن الموجـــودون في عدن يعتبرون أجانب وليس لهم حق دخول المدارس الرسمية، مع أن في عدن ما يزيد على مائة ألف من أبناء الشمال، البعض يعملون في المصانع، وآخرون في المتاجر والبعض يقيمون الأبنية التي تشيّد كلها على أيديهم. وجهنا لهم دعوة لتأسيس كلية وسميناها "كلية بلقيس". وقلنا لهم دعونا من النشاط باسم الحركة الوطنـــية. الحـــركة الوطنـــية الحقيقية أن تعلّموا أولادكم. أقبلوا على هذه الدعوة وتبرعوا بالأموال. قلت لهم أنا لا أنفي عن نفسي التهمة، تهمة سرقة أموال الحركة الوطنـــية. وجهـــت نداء قلت فيه: "إني لا أقبل أي نقود. فكل من يريد أن يقدم أية مساعدة فليقدمها إلى اللجنة التي شكلت لبناء كلية بلقيس". وإذا بالكلية تقام وتبنى في الشـــيخ عـــثمان في عدن. واتسعت، وبلغ عدد الطلاب فيها من أبناء اليمن ٤٠٠٠ ذكـــورا وإناثا، لأنها كانت مختلطة، من سنة ١٩٦٠ إلى أن قامت هذه الجمهورية الشقية وإذا بها تحارب هذه الكلية. لماذا؟ لأنها من أبناء الشمال وأساتذتها من أبناء الشمال، تعميقا للانفصال. وكان عميدها حسين علي الحبيشي، ومديرها محمد أنعم غالب الذي تخرج من القاهرة من كلية الحقوق، ودرس الدراسات العليا في أميركا أيضا حيث حصل على ماجستير في "الحكم في اليمن كعائق لتطور الاقتصاد". قدم الرســـالة بالإنكليزية. رحل هؤلاء إلى الشمال، فأصبح محمد أنعم وزيرا للاقتصاد وحســـين علـــي الحبيشـــي عمـــيد كلية بلقيس سابقا نائبا لرئيس الوزراء للشئون الخارجـــية. أقبل الناس على هذه الكلية، وزودت بالكتب من البلاد العربية. وأقبل عليها الطلاب اليمنيون، وبدأت دعوة العلم تنتشر. ثار عليّ المتحمسون والثوريون لأنني طعنت الثورة من الخلف، وأنني خذلت الكفاح بدعوة العلم.

الآن بـــدأ القبائل في اليمن يقبلون على الزراعة. انتشر من أبناء القبائل أناس مـــثقفون ينشـــئون جمعيات تعاونية زراعية، ورصدوا لها في الفترة الأخيرة مبالغ كبيرة. من الذين كانوا يحاربون الجمهورية مع الملكيين الشيخ قاسم منصّر من أكبر قـــادة الملكييـــن، أنضـــم إلى الجمهورية، وأسس جمعيات تعاونية لشراء مضخات وإنشـــاء مزارع نموذجية. وبدأت المزارع تنتشر. وبدأ القبيلي الآن يلتفت للزراعة لأن المياه متوفرة والأرض خصبة. هذه فكرة عن القبائل.

الــيهود في اليمن. اليهود بحكم الشريعة الإسلامية لهم عهد في ذمة المسلمين. ولهذا يقال لهم ذميون. اليهودي يقال له ذمي، نسبة لحفظ الذمام وهو العهد. عندما يقــول العــرب فلان يحفظ الذمام يعني يحفظ العهد. فاليهودي باعتبار أنه في ذمة المســلمين يعــد فــي حمايتهم. وقد عاش اليهود في اليمن تحت رحمة المسلمين، يحمونهم، ومن العار أن يمس اليهود لأن اليهودي ضعيف، ويعتبر مستضعفا ذليلا، وهــو مستذل ويدفع ضريبة تسمى جزية، استمدوها من الآية القرآنية "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".

س ــ وهل ينطبق ذلك على المسيحيين؟

ج ــ لا. لأنــه جــاء في القرآن "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، ولتجدن أقربهم مودة الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يســتكبرون". هــذا ما وصف به القرآن المسيحيين. فالعلاقة باليهودي أنه ذمي والــيهودي عدو الدين. يعني أن المسلمين مشبعين بعداوة اليهود. إلى جانب عداوة هؤلاء المسلمين الجامدين مع أن الإسلام يتعامل بالرحمة وبالمواثيق وبالعهود، لكن فــي أيام الجمود اقتبس بعض العلماء الجامدين من الإسلام بعض التعاليم وأنكروا بعضــها. كمــا جاء في القرآن "يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض". فأخذوا النواحــي المتشددة وتركوا النواحي المتسامحة، مع أن النبي كان دائما يحض على الليــن ويقــول: "بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، يسروا ولا تعسروا". حتى أن رجلا جاء إلى الرسول وقــال لــه: "يا رســول الله، إني أحب الزنا". فهاج بعض الصحابة وقالوا "دعنا نقتله". قال لهم: "كلا. دعوه لي." فدعاه الرسول إليه وقال له: "أتحب أن يزنى بأمك؟" قال: "كلا." ثم قال له: "أتحب أن يزنى بأختك؟" قال: "كلا." فقــال: "وهكــذا الناس لا يحبون أن يزنى بأقاربهم". ثم قال: "اللهم اشرح صدره، وحصــن فرجه، وطهر قلبه." ويقال إن هذا الرجل لم يفكر بالزنا قط من بعد تلك الدعوة النبوية. تأثر بها كثيرا. لم يكن التشدد واردا في الدين حتى أن الله يقول في القــرآن "لا إكــراه في الدين". يجب أن تكون الدعوة باللين. فكان اليهود في اليمن يســمون ذميين، ومفروض عليهم أعراف مثل أن تكون بناياتهم منخفضة. وإذا مر وقابل المسلم في الطريق فلا يمشي عن يمينه بل عن يساره أدبا. وأذكر أن يهودي

في عدن وجدني، وهم متحررون في عدن وكان معروفا من قريتنا، فمر ورد علي التحية وصبح وقال هنا لا يوجد "يسّر يا يهودي"، يعني امش على اليسار، بل يمشون بكامل حريتهم. عاش اليهود موزعين في اليمن. وبلغ تعدادهم حوالي خمسين ألفا.

س ــ ماذا كانت صناعتهم؟

ج ــ الحلي للنساء من صناعة اليهود، الأخراص، الأساور وتسمى "الطفية" و"السوار" و"الشولي" و"الفرد" ما يوضع على رجل المرأة أيضا. كانوا يصنعون الحلى للنساء والأدوات النحاسية المنزلية. كانت كل المهن تقريبا في أيديهم، يصنعون عقود الجص والزجاج لنوافذ البيوت. وكانوا عنصرا نشيطا متواجدا في كل مكان. يصنعون أيضا الخواتم، والأقراط للأذن، وتسمى "الأخراص"، "الطفية"، و"الدملاج" شيء من الفضة يوضع على ساعد المرأة. والفرد على رجل المرأة ويجعل له البعض أجراسا عند النساء حينما يرقصن أو في الحفلات. وكان اليهود يدفعون الجزية ومتحببين للأهالي ويعطف الأهالي عليهم ويحمونهم. ومن العار الإساءة إلى اليهودي. ولهم يوم السبت عادات وتقاليد يحيونها. وكنا نذهب ونحن صغار إلى القرى نتأملهم وهم يصلون. وكانوا يشربون الخمر من عصير الشعير ونعتبر أن هذا الخمر لهم مباح ومحرم على المسلمين. فكانوا يعيشون عيشة في أمان وسلام ولكنهم في ذل ليس لهم حق. لكنهم أغنياء. عندهم الثروات وبدأوا بخاصة في صنعاء يمتهنون التجارة. وعندهم النسيج والخياطة. فكانوا عنصرا نشيطا في اليمن إلى حد كبير، إلى أن اقترب جلاؤهم من اليمن حينما قاموا بإخراج اليهود إلى فلسطين. فقد ساعدت الحكومات العربية في احتلال فلسطين، فكان الغرب يسوقهم من هناك والعرب يسوقونهم من مدنهم ويصدرونهم إلى فلسطين. وكأن العرب حينما هجّروهم إلى فلسطين قد أباحوها لهم ضمنا لتكون وطنهم القومي ووطنهم الأصلي، عن جهل ولم يحسبوا لما يحدث اليوم. وهم يقولون اخرجوا اليهود من جزيرة العرب، كيف نخرجهم وأنتم صدرتموهم إلى فلسطين. ولكن كما يقال إن العرب لا يعقلون ولا يفكرون. عاش اليهود في اليمن إلى أن تم جلاؤهم من بعد كارثة فلسطين. قبل الكارثة بوقت قليل بدأوا يخرجون إلى هناك

باسم أن هذا انتقام لهم. البعض اعتقد أنه يساعد فلسطين بإخرج اليهود من بلاده. أخرجوهم من اليمن إلى عدن، وكان لهم في عدن وكالة يهودية. وكان اليهود في عدن من أنشط العناصر في التجارة والوكالات والأعمال. وقد تولوا إرسال اليهود إلى فلسطين بالطائرات والبواخر.

س ـ هل يوجد بعد يهود في اليمن؟

ج ـ كلا. لا يوجد ولا يهودي إطلاقا.

س ـ ومن النصارى هل يوجد عدد كبير في اليمن؟

ج ـ كلا. لا يوجدون.

س ـ هل ممنوع أن يذهبوا إلى هناك؟

ج ـ كلا. ليس ممنوعا. ولكن لا يوجد نصارى من الأصل في اليمن. لم يكن هناك إلا اليهود والمسلمين.

س ـ ولكن قديما كانوا ممنوعين أن يذهبوا إلى هناك؟

ج ـ كانوا ممنوعين ليس على أساس أنهم نصارى إنما أجانب من الخارج، يعني من النصارى المستعمرين في عهد الإمام يحيى.

س ـ هذا بالنسبة للأجانب ولكن أكان مسموحا للنصارى العرب بدخول اليمن؟

ج ـ لم يكن يوجد نصارى في اليمن، كان يوجد نصارى في نجران في الماضي، لهم معابدهم ونجران هذه تابعة الآن للمملكة العربية السعودية. وكان هناك معقل المسيحيين حتى من قبل قصة أصحاب الأخدود أيام النصرانية، لأنه كانت توجد دولة يهودية في اليمن قبل الإسلام، فكانوا في صراع مع النصارى في معقلهم في نجران. فلهذا أحرقوا النصارى. وبعد هذا جاء الأحباش ليخرجوا اليهود ويحاربوا الحكومة اليهودية في اليمن بسبب إحراقها للنصارى. ولكن في عصر الإسلام وفي العصر الحديث لم يوجد أي نصارى في اليمن.

س ــ اخبرنا عن المرأة في اليمن؟

ج ــ كمـــا تعرفون أن في الإسلام للرجل مثل حظ الأنثيين. أي المرأة نصف الرجل. ليست كالرجل تماما. وكانت دائما تعتبر عارا، يعني يريد الإنسان أن يستر نفسه فيقول هذه عار الإنسان فكيف يسترها ويخفيها. لا يدعها تظهر على الآخرين. لا تظهـــر إلا على أقاربها. هذه طبيعة المرأة في بيوت الأسر الكبيرة والمحافظين. سيكون حديثنا عن المرأة العادية والمرأة التي في بيوت الأسر. فالمرأة في الأسرة، ينبغي أولا أن لا تظهر على أحد إلا على زوجها وعلى أقاربها، حتى من كانوا من الأقـــارب ممن يصح له الزواج بها لا تظهر عليه. لا تظهر إلا على المحارم الذين حرم زواجها منهم. أما من عداهم فيجب أن تستر نفسها عنهم. تنشأ في رعاية أمها داخـــل البيـــت، وتتدرب على المهنة داخل البيت أيضا. تكنس البيت، وتعد الطعام، وتتعلم الخياطة بقـــدر ما تستطيع. وتظل في هذه الحـــدود. حتى القراءة لا تتعلمها إلا فـــي حدود. أي تحفظ شيئا من القرآن يساعدها على الصلاة. لأنها مكلفة أيضا بالصـــلاة مثل الرجل. وحينما تقترب من سن الزواج يعني حوالي ١٢ – ١٣ سنة، وأحـــيانا تخطب وسنها دون العاشرة، لا تختار هي الزوج، بل تزوج على الرجل الذي يرغب أبوها بزواجها منه. حتى الولد أحيـــانا يختار لـــه الأب زوجته. مثلا يكـــون لـــه صديق أو قريب أو يعرف أنه من بيت محترمة يحاول أن يشد علاقة الصهارة بينه وبين هذه الأسرة بأن يزوج أبنه منهم. ولا يكون للبنت رأي في هذا الـــزوج ولا للولـــد. مـــثلا تخطب وسنها دون سن الزواج. والآن سوف ندخل في قواعد الزواج. عندما تخطب هـــذه المـــرأة يأتي الخطيب إلى الأب وفي الغـــالب لا يأتـــي الخطيـــب بنفسه، وإنما يأتي أبوه وأمه، فالأم تدخل إلى المرأة والأب إلى الرجل. وأحيانا يحملون معهم كبشا ويتضيّفون ويحملون معهم الحلوى وهدية. فإذا قبلـــت الحلوى والهدية كان ذلك دليلا على أن الزوج مقبول. وأحيانا يقول بعضهم ترجع الهدية لأنهم غير قابلين الـــزواج أو لأن ابنتهم غير صالحة للزواج أو أنهم لا يرغـــبون فـــي زواجها أو أنها خطبت لشخص آخر و ليس عند الخاطبين علم بذلـــك، فـــترجع الهديـــة. حينما يصل الخاطب يتضيّف ويكلم الرجل أما تعريضا أو يفهـــم أنهم جاءوا للخطبة يكون قد تناقل الناس الخبر أو ترامى إلى مسامعهم أن

الـــرجل قادم من أجل الخطبة، فيتوافقون ويقول موافق تلميحا، أو يكشف أنه يريد خطـــبة البنت لأبنه فيرد عليه. تمضي فترة الخطبة وقد يتم الزواج في نفس الليلة التـــي تمت فيها الخطوبة إذا وافقوا. وإذا كان الزوجان قابلين للزواج يتم الزفاف. مـــاذا يقـــدم لهذه المرأة؟ الملابس. يشترى لها طاقة مصبّغ يسمونه لماع من النيل وبجانبه المقرمة التي تلف على رأسها والمصر ما تطوي به الشعر. ويوضع من تحت المقرمة، أولا المصر: ويكون ملاصقا للشعر يشده ويعقد من الخلف. وتكون المقـــرمة فضفاضـــة تغطي المصر وتلف على الرأس كاملا. ويقدم للمرأة "الطفية" الحلي والخاتم والعقد المرجان أو عقد يكون فيه ريالات فضية، والأخراص. يقول أبـــو المـــرأة للزوج أنا أطلب كذا وكذا و كذا، ويسمي الحلي والملابس وهدية الأم وتكون نوعا من الملابس وحذاء لأنها ستلبس الحذاء الآن وهي عادة تمشي حافية. فتقدم كل هذه الأشياء.

وتسبغ البنت يديها بالحنا وتتنقط. ويوجد عندنا طائفة سيأتي الحديث عنها وهي طائفة الأخدام. من الطبقات في اليمن طبقة الأخدام وطبقة الحلاقين المزينين. وهي مـــن الطـــبقات الوضيعة عندنا في اليمن لا يمكن أن تتزوج بنت مزين ولا يمكن تـــتزوج بنـــت الخـــادم وطبقة الأخدام أحط من المزينين. فتأتي الخادمات يضربن الدفـــوف ويغنيـــن عليها أغاني متعارفا عليها في اليمن. يزفون العروسة في بيت أبيها. تغتسل وتلبس وتخضب بالحنا، وتضرب الدفوف وتظل النساء يرقصن على نقر الدفوف التي تقوم به الخادمات. بعد هذا تحمل المرأة. ولكن إن كان البيت قريبا تمشـــي مشـــيا والأغاني تردد على ضرب الدفوف والتعاويذ من الجن والشياطين. ويطلقـــون الـــبخور بنوع يسمى الفارئة. وهذا نوع من البخور يبخر به لأنه يطرد الجـــن. ونـــوع من الشجر يسمى الشذاب أيضا يطرح في النار من أجل أن يطرد الجـــن. لأن العـــروس دائمـــا عرضة لأصابة الجن واصابة الشياطين فيحيطونه بالـــتعاويذ وبهـــذا الـــبخور. وتزف العروسة إلى أن يصلوا بها عند الزوج. يكون الـــزوج قد خلا في مكان وفي خلوة مفروشة وهو متكئ، فعندما يقدمون بالعروسة ينهض ويمسك الزوجة بناصيتها ويدوسها على قدمها، لماذا؟ حتى يكون غالبا عليها وتكون تحت إمرته، خوفا من أن تدوسه هي، لأن بعض النساء تكون سريعة تدوسه

فيصـــبح هو تحت رحمتها كما يعتقدون. لهذا يبادر حالا ويدوس على قدمها. وعند ما تدخل النساء إلى البنت يغطين وجهها بالمقرمة ويقلن لها "حرمتي على فلان ابن فلان" يعني أصبحت "حرمة" له أي زوجة، تفاجأ وتبكي حينما يفاجئونها بهذا الكلام ولكن بكاء الفرح. فيغشون وجهها ويظل وجهها محجوبا لا يراها الزوج الذي يصل ويمســكها ووجههــا مغطى، ويمسك على ناصيتها ويدوس رجلها ويدخلها لتجلس خلفه. ويبقى هو متكئا واضعا مرفقه الأيسر ورأسه على منكبه ويضع رجله وساقه علـــى الأرض، وينصب الرجل الثانية وهي خلفه مغطى وجهها بالمقرمة، لا يمكن أن تكشــف وجهها إلا بعدما يخرج الناس ويخلو هو بها. ثم لا تكشف وجهها حتى يدفــع لهــا مبلغا من المال. والمبلغ الذي يعطى يسمى الرضوة. قد يكون عنده نقد أو حلــية يعطـــي لها من أجل أن تكشف وجهها. وأيضا أرش البكارة حينما يأتيها وهي بكر. هذه تعتبر جناية لا بد أن يدفع الغرامة، الفقهاء يسموها "الصبحية" وهي لإصباح الرجل على زوجته. وفي لغتنا العامية يسمونها "الرضوة" وهي استرضاء الرجل لزوجته لأنها لا ترضى أن تستسلم له حتى يدفع لها مبلغا من المال. وحينما يدفع هذا المبلغ تمكنه من نفسها وإلا فهي مشدودة. لأن المرأة هناك تلبس السروال الطويــل ولا يمكن أن يفتح إلا بهذه الطريقة. فمن الفكاهة أو النكت التي يتندرون بهـــا، أن رجــلا زوج أبـــنه وكان الابن ضعيفا غير شجاع، وجاءت الزوجة إليه ولم يمسسها، فاصبح أبوه يسأله: "هل آتيت زوجتك؟" قال لـــه: "كلا." ولماذا؟ كان الولـــد خجولا لم يستطع أن يصنع شيئا وكانت المرأة أقوى منه. أجاب: "لم تقبل." قال له: "خذ الخنجر وقطع السروال." قال الولد: "أقطّعه حتى ولو كان في النافذة؟" ــ لأنها أحيانا تنزع الســروال وتضعه في النافذة ــ قال لـــه : "يا أبله إذا كان في النافذة فما حاجتك لذلك." وهذا دليل على أن المـــرأة تتمنع وتتعســر ولا تقبل أبدا إلا بأن يدفع لها مبلغا من المال. وأحيانا يلقي أهلها في أذنها أن لا تكشف له الوجه ولا تمكنه من نفسها إلا بأن يدفع مبلغا من المال. وتذهب هي بسذاجتها، وإذا كانت راغـــبة تقبل دون طلب المال حسب الاتفاق مع أهلها. إذاً، يوم العرس يستلمها بعد أن يقيموا وليمة ويظل معها وتظل الخادمات يضرب بالدفوف والنساء يرقصن على إيقاع الدفوف، ثم يربطون حبلا في المكان يجلس خلفه الزوج و الزوجة من زاوية

إلىأخـــرى، ويســدلون ســتارا يحجب الزوج والزوجة عن أعين الآخرين ليكشف وجهها ويراها. وتظل الخادمات يغنين "شد الستر وا سيدي ظبّطه"، يعني شد الستر وظبطه تظبيطا كاملا وترقصن على هذا. تتواصل الاحتفالات أربعة أيام.

س ــ والنساء باقيات؟

ج ــ تكــون النساء في الغرفة. النساء فقط وليس الذكور إلا أقارب العروس، يخـــرجون في الليل ويتركون الزوجين لشأنهم. ولكن يقضون النهار في الفرح، في نقر الدفوف، في الصباح وبعد الظهر وفي المساء والرقص أمام العروسين. ويأتي الرجال ويرقصون مع قريباتهم وأمهاتهم رقصا يمنيا وتقوم أحيانا الخادمات لأنهن فــنانات بالــرقص وينشدن هذا النشيد ــ إشارة إلى أن الزوج قد انتهى من العمل وقــد فض بكارة زوجته، فيجلسن ينشدن هذا النشيد "سال الدم، سال الدم، من رأس الجبل. سال الدم وما خلى عبر". أي أنه لم يترك وادي إلا وملاءه. ويرقصن على هذا اللحن ويضربن بالدفوف، والزوج ينتشي لأنه قد نجح في مهمته وأنتصر. وإذا لم ينتشر هذا ستتهم المرأة بأنها جاءت عند زوجها ثيّبة. إذا، لا بد أن يشعر الناس أن كل شيء على ما يرام وإلا ستصبح عارا على أهلها لأن ابنتهم جاءت ثيّبة. لهذا تحترس النساء احتراسا شديدا من هذه الفضيحة حتى تتزوج وهي بكر. وماذا تعمل عــند الــزوج؟ لخدمــته ولخدمة أهله، تحتطب وتنقل المياه. وعندما يأتيها الحمل ويسمونه الوحام، في أيام الحمل تبقي تمارس بعض الأعمال إلى أن يقرب الوضع فتأتي نساء خبيرات بالتوليد تولد المرأة. وإذا تعسرت الولادة يكتب لها الفقيه "زهد واح"، وهي عزيمة مشهورة لتسهيل الولادة. تمرض فيكتبون لها عزيمة.

تكــون المــرأة جائعــة، ولكنها تتجمل لزوجها. تضع "الشقر"، وهو نوع من الرياحيــن منتشــر في اليمن. تضعه المرأة في خدها الأيمن وخدها الأيسر، تشد المصــر على رأسها وتترك في الخد الأيمن والخد الأيسر شيئا من الورد والزهور والرياحيــن. ويصف الشعر إلى الأمام وتقصه بحيث يكون مستويا ويتدلى من هنا الورد والرياحين على الخدين. هذا منتشر تماما. ويضع الرجل في رأسه مشقر من الرياحيــن والورود. وتكون المرأة خادمة عند الزوج. وظيفتها أن تخدم وتعمل في

البيـــت وتستعد لخدمة الزوج في كل شيء، تحمل وتربي الأبناء وهكذا. هذه حياة المـــرأة في بيوت الأسر. تلبس في المناسبات وتتهيأ لزوجها عند ما يغيب، وترتب نفسها وتتجمل وقد تكون في حالة الجوع. ولكن هذه تقاليد الزواج.

س ــ أين الحب من هذا؟ ألا يحبون بعضهم بعضا قبل الزواج؟

ج ــ هذا غير متعـــارف عليه. لا يسبق الحـــب الزواج. هذا مجتمع محافظ. لـــم يعرف في اليمن أن فلانا يحب فلانة، إنما إذا عرف يقولون إن فلانة مصاحبة لفلان، وهذا يصبح عارا على المرأة. ومن هذا كنت قد ذكرت لكم قصة المرأة التي جاءت بالولد غير الشرعي وشرحت ما فعلوا بها.

س ــ أمـــا تـــزال الحال الآن كما كانت في الماضي؟ أم توجد بنات أصبحن يتعلمن؟

ج ــ الآن بـــدأ الـــناس في المجتمع المدني يلحقون بناتهم بالمدارس ويتعلمن. وبـــدأت العلاقـــات تنشـــأ في المناطق الحضرية مثل صنعاء وفي البيوت الكبيرة. يـــتعلمون القـــراءة والكتابة. وبدأت المرأة تراسل، أي يعشقون كتابة، لا يتعاشقون باللقاءات، عشق وغرام بالكتابة، ولهذا تجدون في أشعار القدماء تغزل بالمرأة:

أنـــا مـــن ناظري عليك أغار ... وار عنى ما زال عنه الخمار

يـــا قضـــيبا من فضة يقطف ... النرجس من وجنتيه والجلّنار

صـــن محـــياك بالـــنقاب وإلا ... خطفـــته القلـــوب والأبصـــار

فتجـــدون أبياتهم الغزلية وأشعارهم في المـــرأة والتفنن في وصفها شيء فوق ما يتصوره العقل. كانوا متفننين يتغزلون بالمرأة ويراسلونها بالأشعار. وكانوا إذا سمعوا بامرأة جميلة يكاتبونها ولكن بالسر بحيث لو عرف الأباء لقطعوا يديها حتى لا تكتب، وإلا إذا عرف أن إنسان يكاتب امرأة أو يغازلها فشيء محبوب جدا. ظل مجتمعـــنا مكبوتا محافظا بحيث تجدهم يعشقون الذكور والولدان. لماذا؟ لأنه يختلط بـــه ويلتقـــي به. وكان هذا منتشرا في بعض المناطق، أي نشأت علاقات وعشق وتغـــزل بالمذكـــر. ويـــتغزلون به في أشعارهم بتكتّم وتحفظ في بعض المدن مثل

صـــنعاء وزبيد، ويتغنون بهذا. ولهذا تجدون بعض الأئمة يصطفون الأولاد للخدمة عـــندهم ليســـتمتعوا بالـــنظر إليهم وإلى جمالهم. وكان هذا معروفا في عصر من عصـــور العباسيين، فقد كان يوجد قاض مشهور بالغلمان وباصطفائهم دائما. وكان ينفي عن نفسه أنه يلوط بهم، فكتب له أحدهم رقعة من الأبيات يقول فيها:

وزعمـــت أنك لا تلوط فقل لنا　　　هـــذا المقرطع واقفا ما يصنع

شـــهدت ملامحته عليك بريبة　　　إذ للمريـــب شـــواهد لا تدفع

أي أن وجـــود هذا بجانبك يثير الشكوك فيك. أما المـــرأة فلا تستطيع التنفس إلا بالكـــتابة والرسائل والمراسلات. ففي الكثير من قصور الأمراء وقصور الكبار عرفت مثل هـــذه الأشياء، ولكن لم يعـــرف علنا وجود عشق بين رجل وامـــرأة، أو انهمـــا يخرجان معا؟ لأن الرجل إذا أحب المرأة أو تعلق بها يخطبها من أهلها فيتزوجها. فتجدون أحيانا علاقة زواج وحب بين الزوجين. وقد يكون حبا عنيفا إلى حـــد كبـــير، يعني شيء فوق العشق بحيث لو افترقا يكاد يجن. ولكن هذا قليل جدا إنمـــا الـــزواج زواج صـــادق، والمرأة إنما خلقت عندهم متاعا يستمتع بها الرجل وتنجب لـــه الأولاد ليخرجوا للخدمة يحرثون الأرض ويزرعون. المرأة في اليمن على هذا النحـــو تعيش للإنتاج والخدمة، هذا حـــال المـــرأة في الأســـر الكبيرة. أما المرأة العادية زوجات الفلاحين فتخرج سافرة الوجه وليست محتجبة وتعيش في المراعـــي، ترعى البقر وتذهب إلى المزرعة وتذهب إلى السوق تبيع وتتّجر. وهذا موجـــود ومنتشر. والأغلبية هكذا في اليمن. أحيانا لا تلبس كل اللباس الذي يستر جســـدها، بل تأخذ مثلا القطعة من القماش تثقبها في الوسط وتدرج رأسها لتغطي الصـــدر والظهـــر، ويبقى الجانبان مكشوفين بحيث لو ضربت الرياح يظهر ثدياها وجســـدها. يكـــون اللـــباس طويل ومشدود الحزام في الوسط، لكن ظهرها وثدييها مكشوفة، والسواعد مكشوفة، والجوانب مكشوفة في بعض المناطق، وبعضها سافرة الوجه تشارك الفلاح. وهذا ما يحدث بينهم نوعا من التغازل.

س ــ أيتزوج أبناء الأسر الكبيرة من الفلاحين؟

ج ــ لا. تتزوج الأسر كلها من بعضها البعض، ولكن أحيانا إذا رأى ابن أسرة كبيرة امرأة جميلة من الفلاحين يخطبها ويتزوجها في نفس الليلة وتنتهي القصة. وتوجد طبقة الأخدام والمزاينة. هؤلاء الأخدام طبقة وضيعة تحترف نساءهم الغناء بالدفوف في المناسبات، في سابع المولود يذهبن عند النساء يغنين يوم السابع ويسمونه العقيقة. يضربن بالدفوف ويرقصن. وكذلك في الأعراس، هذه وظيفة الخادمات. ووظيفة الأخدام قرع الطبول أيام الأعياد حينما يحدث الرقص والبرع. العادة عند الرجال أن ينزعوا الجنابي من الخناجر، وهي مثل السيف الصغير. ويظلون يبترعون، أي يرقصون "البرع" على ضرب "المرافع". وظيفة الأخدام الضرب على المرافع والكنس وإيقاد النار، والخدمة في البيوت. عندما يحقّرون أي شخص يقولون له "أصلك خادم، ولا أرسل لك إلا خادما عزك الله" كأنه نوع حقير. لا يمكن أن يتزوج منهم القبائل، ويعتبرون أنهم جاءوا من الحبشة وأنهم قسم من العبيد ظلوا في اليمن وتسمى طبقة الأخدام. ويقومون بالأعمال القذرة مثل غسل المراحيض. وتوجد طبقة المزاينة الحلاقين الذين يحلقون الرؤوس، والحجامين الذين يمتصون الدم. ومن الأمراض أن يصاب الإنسان بالحكّة في جسمه، يعالج منها بالحجامة. وتوجد جماعة من المزاينة وظيفتهم الحجامة، لدى الواحد منهم مجموعة من القرون الواسعة في أولها ومسدودة من جانب ومفتوحة من الجانب الآخر، فتغرس في الظهر ويظل الحجام يمصها من ثقب صغير في أعلى هذا المحجم حتى يتورم مكان المص من الجسم، وعندها يأخذ المشلى ويشق محل الورم، ثم يثبّت المحجم ثانية فيظل يمص الدم ويخرجه. كلما تجمع قليل من الدم أخرجه وصبه على الأرض. باعتبار أنه دم فاسد يخرج منه وتشفى الحكة. تصطف الجماعات طوابير في محل الحجامين. وكل حجام يغرس المحاجم في ظهر الرجل الذي أمامه، ثلاث مرات وأحيانا أربع، وأحيانا يعمل له محجم في رأسه إذا كان رأسه يؤلمه، يحلق الرأس ويضع المحجم هناك ويمص حتى يثبت المحجم، فيدعه فترة حتى يتجمع الدم، فينزعه ويأخذ قطعة ويمص حتى يثبت المحجم، ثم يدعه فترة ليجمع الدم، وينزعه. ويأخذ قطعة حادة من الحديد يشق بها الجلد

ويمتص الدم. هذه هي وظيفة الحجامين وهم طبقة فقيرة. واليهود يعتبرون من الطبقة التي تمارس هذه الأعمال، ولم يكن المسلم يمارس هذه الأعمال إلا نادرا. وتوجد أيضا طبقة الجزامين، ويعتبر عملهم من المهن غير الشريفة.

يحول تفاوت الطبقات دون زواج أية طبقة من الطبقات التي تعتبر نفسها رفيعة من هذه الطبقات المنحطة. هناك طبقة القضاة الشرعيين. ونريد أن نسلسل الطبقات الموجودة في اليمن ليتبين هذا التمايز والفروق بين الطبقات. كانت أرقى طبقة في اليمن الهاشميين ويطلق عليهم لقب السادة، لم يكن يطلق في اليمن لقب السيد إلا على من ينتسبون إلى النبي وهم الهاشميون، والهاشميون بيوت متعددة في اليمن. فالهاشميون في الشمال من الزيدية. ويوجد هاشميون من الشافعية لكن لا تهمهم السلطة ولا يطمحون إليها. وللسادة من الزيدية امتيازات كبيرة، فالحكم وقف عليهم، وتقبيل الأيدي، والتقديس، وتقبيل الأقدام، والاحترام، لأن هؤلاء طبقة تعتبر مقدسة. وهؤلاء الهاشميون منقسمون إلى أسر، أصبحت معروفة في اليمن، مثل بيت الهادي، وبيت المهدي، وبيت المتوكل، وبيت شرف الدين، وبيت القاسم، وبيت الوزير. هذه أسماء أسر متعددة من الهاشميين. ولكن هناك من هذه الأسر من يختصون بالإمامة، من عرف فيهم الاختصاص بالإمامة التي كانت تنتقل من أسرة إلى أخرى، مما يسبب الحروب الأهلية دائما في اليمن خلال إحدى عشر قرنا، بسبب الصراعات بين هذه الأسر على من هو الأحق بالإمامة. ويمنح أبناء الإمام لقب سيوف الإسلام. وتوجد ألقاب إلى جانب هذا. ومن الألقاب العالمية لقب الإمام وهو أمير المؤمنين أو ظل الله على الأرض أو خليفة رسول الله. وتوجد ألقاب للأشخاص الآخرين من الطبقات الرفيعة، مثلا أحمد يقال له صفي الدين، ومحمد عز الدين، وعلي جمال الدين، وعبد الرحمن وجيه الدين، وكل من كان اسمه عبد ... يلقبونه وجيه الدين. حتى أنه في المراسلات أحيانا إذا أراد أن يكتب لشخص اسمه أحمد يكتفي بقوله الأخ صفى الدين أو الأخ الصفي. ولقب عبد الله فخر الدين، ولقب محسن حسام الدين، ولقب حسن وحسين شرف الدين، ولقب يحيى عماد الدين. ولأحمد لقب آخر إلى جانب صفي الدين وهو شمس الدين (بداية الشريط الثاني).

تســتعمل هذه الألقاب في المراسلات. لا تكتب رسالة إلى شخص إلا ويسبق اسمه لقب من هذه الألقاب. وأحيانا يكتفى باللقب بدلا عن الإسم فيكون معروفا.

وعلى ذكر الطبقات، بعد طبقة الأئمة، طبقة سيوف الإسلام، وهم في الدرجة الثانـــية، ثم أقارب الإمام ومن إليهم من السادة. وهناك طبقة القضاة، حكام الشرع الذين يفصلون في القضايا. وهناك طبقة المشائخ وهم رؤساء القبائل. ومن الطبقات أيضا الفرق بين القبائل والرعية، القبائل تطلق على القبائل الذين يتجندون ويحملون الســلاح مع الحكومة ومع الأئمة، أما الرعية فهم الذين يحرثون الأرض ويرعون الماشية. يطلق عليهم لقب الرعية. ومن الطبقات التي تعتبر محتقرة بالنسبة للطبقة الرفيعة، أصحاب الحرف: النجارون والتجار والحدادون، هذه كلها تعتبر عند بعض القــبائل حــرف لا يمتهنها إلا ابن السوق. ماذا يترتب على هذه الفروق؟ مثلا ابن القاضي أو ابن العالم لا يتزوج بنت الجزار الذي يذبح المواشي، ولا بنت المزين. يقــال إن الكفـــاءة هنا مفقودة، لا بد من الكفاءة بين الزوجين في النسب. فلا زال للنسب في اليمن قيمة كبيرة. لا يمكن أن يزوج الهاشميون أحدا من غير الهاشميين بمـــرأة هاشمية، لأنه يعتبر من طبقة أوطى من طبقتهم. هذه مجموعة من الأفكار عن الطبقات في اليمن. ولكن الفروق بدأت تضيق بعد الاختلاط والمواصلات وبعد دخول شيء من التعليم.

س ــ اخبرنا عن علاقة اليمن بالخارج؟

ج ــ عـــاش اليمن، كما تعرفون، معزولا عن الحضارة الحديثة وبعيدا عنها. وعند ما كانت ولاية اليمن تابعة للإمبراطورية العثمانية كانت الاتصالات محدودة بعلاقة الإمبراطورية العثمانية بالعـــالم. ولكن حينما استقلت وقام حكم الإمام يحيى لم يكن عند الإمام يحيى فكرة عن الدولة الحديثة، بل قام بحكم العادة. وحكم الأئمة فـــي اليمن لا ينظر إلى الخارج ما دام الرعية يدفعون الواجبات وهو يقضي بينهم بـــالحق والعدل كما يقضي بذلك قانون الشرع. فهو لا يحتاج إلى علاقات خارجية. ولكـــن وجـــد إلى جانب الإمام يحيى بعض الذين كانوا يعملون مع الإمبراطورية العثمانـــية وممـــن تثقفوا بشيء من الثقافة، وبقي بعض الأتراك في اليمن أو الذين

كـــانوا يعملـــون مـــع الأتراك. لأن الأتراك كانوا أحيانا يجندون من عرب الشام، فيصلوا هنا وهم يجيدون اللغة التركية ويلبسون ملابس تركية. فبقي من هؤلاء في اليمن أشخاص لفتوا نظر الإمام يحيى إلى أنه لا بد من العلاقات مع الخارج. كان هذا شيئا جديدا على الإمام يحيى. "ماذا يهمني من الخارج، أنا أحكم بلدي فمن أراد أن يتعدى على بلدي فأنا قادر على مقاومته، وهذا البلد سنصونه بالسيوف ونصونه بدمائنا ولا يمكن لأحد أن يعتدي علينا، اعترفت الدول أم لم تعترف. لا يهمنا". فما زال القاضـــي راغب بك، وهو من العثمانيين وكان في اليمن متصرفا بمعني حاكم لـــواء، يقـــنع الإمـــام باعتباره مسؤولا عن الشؤون الخارجية بضرورة الارتباط بالخارج وإيجاد علاقات دولية. اقتنع الإمام مجاراة له ولكنه كان غير مهتم بهذا إلى حـــد كبـــير. فبدأ القاضي راغب ـــ ومنح لقب القاضي بصفته وزير الخارجية ـــ يضـــع ترتيـــب العلاقات مع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وكانت إيطاليا أكثر الدول اهـــتماما بشـــؤون اليمن. والسبب في ذلك أن إيطاليا، مع قربها من شواطئ اليمن لأنها كانت تحتل إرتيريا ومقديشو في بلاد الصومال كانت هذه مستعمرة إيطالية، كانـــت لها اتصالات باليمن عن طريق عدن وعن طريق ميناء مصوع حيث يوجد يمنـــيون. وكانت إيطاليا هناك أكثر احتكاكا وأكثر علاقة باليمن مباشرة. فكان يأتي أطـــباء مـــنها. وأول زيارة لأمير من أمراء اليمن كانت إلى إيطاليا، حيث وجهت دعـــوة لأحد أبناء الإمام، وهو النجل الثاني واسمه سيف الإسلام محمد، وسافر إلى الخـــارج وعـــاد وهـــو مبهوت من الحضارة في الخارج إلى حد كبير. وحاول أن يحدث شيئا من التجديد في اليمن. وبدأ يثبّت العلاقات مع إيطاليا. وكان أول شيء اســـتقدمه إلـــى اليمن الأطباء. ثم جاءت بعثة من أجل صك النقود اليمنية وأنشأوا ورشـــة لإصـــلاح بعـــض الأشـــياء مـــثل الأدوات المنزلـــية والبنادق والأسلحة والخراطـــيش، يعني أشياء محدودة، فكانت العلاقات أقوى ما تكون مع إيطاليا. أما مـــع بريطانـــيا فـــبحكم الاحتكاك بسب الحدود مع المحميات واحتلال عدن ظلت العلاقات دائما ضعيفة وتسوء ما بين وقت وآخر. وكانت العلاقات مع فرنسا كذلك. وأخيرا جاءت فكرة الجامعة العربية فارتبطت اليمن بها. وجاءت وارتبطت بالأمم المتحدة. وبدأت اليمن تخرج بعض الشيء من عزلتها في عهد الإمام أحمد. أما في

عهــد الإمام يحيى فقد كانت العلاقات بالخارج محدودة، واقتصرت على الاعتراف بوجود الدولة دون أن يستفاد منها. وأذكر أن راغب روي لنا مرة أنه بعد أن أنجز عددا من الاتفاقيات مع بعض الدول، وثبت اعتراف الدول بدولة اليمن، أراد أن يقيم حفلة فقــالت لـــه زوجته: "لماذا تقيم الحفل؟". قال لها: "لأني حققت شيئا وهو أني أوجدت كيانا لليمن ودولة معترفا بها." قالت له: "ولكن أنت قمت بهذا العمل لقــوم لا يصلحون أن يكون لهم دولة." قالت ذلك من يأسها من سياسة الإمام وعدم التقيد بالسياســة الخارجية أو المبالات بها. لم يكن للسياسة الخارجية أية أهمية في نظر الإمــام. فكانــت العلاقات محدودة إلى حد كبير. بعدها جاء سيف الإسلام عبد الله وتولى وزارة الخارجية، وهو شقيق الإمام أحمد الذي قتله أخوه الإمام عام ١٩٥٥، فنشط في الخارج، وخرج إلى مصر. وأقام مدة وجيزة في لبنان وحضر اجتماعات فــي الأمم المتحدة. وبدأت اليمن تظهر على المسرح الدولي شيئا فشيئا وتخرج من عزلتها. وبدأت البعثات تصل إلى اليمن. وأراد الإمام أحمد أن ينافس عبد الناصر، فأرتــبط بروســيا وبالصين، وأرسل بعثات إلى الدول الشرقية حتى لا ينفرد عبد الناصـــر بالبطولة. وكان البدر أيضا بحكم صداقته لعبد الناصر يميل للسياسة التي يتــبعها عبد الناصر. كان يشجع أباه على هذا الاتجاه. فأنشأت روسيا ميناء الحديدة لرســو الســفن، ولم يكن هناك إلا ميناء طبيعي محدود بحيث كانت السفن الكبيرة تصـــل إلـــى مسافة بعيدة من الميناء وينقل الناس بقوارب تسير بالمجاديف، سفن شراعية تنقل الركاب إلى قرب الميناء. وأخيرا يأتي من يحمل الركاب على ظهره أو يحملون بهوادج. يوضع لوح ينزل الركاب عليه ويحمله أناس يمشون في الماء حتى لا تبتل ثياب الراكب حتى يصل إلى اليابسة. وشقت الصين طريقا يقدر طوله بـــ ٢٢٦ كلم من الحديدة إلى صنعاء، إجتازت الجبال الشاهقة والوديان ووضعت الجســور وكلــف إنشاؤه حوالي ٧ ملايين جنية استرليني. وكان دينا على اليمن. وبــدأت اليمــن تخرج حتى جاءت مصر سنة ١٩٦٢ لمساعدة اليمن بجيشها على أساس الثورة التي قامت والقضاء على حكم الإمام. وبدأوا الآن يفكرون بالاستفادة مــن هذه العلاقات بالدول الأخرى. لا يكفي مجرد اعتراف دولة بدولة، بل لا بد من الاستفادة من علمها ومن خبرتها.

س ـ حدثنا عن علاقات اليمن بأميركا؟

ج ـ اهـتم سيف الإسلام عبدالله بالعلاقات بأميركا. وأرسلت أمريكا بعثة إلى اليمـن للتنقيب عن المعادن ولإقامة مشروعات، ومدت طريقا ترابية من تعز إلى صـنعاء ومن المخا إلى تعز. كان هذا مجانا مساعدة من النقطة الرابعة. ثم اتجهت نحـو مشروع حيوي هام وهو الماء، فأنشأت مشروعا ومدت به مدينة تعز، وهي مـن المـدن الهامة في اليمن. واهتمت النقطة الرابعة بهذه المياه وبتعقيمها ومدت الأنابيـب إلـى البـيوت والحنفـيات إلى عام ١٩٦٦ حينما قطعت مصر علاقتها بأمـريكا، وهيجت اليمنيين لأن يقطعوا العلاقات مع امريكا. وكان السلال مرتبطا بمصـر ارتـباطا وثيقا فاساءوا للعلاقات مع أمريكا وقطعت من ذلك التاريخ حتى الآن (عـام ١٩٦٩)، علـى الـرغم من أنه كان لها اهتمام بمشاريع حيوية داخل اليمن. ويوجد اليوم اتجاه قوى لدى اليمنيين بعد التغيير الأخير وبعد انسحاب النفوذ المصري لتثبيت العلاقات مع أمريكا، لكن أميركا غير مطمئنة بعد وتريد أن تزداد اطمئنانا بأن الحكم القائم ثابت القوائم.

س ـ مع أن الإمام البدر كان متجاوبا مع الأحرار، لماذا ثاروا عليه؟

ج ـ كـان الـبدر حقيقة متجاوبا مع الأحرار ومتفتحا وعنده رغبة قوية في حـدوث التغيـير فـي اليمـن. كما كان كذلك كثير من أعمامه الذين اشتركوا مع الأحـرار مـثل سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى الذي حدثناكم عنه. وكثير من أولاد الإمـام كانوا راغبين في تغيير الأوضاع. وكان البدر محل عداء من أسرته بسـبب أفكاره التحررية وبسبب ارتباطه بالأحرار. بل إنه تشدد في الارتباط بعبد الناصـر. كل ذلك حرصا على أن تستفيد اليمن من هذا الارتباط. وتعاون الأحرار معـه، ووقفـوا إلـى جانبه. ولكن كان الصراع الدولي الذي قام في البلاد العربية وأمتد إلى اليمن يجـد أن لدى البدر اتجاها نحو الغرب ونحو تطوير البلاد، بحيث لا تجد الشيوعية لها مكانا. وكما كان عبد الناصر أداة الشيوعية في الشرق الأوسط كان أداتها العظمى في اليمن. فاستخدم الوسائل التي يستخدمها الشيوعيون في إثارة

الغوغاء وإلقاء التهم وتشويش الحكم الصالح. يوجد في الدعاية الشيوعية دائما قسم يسمونه قسم الدعوة ولكنه يحمل اسم قسم التحريض والإثارة ضد كل وضع مستقل أو وضع يتجه نحو الاستقرار. وهذا هو أسلوبه. بدأ البدر يتماشى ووضع برنامجا لا بـــاس به. ولكن باعتبار أن اليمن كانت محل تفكير الشيوعيين لتكون قاعدة من قواعدهـــم للانطـــلاق إلى الجزيرة العربية، جعلوا من الحركة في اليمن وتشويش سمعة البدر مبررا لإزاحته وللحملة عليه. لم تكن الحملة على البدر وحده، بل شنت الحملات على الملك حسين وعلى سائر الحكام الذين يســـيرون في طريق معتدلة، أو يتعاونون مع الغرب. كل هذا ليس من أجل خدمة اليمن أو للإتيان بحكم صالح، بل ليؤتى بحكم عنيف يسير حسب أهوائهم.

س ــ اخبرنا عن علاقة الإمام يحيى بإيطاليا؟

ج ــ نشأت علاقة الإمام يحيى بإيطاليا من سوء ظنه بالعرب. كان حاقدا على العـــرب وســـيء الظن بهم إلى حد كبير. حتى أن أمين الريحاني في كتابه "رحلة اليمـــن": قال إنه كان يحاول أن يقنع الإمام بضرورة التعامل مع العرب فيرد عليه بالقول: "العرب كذابون ساقطون". وضرب العزلة بينه وبينهم إلى حد كبير. وكان يـــتهمهم بـــأنهم الذيـــن أدخلوا الاستعمار إلى بلادهم، وبخضوعهم للدولة العثمانية وللأتـــراك وإنهم الذين جروا العثمانيين إلى اليمن. ويقول "أما نحن فقاتلنا الأتراك وقاتلنا كل دولة أجنبية". كان يتعـــامل مع الطليـــان على حـــذر وفي نظـــره أنهم لا يشـــكلون خطـــرا، وأن وجودهم ينافس وجود الإنكليز في الجنوب بحيث يوجد تـــوازن بينهم وبين الإنكليز. كانت هذه سياسته. فكان يتعامل مع الطليان، ويستقدم الأطـــباء مـــنهم والعلاجات. حتى أن أول بعثة من اليمن لتعلّم الطيران تعلمت في إيطاليا. ولكن عند ما عادت واحترقت الطائرة بالطيارين توقف الطيران في اليمن نهائيا. فكان كل التعامل مع إيطاليا في حدود العلاج والطب وما إليه. وحينما غزت إيطالـــيا الحبشـــة بـــدأ يحـــدث تخوف على اليمن حتى أنه عند ما جاءت الحرب الســـعودية عـــام ١٩٣٤ حـــاول الطليان أن ينزلوا في ميناء المخا في اليمن لكي يســـاعدوا الإمام ضد الزحف السعودي لأن السعوديين وصلوا إلى الحديدة. فطلبت إيطالـــيا أن تأتي لمعونة اليمن ولكي تزداد نفوذا في وضع الاحتلال. ولكن كان في

ميـــناء المخـــا الشيخ محمد أحمد النعمان وهو عمي، كان حاكما في هذه المنطقة. فرفض نزولهم ودخل في خلاف مع القائد الإيطالي الذي قـــال له "عندنا برقية من الإمـــام تسمح بالنزول إلى المخا" فرد عليه قائلا: "هذه ليست ملك الإمام، إنما ملك الشـــعب وبلادنا ولا نسمح." وهذا الشيخ محمد أحمد النعمان اعتقل في عهد الإمام يحيى عام ١٩٤٨. وكان الإمام دائما يقول نحن مدينون لهذا الرجل بالموقف الذي وقفه مع الطليان بتاريخ كذا. كان يشاع أن للطليان أطماع في اليمن، ولها دراسات، وخـــرج بعـــض البحاثة والكتاب الإيطاليين والصحفيين وكتبوا عن اليمن في هذه الفـــترة، وكان عند الأطباء الإيطاليين نوع من الأخلاق والإنسانية، فكانوا يقدمون المســـاعدات للفقراء ويعطونهم العلاج مجانا ولا يتقاضون أي أجر. وأذكر أن أحد الأطـــباء وكان اسمه "تفلون" في تعز يتكلم العربية وكان بيننا وبينه علاقة لا بأس بها، حتى أننا حينما لجأنا إلى عدن كان أيضا من الذين يعملون مع ولي العهد أحمد ويـــبدي مشاعر إنسانية ويقول إن الشعب اليمني يجب أن يتخلص من هذا الحكم. وكان يساعد الأحرار ويميل نحونا بهذه المشاعر.

س ــ بما ذا كان يساعدهم؟

ج ــ كـــان يساعدهم معنويا ويتحدث معهم. ذات مرة حينما خرج ولي العهد أحمد إلى عدن خرج هو معه وكان طبيبه، فكان يطلع الأحرار على ما يدبره ولي العهـــد ضدهم، حتى أنه جاء في الليلة التي كنا سنعتقل فيها أو سنختطف في عدن ليخبرنا ويقـــول إن الأمير رتب الأمـــر بفعل كذا وكذا. كان هذا الطبيب رجلا له مشـــاعر إنسانية فعلا، وكان مستاء من الأوضاع التي تعيشها اليمن إلى حد كبير. هذه حدود العلاقة الإيطالية.

س ــ حدثـــنا عن أول لقاء بينك وبين ولي العهد أحمد بعد عودتك من مصر، وماذا ترك لديك من انطباع؟

ج ــ كانت الرسائل متبادلة بيني وبين ولي العهد أيام وجودي في مصر. وقد ألح علي بالعودة إلى اليمن بعد أن رفضت الحكومة المصرية منحي امتياز إصدار صـــحيفة "اليمـــن الخضراء" التي وعدني ولي العهد بتقديم المساعدة اللازمة للنفقة

علـــى إصـــدارها. وكان أول لقاء بيننا بعد العودة من مصر يوم وصولي مباشرة. وقد دخلت إليه بعد استئذان الحاجب وهو في المجلس مع حاشيته ومقعده في صدر المجلـــس بملابسه التي لم أعرفه بها أيام اللقاء الأول في الزرائيق، قبل ثلاثة عشر عامـــا. وحين اقتربت منه رفعت صوتي بالتحية المعتادة "السلام عليكم" فرد التحية بمثلها مبتسما مرحبا يردد هذا البيت:

وما جئت حتى آيس الناس أن تجي　　سموك منظـورا وجئت على قـدر

فانحنيــت لمصافحته وحاولت تقبيل ركبته فلم يسمح كعادته. وآواني بالجلوس فـــي أقـــرب مكان إليه، وأمر لي بالقهوة لأني لا أتناول القات. وكان يباشر أعماله المعـــتادة في مطالعة البريد والرسائل والإجابة عليها وعلى ما يمتد إليه من أوراق طارئـــة، وبين فترة وأخرى يقبل علي بأسئلة عن مصر وأحوالها، وكانت جواباتي كلهـــا شكوى من سوء الأحوال، والخروج على الدين وعن تعاليم الإسلام، وقارنت بين اليمن وما تنعم به من سيادة واستقلال وتمسك بالدين وما تعانيه مصر وغيرها من البلدان التي نكبت بالاستعمار. واستشهدت بقول عمر بن الخطاب: "جهل الناس بأحوال الجاهلية يوشك أن ينقض عرى الإسلام عروة فعروة". وقلت "جهل اليمنيين بأحوال سائر الأقطار المنكوبة بالاستعمار يجعلهم لا يقدرون نعمة الاستقلال". وقد كـــان يصـــغي ويستجيب، حتى اقترح علي أن يكون هذا الحديث في خطبة جامعة لـــيعرف الناس الحقيقة كي يقدروا الاستقلال ونعمة الإمام. وقد كان الترحيب حارا ودودا. وفـــي نهاية الجلسة استأذنت وخرجت مع القاضي حسين الحلالي، ونزلت عـــند الوالد الشيخ محمد أحمد نعمان. ولفت نظري في هذه الجلسة عند ولي العهد دخول أشخاص من الموظفين الذين عرفتهم من قبل برؤوس مرتفعة ومظاهر نعمة فـــي ملابســـهم وكبرياء. لفت نظري ما لمحته من مشاهد الذل على وجوههم وهم يـــبركون علـــى ركبهم أشبه بالمفجوعين، متوقعين العقوبات. فلم أشأ أن أبدأ سوء الظـــن بولـــي العهد وأنا في غمرة الفرح والغبطة بتلك المبالغة في الترحيب بي. ولكننـــي اجتمعت بعد خروجي بصديقي الحميم وصاحب الفضل الكبير علي، السيد عـــباس بن أحمد باشا، فوجدته يشكو مر الشكوى من ولي العهد وخيبة الأمل فيه،

وأنـــه جاء نكبة على اللواء التعزي الذي كان في عهد سلفه أسعد حالا. وقص على قصصـــا مرهــبة من تصرفات ولي العهد وغلمانه، وإجراءاته وسلوكه ومعاملته للناس بقسوة. قلت في نفسي ربما كان السيد عباس موتورا لأن ولي العهد لم يحقق لـــه رغــباته الشخصية في منصب كان يطمع فيه، كما أنه ربما حال بين الأقوياء والضـــعفاء ولـــم يترك للأقوياء فرصة التسلق والتحكم التي كانوا يتمتعون بها من قـــبل. وبعـــد بضـــعة أيام من مقابلتي لولي العهد أعددت خطبة والقيتها في جامع المظفـــر بعـــد صـــلاة الجمعة تحوي كل ما تحدثت به إلي ولي العهد عند مقابلتي الأولى، فتأثر لها تأثرا شديدا وبكى بكاء مرا. ولما فرغت من الخطبة ذهبت للسلام علـــيه في محراب الجامع فقال " شكر الله سعيك وجزاك خير الجزاء عن الإسلام والمســـلمين". وجـــرى الحديث بين الناس والتعليق على الخطبة بالإعجاب البالغ. وكنـــت أسمع ذلك ويزداد السرور والغرور في نفسي مع تظاهري بالتواضع. وقد حضـــرت مجلس ولي العهد بعد هذه الخطبة واستأذنت بالسفر إلى الحجرية لزيارة الوالدة والأهل والأولاد والإخوان بعد غياب ما يزيد على ثلاث سنوات في مصر، فـــأذن لي بذلك وأمرني باستصحاب الأهل الذين في الحجرية ليكون مقامنا في تعز إلـــى جـــواره. وطلبت منه أن يتيح لي فرصة التحدث إليه في جلسة خاصة فوافق وحـــدد الموعـــد. ولمـــا حضرت في نفس الموعد وجدت المكان يغص بالزائرين فذكرته بالموعد خشية أن قد غاب عن ذهنه مع كثرة الاشغال، فقال لي: "إن الموعد فـــي ذاكرتي" وأخذ بيدي وانتحى بي ناحية المكان كأن الحديث مجرد طلب خاص، فـــبدأ الحديـــث الـــذي كنت أعده يتطاير من دماغي ويتبخر. ولكنني صممت على استجماع ما يمكن استجماعه، وحاولت أن أشعره بمسؤوليته وآمال الناس فيه وأملي وسائر الذين تركتهم في مصر، في تقدم اليمن وتطوره على يده. ولكنى كدت أوقع نفســـي فـــي ورطة وأثير في نفسه الشكوك حولي، فأختصرت الحديث ونقلته إلى حديـــث خـــاص يتعلق بالمنصب الذي اسنده إلي وهو إدارة معارف تعز. فقال لي: "اجـــتمع بالقاضي الحلالي وتفاهم معه على برنامج التعليم"، فودعته وقد بدأ الأمل يضـــعف، والشـــك في سوء نواياه يقوى. وكان الحلالي قد نصحني ألا أتقدم بأية نصيحة، ولكنني اتهمت الحلالي بالغش والخداع وعدم الإخلاص في خدمة الوطن.

س ــ أكانــت لك رغبات شخصية خاصة تأمل أن تحققها من وراء علاقتك بولي العهد؟

ج ــ لم تكن لي أية رغبة شخصية. فقد كانت فكرة المصلحة العامة مسيطرة علي، والطمع بالحرية التي كنت اتمتع بها في مصر من أعظم رغباتي.

س ــ ما هي الحادثة التي بدأت تحوّل مشاعرك من حالة الرضى إلى موقف الناقد المتفحص فالرافض لتصرفات ولي العهد؟

ج ــ كانــت حادثة الجلسة الأولى المشار إليها إشارة البدء لعدم الرضى عن سياسية ولي العهد. وتلاحقت حوادث كثيرة حملتني على السخط. ولكنني كنت دائما أردد قول الله: [... لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا، قالوا معذرة إلــى ربكم ولعلهم يتقون] (الأعرف، ١٦٤). كان الأمل في نفسي أقوى من اليأس، وقــد ظللــت مدة مقامي في تعز أعيش بين الأمل واليأس. وكانت ظروف الحرب العالمية الثانية قائمة تحول دون تفكير المرء بالهجرة من اليمن.

س ــ ما هو الجانب الخاص الذي كان يشدك بقوة إلى شخصية ولي العهد؟

ج ــ مــن الإنصاف لولي العهد القول إنه كان وفيا لأصدقائه. وقد كان بيني وبيــنه تجاوب في المشاعر والعواطف. غير أننا مختلفون في الرأي والتفكير. لقد لمســت مــنه ودا وتقديرا وعطفا زائدا. وكان يتقبل أحيانا الرأي والنصيحة ويتأثر كثيرا بمنظر البؤس، وذل العزيز، وأحيانا العكس، لا يقف على حق. وكانت النكتة والفكاهــة تجذبه وتشده إلى صاحبها. وكان يضحك كثيرا حين أتحدث معه باللهجة العامــية للحجرية، ويرتاح إلى أحاديثي ومجالستي له. ولكن على الأساس السابق وهو ألا أتعرض لهواجس سياسته. وكان يأتي بسيارته إلى باب منزلي ليستصحبني معه في جولاته داخل البلاد، مما شدني إليه وجعلني أشعر بمشاعره الودية الصادقة نحوي، بل كان يكاشفني أحيانا بأنه مطمئن إلى ودي له ويقول: "أما الآخرون فإنهم نصبة"، أي نواصب، جمع ناصبي، والناصبي هو الذي يعادي أهل بيت النبي.

س ــ كيف نشأت لديك فكرة الهجرة من تعز؟ ومن هم الأشخاص الذين بحثت معهـم الأمر، وماذا كانت الحسابات لديك للأثر الإيجابي لهذه الرحلة؟ وهل قدرت لهـا آثـارا سليمة في ذلك الحين، سواء على المستوى الشخصي أم على مستوى العائلة أم الأصدقاء؟

ج ــ كـادت الهجـرة من اليمن أن تكون هوايتي المفضلة. وهي راجعة إلى مرحلة الطفولة أيام كنت أترك قريتنا لأذهب إلى القرى المجاورة وأفضل البقاء فيها على البقاء في البيت. وفي مرحلة المراهقة اغتنمت فرصة رغبة والدي القوية في أن أدرس في زبيد، ففررت وكنت أول واحد في الأسرة يهرب إلى زبيد. ولما علم والـدي بذلك أرسل من يرافقني في الطريق ويستأجر لي حمارا للركوب عليه وهو فرح مستبشر. كما أنه عزم على ترحيل بعض أولاد عمي مع أخي نعمان للالتحاق بـي والدراسة في زبيد. وقد عاد الجميع وبقيت وحدي مهاجرا في زبيد خلال سبع سنوات. كما كانت فكرة الهجرة إلى مصر تحت مبررات شرحناها فيما سبق أحلاما وأماني. ففكرة الهجرة من تعز كانت تراودني منذ عودتي إليها مباشرة لولا ظروف الحـرب التي كانت قائمة في تلك الأيام. وكان هدفي في هذه المرة للهجرة واضحا وهـو ممارسة مهنة الصحافة ومواصلة النشر ضد الأوضاع في اليمن بعد أن تبين لي أن ولي العهد لم يحقق ما كنا نعلق عليه من الآمال. وما كان الهدوء والمسالمة والمقام مع ولي العهد واظهار الرضى عن سياسته إلا كما قال المتنبي:

أريك الرضى لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك لاهيا
تظـن ابتساماتي رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

وكنـت أردد دائما "لم نجد جدا فهزلنا"، وما هذه "الحياة الدنيا إلا لعب ولهو". أترنم باستمرار وأناجي الكثيرين بأقوال شوقي:

أيها النفس تجدين سدى هل رأيت العيش إلا لعبا
هون الدنيا تهن عندك ما أهون الدنيا لمن قد جربا

حتى إذا جاء الزبيري بعد خلاصه من سجن الأهنوم، عشنا معا وكنا نحس أن الأنظار تتجه إلينا للعمل من أجل الوطن. نسمع الكلام والغمز من الكثيرين يتهموننا بالنفاق وتشجيع ولي العهد بما نلقيه في الحفلات والمناسبات من كلمات شعرا ونثرا في الثناء عليه والمبالغة في مدحه والتقرب منه وملازمته الدائمة.

وأقبح شيء رؤية العين من يسئ ويتلـوه في المحـافـل حمـده

وقـد كان هناك أشخاص مثل عامل تعز محمد باشا وشقيقه السيد عبد الجليل باشـا، يواجهوننا باللوم والاستنكار لعدم نصحنا لولي العهد. فتحديناهم وقلنا "نحن مسـتعدون للخـروج إلـى الخارج لإعلان المعارضة للوضع. فهل أنتم مستعدون لمساعدتنا؟" قال السيد عبد الجليل: "من المستحيل أن نبخل بأموالنا عن مساعدة من لن يبخلوا بأرواحهم". وكان الشيخ عبد الله الحكيمي يراسلنا وينصحنا بالهجرة إلى عـدن، فنسأله: "هل الحكومة البريطانية مستعدة للسماح لنا؟" فيرد علينا أنه أتصل بالحكومـة يسألها فردت عليه:" إننا لا نمنع أحدا من اليمنيين من المقام في عدن". وبقيـنا ندرس النتائج التي ستترتب على هذه الهجرة. وكنا نعرف سلفا أن عائلاتنا وكـل مـن ينتمون إلينا سيتعرضون للعقاب من الحكومة، لأنها دائما تأخذ البرئ بالمسـيئ، والمقـيم بالراحل، والمقبل بالمدبر. وكان هذا أكبر عائق لهجرتنا حتى أوشكنا أن نتعرض نحن للسجن. وكثرت النصائح لنا بالهجرة قبل أن نقع في الفخ ونندم حيث لا ينفع الندم. ولمسـنا الفجـوة والشكوك من ولي العهد واختلاقه تهما قد يبرر بها اتخاذ أي إجراء ضدنا. وبدافع الخوف من الاعتقال وخاصة عند الأخ الزبـيري الذي عاش في سجن الإمام يحيى سبعة أشهر، وكان يقول لي دائما "أنت لا ينقصـك سـوى السجن لكي تكون يقظا حذرا"، نعم بدافع الخوف من الاعتقال وتحـت تأثـير النصائح المتكررة ورسائل الشيخ الحكيمي وأملنا بمجال للنشاط في عدن قررنا الهجرة. ولا ادعي المبالغة إذا قلت أن هناك دافعا قويا كان أعظم حافز للهجـرة وهو الدافع الديني للهجرة، والتأثر بالآيات القرآنية التي تحث على الهجرة "إن الذيـن توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيما كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قـالوا ألـم تكـن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان. لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم". ونتلو قول الله: "قل إن كان أبناؤكم وأزواجكم وأموالكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين". لقد مرت علي فترة طويلة وأنا مصاب بما يسمى هستيريا الرسل، أحاسب نفسي سرا وألما وأقسو عليها وعلى أولادي وأحرم عليها ما زاد عن القوت الضروري، حتى بعت ملابس كنت أتجمل بها، وحلي زوجتي ومدخراتها، لأرصد كل ذلك للقضية المقدسة. وكنت مصمما على أن لا نعلن المعارضة، وأن نلتزم الصمت، ونجعل الخوف هو السبب لفكرتنا، ونبقي على الصلة بولي العهد حتى لا يتعجل بإنزال العقوبة بمن ورائنا. وكان الخوف مبرر فكرتنا حتى عند ولي العهد نفسه. بل لقد تركت له رسالة لتسلم إليه بعد سفري ويسلمها ابني محمد وهو لا يتجاوز العاشرة من العمر، وتحمل هذا السبب بوضوح. ومن جهة أخري أردت أن أتلمس استفزاز أبناء اليمن وغيرتهم لمساندتنا، وأن أبرهن لولي العهد من بعيد أننا مخلصون في النصح نريد الإصلاح على يده لا نحمل حقدا ولا نطمح لسلطة ولا ننازعه الأمر. وسارت الأمور بعد ذلك على غير ما يريده المرء لوجود معارضين لا يفقهون حديثا.

س – ما هي أول صدمة لقيتها على مستوى العمل السياسي في عدن سواء داخل التنظيم الجديد أو خارجه؟

ج – واجهت أول صدمة من العناصر التي حاولت أن تفرض نفسها علينا وتحملنا أعباءها ومئونتها وتلزمنا بسياسة الهجوم السريع بالشتائم والسباب إلى جانب مطالبة الإنكليز بالسلاح والمال. وهالني أن زميلي الأستاذ الزبيري أوشك أن يتحمس لهذه السياسة أو للأقتران بهذه العناصر لتأمين معيشتها وسكنها. قلت له "لا بد من وجود فهم مشترك بيننا، ومن معرفة كل منا لأخيه. يجب أن تكون لنا خطة هادئة وأن لا نتعجل، ولا نعلن عن رأي أو سياسة حتى نتبين الأمور ونرى ما عند الناس من أفكار وحماس، وهل هم في المكان الذي نتصوره باعتبارهم يعيشون في الخارج ويرون ما تصنعه الحضارة وما تقدمه الشعوب. وأهم شيء نبهت إليه رفيقي هو أن لا نظهر بمظهر الملتزم للآخرين المتصدر لقيادتهم، لأن

معـــنى ذلـــك تحمـــل أعباء لا نطيقها، ومسؤوليات نعجز عن القيام بها، فنتعرض لحـــرب شعواء وندخل في صراع من أول يوم مع هؤلاء المتعجلين الجهلاء. وما هـــي إلا أيـــام قلائـــل حتى التحق بنا الشهيد زيد الموشكي والسيد احمد بن محمد الشـــامي، وصـــوروا لنا الأثر الذي تركته هجرتنا، ونزاع ولي العهد ووالده الإمام يحيى، وأن المواطنين يعلقون علينا الآمال في إنقاذ البلاد، ويخيل إليهم أننا سندخل بجـــيش عرمـــرم وأن الإنكليز سيقدمون لنا المال والسلاح، وأن الذين يعيشون في المهجر سيلتفون حولنا ويقدمون أموالهم وأرواحهم. وهكذا أسرف الناس في آمالهم وتهـــاويل أوهامهم وأحلامهم. لقد جن الأخ الزبيري بهذه الأخبار. وكان رحمه الله ككـــل شـــاعر يهـــيم في أودية الخيال. وبدأ يضغط علي للاقتناع بضرورة إعلان مـــنظمة الأحرار وتأسيس جمعية أو حـــزب. قلت لـــه "إننا سندخل في صراع مع الأعضـــاء مع أول يوم نعلن فيه أي تشكيل أو تنظيم. فدعنا والدخول في المشاكل قـــبل أن نجـــد لـــنا مستقرا أو مكانا ننام فيه". ظللنا ندور في شوارع عدن والشيخ عـــثمان فترة طويلة لم نجد يمنيا واحدا ممن لهم عمارات أو مساكن يقبل أن يؤينا فـــيها. فقد أصبحوا يخافون عقاب الإمام لهم ما عدا أفراد قلائل كان عندهم الرفق وقالوا إنهم لن يقصروا في العون والمساعدة المادية سرا تأمينا لمعيشتنا ورحمة بنا واشـــفاقا عليـــنا، لا مـــن أجـــل القضية التي لم يستحقها حتى الذين يدعون الناس لمساعدتنا والبذل من أجلها. وأخيرا أصبحت الأغلبية من الذين وفدوا في هذه الفترة إلـــى عدن تؤيد تأسيس حزب ليضمن لهم الحزب مطالبهم الخاصة والعامة. ولكن قـــانون حكومة عدن لا يسمح بقيام أحزاب، فتقرر الاحتيال بالقول إن هذا الحزب تأســـس فـــي صنعاء وإنما يمارس أعضاؤه نشاطهم فيه. ونزلت عند رأي الأغلبية الـــذي لم أقتنع به قط خشية اتهامي بالاستبداد. وأطلقت التهم بأنني أشد استبدادا من بيـــت حميد الدين ومن الإمام يحيى لأن هؤلاء فهموا الديموقراطية أن على الناس قـــبول آرائهم ولو كانت خاطئة ضارة وأعوج من رجل الكلب كما كان ولي العهد أحمـــد يقول، وإلا فإن الذي يرفض هذه الأراء يكون مستبدا وطاغيا يريد السيطرة علـــى الآخرين وإخضاعهم لأرائه. وقد تمكنا من الحصول على المكان الذي يفتتح فـــيه إعـــلان حـــزب الأحـــرار اليمني ودعوة اليمنيين يوم الافتتاح. واستعرض

المجـــتمعون المشـــكلة اليمنية في ذلك الحين وأهداف الحزب لحل المشكلة. وتبرع المقـــتدرون يـــوم الافتتاح كل بما يقدر عليه مما يستطيع، وجمع في ذلك اليوم من التـــبرعات ما يقرب من ألف وثلاث مئة ربية، ثم انتهت الجلسة. ولم يطلع صباح اليوم الثاني حتى جاء الكثيرون يطالبون بتوزيع رأس مال الحزب الذي جمع أمس وقســمته بالسوية بين القادمين من اليمن. وخيل إليهم أن مالية الحزب للإنفاق على أعضـــائه المنتمين إليه، فعهدت إلى الأستاذ الزبيري بالتفاهم معهم. فلما أوضح لهم وجـــوب صرف مالية الحزب كما تضمنها قانون الحزب اقتنع بعضهم ورجع إلى اليمـــن بـــثورة حتى لا يعيش مشردا جائعا، فإنه لم ينضم إلى الأحرار إلا ليحصل علـــى مكاســـب وفوائد أعظم مما كان يحصل عليه في اليمن. فصمم بعضهم على الـــبقاء وعلى المطالبة بنصيبه من مالية الحزب والتهديد بالخروج علينا ومحاربتنا. وهـــنا بـــدأ الصراع وتبادل التهم. ولم يحل المشكلة سوى أن حكومة عدن أصرت علـــى وقـــف أي نشاط معاد لحكومة الإمام وإغلاق مقر الحزب. فتنفست الصعداء وتنفس معي الأخ الزبيري أكثر معترفا بخطأ تقديره للموقف ومنحني لقب "المهم". فانصـــــــرفنا لمطالعة الكتب ثم التحقنا بمدرسة بازرعة نعلّم اللغة العـــربية بمرتب لا بـــأس به، وأنضم معنا السيد زيد الموشكي والسيد أحمد الشامي. أما الباقون من المكافحين فاستمروا يركزون الحملة علي ويتهمونني بحرمانهم من المساعدات التي ظـــنوا أنني اتلقاها من كل صوب. والذي حملهم على هذا الظن أن أكثر المواطنين فـــي عدن كانوا من الحجـــرية التي انتمي إليها وهـــؤلاء يترددون علي ويثقـــون بي ويطمئنون إلي بسبب المعرفة الحقيقية والروابط القبلية والنسب. وكان زملائي الـــثلاثة الموشكي والشامي والزبيري يكادون يصدقون هذه التهم، فيناقشونني فيها ويطلبون مني تقديم المساعدة والعون لهؤلاء. غير أن الزبيري كان يعرف الحقيقة تمامـــا لأني لم أفترق معه قط، وقد تولي الدفاع عني فدفع بمشاركتي في المكاسب والمغانم وقامت مشادة بينه وبين المرحوم السيد زيد الموشكي ذات مرة حتى عدت أتدخـــل أنا المتهم لحل الخلاف بينهما. ولقد صدم المرء بهذا النوع من الشخصيات ولكـــنه لم يستغرب ولم يندهش ولم ينزعج. فذلك مبلغها من العلم والفهم. ولم نكن نحن أكثر منها علما ولا فهما إلا أننا سبقناهم بالتجربة والدرس. كما أنني صدمت

مـــن الداخـــل، فقد نسانا أولئك الذين وعدونا بالمساعدة. بل أشتد حذرهم منا ومن الاتصال بنا، وأصبحوا يتقربون إلى ولي العهد مظهرين له صدق ولائهم دامغين لنا بالخـــيانة وعـــدم الوفاء، متضامنين معه، طامعين بمكاسب ومغانم من وراء ذلك. وصـــدمنا أكـــثر فأكثر بالمهاجرين الذين ظنناهم حريصين على العودة إلى الوطن وأنهم سيضعون ثرواتهم وأنفسهم تحت تصرفنا لإنقاذ الوطن.

س ــ كيف كانت نظرتك لكل واحد من زملائك، وما هي المعايير التي كنت تقيّم من خلالها العاملين في الحركة سواء في عدن أم في الداخل أم في الخارج؟

ج ــ تتضـــح نظرتـــي إلى زملائي من الإجابة على السؤال السابق. وقد كان الزبـــيري وحـــده الزمـــيل الذي لا شكوك بيني وبينه. وما كان يخيفني منه سوى تصـــديقه لكـــل مـــن يتحدث إليه أو يهمس في أذنه، لا يمحص ولا يجادل. وروح المغامـــرة عنده قوية وكذلك المبالغة في المخاوف. وكانت الصراحة بيننا ومكاشفة بعضنا بما ينكره كل على الآخر هي الأساس الذي حفظ الوحدة بيننا ودفاع كل منا عـــن أخـــيه بحضـــوره وغيابه. وأذكر أن السيد زيد الموشكي رحمه الله وقد قرر الـــرجوع إلـــى اليمن وجد الزبيري متشددا في التمسك ببقائي والنصيحة لي بعدم العـــودة التي كان السيد زيد يقنعني بها ويقول "إن الزبيري لا يريد مصلحتك وليس وراءه مـــن يخـــاف علـــيه عقابا ولا حسابا، أما أنت فإن أسرتك كلها في السجن وعـــائلات آل نعمـــان كلها تعاني المتاعب والآلالم، وتتعرض للإساءة والأذى من السفهاء والخصوم." وكان السيد زيد يقول ذلك صادقا وبعاطفة ساخطا على الأستاذ الزبيري بعد خلاف بينهما من أجلي. وكان ردي على السيد زيد:

فـــيا واشيا عفراء بالله خبرا بمن وإلى من جئتمان تشيانى
بمـــن لـــو أراه عانيا لفديته ومـــن لو رأني عانيا لفداني

وقد أمتنع السيد زيد بعد هذا وعرف أنه لا يمكن فصم عرى الوحدة بيني وبين الزبـــيري ورجـــع هو والسيد أحمد الشامي إلى تعز، كما رجع مطيع دماج وعقيل عـــثمان وعـــبد الله ابن حسن أبو رأس، ومن قبلهم الشيخ محمد بن ناجي القوسي والشـــيخ مقبل جميزه وغيرهم، وبقيت أنا والزبيري لوحدنا. أما المعيار الذي كنت

أقيّم به العاملين فهو التجنّد للمعركة والتفرغ لها بكل تجرد وإخلاص. وإذا أدركت أن العـامل فـي القضـية يتخذ منها وسيلة للكسب والارتزاق فإنني أنفر منه أشد الـنفـور. ولم يأت هذا المعـيار إلا نتيجة تجربة مع الكثيرين ممن ليس لهم فكر ولا أسـتعداد لعمل. يطالبونني بالانفاق عليهم لأنهم يشتمون الإمام، ولأنهم تركوا أعمـالهم وجاءوا إلى عدن للإنضمام إلى الأحرار ليكونوا عبئا عليهم، وليعرّقوهم عن التفكير بما يجب عمله بحثا عن مصادر للمال للإنفاق عليهم وتأمين معيشتهم.

س ــ ماذا كان في خاطرك من أهداف في المدى القريب والمدى البعيد؟

ج ــ إقـناع ولـي العهد بتحرير نفسه من الاستبداد، واعتناق فكرة الشورى، واصطفاء مجموعة من ذوى الرأي لأستشارتهم فيما يتخذ من إجراءات وما يصدر من قرارات. وكانت فكرة الشورى تسيطر على نفسي وتملأ ذهني منذ بدأت أحس بخطـر الاسـتبداد وظلم المستبد وجرائمه وطغيانه. وكان يخيل إلي أن ولي العهد سيتحول من حاكم مستبد إلى حاكم ديموقراطي لمجـرد نصيحة أو رسـالة، وأنه مـا دام ينصـف بالسلام ويصغي للحديث ويتحلى بالتواضع فلن يجد الناصح أية صـعوبة في إقناعه. وما دمت أتمتع بصداقته ووده ورضاه فإنني قادر على التأثير عليه والتفاهم معه، خاصة وهو قارئ للقرآن والسنة النبوية، ويعرف ما جاء فيهما حـول الشـورى. وعلى الرغم من تجربة النصائح تصريحا وتلميحا، فإنني كنت مصمما على أن لا نعلن المعارضة فور هجرتنا إلى عدن، وأن تكون الرسائل إلى ولـي العهـد هي الوسيلة لإقناعه، وأن نستخدم معه الصراحة ونحن في منأى من عقابـه، فربما يكون للنصح من بعيد أثره. وقد اختلفت مع الزملاء في سلوكي هذا السـبيل. وكانـت وجهة نظري تتلخص بمحاولة الاتصال بالحاكمين وإقناعهم بأن الإصلاح على يدهم أيسر و أقرب، لأن الشعب ما زال في غيبوبة وجهل لا يسمع ولا يبصـر ولا يعقل. وإذا انتظرنا يقظته فسيطول الانتظار. ونحن قد تخلفنا تخلفا شائنا، وأصبحت الهوة كبيرة بيننا وبين الأقطار العربية التي تطورت بعض الشيء علـى يـد المستعمرين أعداء الإسلام والمسلمين. أما الزملاء فكانت وجهة نظرهم القضاء على الإمام أولا، إذ لا سبيل لأي إصلاح ما دام حيا. وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد فكرة التعليم وتوعية الشعب. وقد نزلت عند رأيهم. فقد كانوا أغلبية وتجد

وجهة نظرهم تأييدا عظيما، ولا سيما وأن محاربة الاستبداد كانت كلاما وشتائم وسبا. وهذا النوع من الحرب يجد جنودا كثيرة وزعماء بلا حساب. أما ما الذي كنت أقدره لنجاحي لتحقيق الشورى فهو كما سبق إقناع ولي العهد بفكرةالشورى وتحرير نفسه من الاستبداد بعد سماع النصيحة وقراءة الرسالة. وكنت متأثرا بدعوة الإسلام الأولى، ودخول الناس أفواجا في دين الله، وتحول رجال كعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وكبار كفار قريش وطغاة الجاهلية عن معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعبوداتهم إلى الدعوة الإسلامية عند سماعهم آية قرآنية أو مقابلة للرسول أو لمن يبعثه إليهم بالرسالة. فلذلك رسخ عندي أن ولي العهد لو رزق بطانة صادقة مخلصة واعية فإن استعداده للتحول والتطور متوفر إلى حد كبير. وكنت أفهم الشورى في ذلك الحين فهما محدودا على حسب ما درسته في الشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام، إمام عادل وبطانة صالحة يستشيرها في كل الأمور. أما الشورى علىالطريقة الحديثة وقيام الدولة الحديثة والدستور والقوانين فلم نكن نفقه شيئا منها. ولم نكن نفكر في وسائل تحقيق الإصلاح الذي نطالب به. والشعب الذي نهتف باسمه ونتظلّم له وننشد له الطمأنية والاستقرار والعدل والإحسان لا يخطر في بالنا توعيته وتثقيفه وتوجيهه إلى ما يجب عليه. كانت الحكومة كل شيء وعليها كل الواجبات. وعليها أن تصلح نفسها بنفسها حتى ولو كانت لا تدري ما هو المطلوب منها بالتحديد، ولا تعرف ماذا تصنع. ونحن وحدنا نشن الهجوم عليها ونطلق الحملات الدعائية تنفيسا عن أنفسنا وعن الناقمين عليها.

س ــ كيف بدأ الاتصال بينكم وبين سيف الحق إبراهيم، وماذا كان انطباعك عنه بعد أن تعرفت عليه لأول مرة، ثم ما ذا كان تقييمك له أثناء العمل، وما مدى معرفته بالسعي لنقل العرش من أسرته إلى أسرة الوزير؟ وكيف كان شعوره عند مفاتحته بالأمر؟ وهل حدث بينك وبينه صدام أو إحساس بالتنافس؟

ج ــ كان الأمير إبراهيم محل غضب أبيه هو وبعض إخوته لمسلكهم الشخصي الذي خرجوا به عن المألوف، فأصبحوا عرضة للسجن المرة بعد المرة. وقد أرادوا أن يصرفوا أذهان الناس عن سوء سلوكهم بانتقاد سياسة والدهم والمطالبة بالتغيير وتأييد الأحرار المعارضين. وقد استغل الأحرار في صنعاء

والمتصـــلون بنا نقمة الأمير إبراهيم وإخوته، فحرضوهم علىاللحاق بالأحرار في عـــدن وعدم البقاء في صنعاء. فلقيت الفكرة هوى في نفوسهم للخلاص من الوضع الـــذي يعانونه شخصيا، ومن السجون التي أصبحت مأواهم، والقيود الحديدية التي تثقل سيقانهم، ثم لكسب منزلة عند الناس تمحو من ذاكرتهم ما يشاع عنهم من سوء السلوك. وقد ضمن لهم الأحرار كل ما يصون كرامتهم ويرفع شأنهم. وقد قام ابن آخر للإمام هو العباس بأول محاولة للفرار لكنه فشل واعتقل. أما إبراهيم فقد كان بارعا في التمويه، وكان ذكيا يجيد التمثيل، فأدعى المرض الشديد وتفاهم مع طبيب إيطالـــي علـــى أن ينصـــح الإمام بأن يسارع بإرساله إلى اسمرا للعلاج، ويشعره بالخطـــر الذي سيلحق بولده إذا تأخر. وأيا كان الإمام يحيى قاسيا فإن قلب الأبوة يقف مع الولد. وحالا وافق على سفره وأن يرافقة ذلك الطبيب الإيطالي وسكرتيره الخاص الأستاذ أحمد البراق الذي كان له دور كبير في إقناع الأمير. كما أن السيد أحمـــد المطـــاع وأخاه محمد المطاع، وهما القائمان بنشاط في صنعاء وصلتنا عنه قائمـــة، كانـــا علـــى صلة بالبراق سكرتير الأمير إبراهيم، وبالأمير إبراهيم نفسه وإخوتـــه. وهمـــا اللـــذان كتبا إلينا يستشيران في إمكان لحاق الأمير وإخوانه بنا، ويســـألان عـــن مدى الفائدة وإمكانية الإنفاق عليهم. وقد فرحنا ورحبنا بذلك أعظم ترحيـــب. وتـــم خروج الأمير إلى أسمرا وكتب لنا وهو هناك وأكمل بذكائه دور التمثيل. وأراد الاحتياط لنفسه قبل أن يعلن انضمامه للأحرار. فقرر مجرد المرور بعدن حيث كانت مركزا للأحرار. واتصل بسلطان لحج يشعره بالمرور إلى عدن، فيسر السلطان السبيل، واتصل بالسلطات الإنكليزية فأستقبل رسميا ونزل في قصر الســـلطان ضيفا مكرما بعد أن كان قد قام بزيارة إلى أديس أبابا وقابل الإمبراطور هيلاسلاسي. وبعد وصوله إلى عدن تشعبت آراؤنا واختلفت، وارتاب بعض إخواننا من أبناء اليمن الأسفل في نوايا الأمير، واتصلوا بي سرا وحضوا على عدم التورط أو الالـــتزام للأمير بشيء حتى نتعرف عليه ونعرف اتجاهه وتصميمه على البقاء معـــنا. فربما كان مدسوسا على الأحرار من أبيه. وقد تم التعارف واطمأنت النفس إلـــى صـــدق الأمـــير وسخطه على السياسة التي ينتهجها والده وإخوته، ورغبته الحقيقـــية في تغيير الأوضاع، وعدم حرصه على السلطة. وما من شك أن الباعث

الأول للسخط حرمانه من حريته الشخصية، ومن تحقيق رغباته الشخصية. وربما رأى كما رأى غيره أن تحقيق الحرية الشخصية للمرء والرغبات والمطامح لا يمكن أن تتم إلا عن طريق مطالبته بالحرية لكل فرد والسعادة لكل فرد. لأنه سيجد الأنصار والتأييد والعطف إذا طالب للآخرين بالحقوق المشروعة وأعلن سخطه على ما ينزل بهم من ظلم، ويكسب في الوقت نفسه حقوقه من خلال مطالبته بحقوق الآخرين، ويمنع الظلم عن نفسه بدفاعه عن المظلومين. وبعد قضاء الأمير إبراهيم ثلاثة أيام ضيفا على سلطان لحج، وبعد الاجتماع به سرا عدة مرات للتفاهم معه على الانضمام إلى صفوف الأحرار وموافقته على ذلك، وجدنا من الإنصاف له والاستفادة الكبرى من انضمامه أن نجعله محل تكريم وإعزاز، وأن ننزله منزلا كريما بين المواطنين. وقد رحب المواطنون أعظم ترحيب، وأقاموا له حفلة تكريم في فندق "إحسان الله"، وألقيت الكلمات المناسبة للترحيب به. فاعلن في نفس الحفلة انضمامه إلى صفوف الأحرار بكلمة ألقاها، وبيان صدر عنه. ونشرت الكلمة والبيان في صحيفة "صوت اليمن". وأحدث انضمامه دويا هائلا في الداخل والخارج. وكسبت حركة الأحرار قوة وانتصارا وثقة، وقطعت شوطا ما كان لها أن تقطعه خلال عشر سنوات. وتوثقت الصلة بيني وبينه إلى حد بعيد. فقد كان صريحا واضحا صادق اللهجة، متحررا من روح الأنانية والاستبداد تحررا جعل الآخرين الذين لا يعرفونه حق المعرفة يتهمونه بالضعف والجهل والغباء، وأنه مسير لا مخير. وأعظم ما جعلني أثق به أن بعض الحاقدين كالفسيل والأسودي وغيرهما أرادوا أن يفسدوا العلاقة بيني وبينه ويشككوه في أمري، ويثيروا سخطه، فقالوا له "إن نعمان مستأثر بشؤون الجمعية وأموالها وأسرارها والمرتبطين بها، وأنت مجرد زعيم للجمعية لا تعرف من شؤونها شيئا، ولا تعرف أحدا من أعضائها. فقال لهم "بالله عليكم لو لم يكن نعمان في عدن وله مكانته عند القوم أهل بلده، هل كان أحد يقوم مقامه في عدن؟ من الذي سيستقبلنا فيها أو ينزلنا بهذا الدار، ويهيئ وسائل العمل لنشر القضية في صحيفة ومطبعة ونفقة للعاملين المتفرغين؟" ولما أسكتهم بهذا المنطق، ركزوا على إقناعه بأن يكون هو وحده زعيما للجمعية مطلعا على كل شيء. واقترحوا عليه أن يدعوني إليه ويطلب مني المعلومات عن

مالـية الجمعـية وأعضائها والمشتركين فيها والمراسلين والرسائل إلى غير ذلك. وأظهروا لــه أنهـم فقط خائفـون فيما لو حـدث للأستاذ نعمان أي حادث وأنهم يشاركونه التقدير لنعـمان والاعتراف لــه بالوطنية والإخلاص. ففوجئت وأنا في المطـبعة كما كنت دائما ملازما لها أشرف عليها وعلى طبع الصحيفة وتصحيحها واسـتقبل فـي مكتبها الزائرين، فوجئت بالأستاذ الزبيري، زميلي وأخي، والأستاذ البراق سكرتير الأمير يطلبان إلي أن أقابل إبراهيم. فقلت لهم "بعد الفراغ من عملي سأذهب". فقال الزبيري "دع العمل فإن الأمير غضبان، وربما يأتي بنفسه ويلبجك" و"اللـبج" فـي اللغة العامية في اليمن معناه الضرب. فلم أتمالك نفسي من أن أرد عليه بأني لسـت عبدا له ولا لأبيه حتى يلبجني وأنا لم أتـرك اليمن وأضحي بكل عزيز علي من مال وأهل وأولاد لكي ألقى الهوان والذل على يد الأمير أو غيره!" فأنصرف الزبيري مع البراق دون أية كلمة. وما هي إلا لحظات حتى عاد الأستاذ الزبـيري لوحده وكاشفني بما دار عند الأمير وأنه أعجب بردي عليه أمام سكرتير الأمير الذي كان ممن صدق أولئك الحاقدين وحاول التأثير على الأمير. وقال لي: "لم أقل لك ما قلت إلا ليعرف البراق أني لم أكن متواطئا معك كما اتهموني؟". وقال لـي: "إن الأمـير تولي الدفاع عنك بما لا يمكن أن تدافع به أنت عن نفسك. ومن رأيي أن تزور الأمير وتسمع ما عنده من حديث". وقد زرت الأمير ووجدت عنده الفسيل، أحد هؤلاء الدساسين. فقلت له "تفضل بالخروج فإن عندي حديثا خاصا مع الأمير". فحاول أن يبقى، ولكنني أصررت على خروجه فخرج. وبدأت الحديث مع الأمـير فأثـار ما دار بينه وبين أولئك وطالبني بأسماء أعضـاء الجمعية وقـال: "لا يمكـن أن أكـون زعيما في جمعية لا أعرف أعضاءها. وأنا واثق منك ولكن نخشـي أن تتعرض لحادث وكل شيء مسجل باسمك، المطبعة، والصحيفة، ومقر الجمعية، وحتى السيارة التي استقلها بالإضافة إلى مالية الجمعية". قلت له: "إن هذه أسرار وإني مؤتمن عليها لا يمكن أن أبوح بها لأحد ولا أعرّض أي مواطن لضرر أو أذى. والذين يحرضون يعرفون كل شيء". قال: "ولماذا لا تطلع زملاءك؟" قلت له : "هـؤلاء ليسوا مكافحين ولكنهم مرتزقة". قال: "والأسـتاذ الزبيري؟" قلت له : "كذلـك" قـال: "وأنـا؟" قلت: "وأنت". وكانت هذه مني في حالة انفعال فقدت معه

الصـــواب. فصـــمت رحمه الله ولم يقل سوى هذه الكلمة " لا رحم الله الإمام الذي اضـــطرنا لمواجهـــة هـــذه المواقف." وقد ندمت أشد الندم وشعرت بغلطة كبرى، وجمدت على المقعد الذي أنا فيه كأنني كنت مشدودا إليه بحبال وثيقة. وثقل لساني ولـــم أنطـــق بكلمة من شدة الخجل والندم، ولم أرفع رأسي لأنظر بعيني في وجه الأمير. وقد حضر خادم الأمير كأنه ينقذنا من سبات عميق وقال: "إن مائدة الطعام أعدتهـــا العائلـــة لكما منذ ساعة. وقد برد كل شيء." فأخذ الأمير بيدي وانتقلنا إلى المـــائدة وجلسنا عليها لا يتكلم أحد منا. وما كان أنبله حينما قال لي: "يا هذا، لننس هذه الجلسة اللعينة البغيضة، ولنعد لصفائنا وثقة كل واحد بأخيه. ولعن الله المفسد. وأرجـــو أن نعتبر كل شيء كأنه لم يكن." فتهلل وجهي وزال عني الحرج، وأقبلت عليه بكل مشاعري. وهذه هي الجفوة الوحيدة التي قامت بيني وبينه رحمه الله.

أما معرفته بانتقال العرش من أسرته فقد كان قبيل الأحداث. وكنا نعتمد على ســـكرتيره البراق ليبلغه بما ينبغي تبليغه إيـــاه. وكان يثق بالبراق ويجمع النـــاس، ولـــم يـــبد دهشـــة حين عرف بالأمر. فقد كان هو والكثيرون من اخوته يشعرون بالـــنهاية. وكان خوفهم شديدا من أخيهم ولي العهد آنذاك الإمام أحمد فيما بعد. فقد كـــان لقبه "أحمد يا جناه" وكان يخيفهم. وربما كانوا يطمعون بولاية غيره ليؤمنوا الخـــير لأنفسهم. لم يوجد أي صدام بيني وبين الأمير إبراهيم ولا توجد عنده روح المنافسة. والصدام الوحيد الذي حدث بيننا هو ما سبق ذكره آنفا.

س ـــ هـــل كـــان للمصادمات في عدن أثر على العلاقات بالزملاء في مصر وهـــل كان لديهم علم بذلك؟ وكيف بدأت هذه المصادمات وكيف تطورت وإلى أي حد وصلت؟

ج ـــ كانـــت روح التعصـــب المذهبـــي مسيطرة على الكثيرين، وكذلك روح القبلـــية. وقد كان السخط مركزا علي وحدي دون زميلي الزبيري. فالمنتمون إلى الزيدية والقبليون من الشافعية تعاونوا معا وعملوا على استمالة الزبيري إلى صفهم، وبعـــثوا برسائل إلى الإخوان في القاهرة يشنون فيها حملة علي. ولقيت هذه الحملة هوى لدى بعض الذين في القاهرة، ولكن لثقتهم بالزبيري طلبوا منه أن يشرح لهم

الحقـيقة، فشـرحها لهم شرحا مقنعا. فلم يبق أثر في نفوس الإخوان في القاهرة. واسـتمرت الصـلة بيننا وبينهم وثيقة. أما كيف بدأت المصادمة في عدن ثم كيف تطورت وإلى أي حد بلغت؟ فقد سبق تفصيل ذلك في الإجابة على سؤال سابق.

س ـ كـيف صيغ الميثاق الوطني المقدس؟ وهل دارت مناقشات بين صنعاء وعدن حوله ؟

ج ـ صاغ الميثاق الوطني المقدس الفضيل الورتلاني وتدارسه مع السيد عبد الله الوزيـر وبعض الإخوة في صنعاء والقاهرة مثل الشيخ محمد صالح المسمري، وأحمـد الحـورش، ومحيي الدين العنسي، وقد قتل هؤلاء بسيف الإمام أحمد عام ١٩٤٨، وبعـض جماعـة الإخـوان المسلمين. ونسخه القاضي عبد السلام صبره بقلمـه. وتوجـد بعض الكلمات مصححة بقلم السيد عبد الله الوزير الذي كان خلفا للإمام يحيى، وإبدال بعض الأسماء أيضا. ورشح في هذا الميثاق الفضيل الورتلاني لـيكون مستشارا للدولة. وأرسل الميثاق إلى الخادم غالب ليسلمه إلي وإلى القاضي محمـد محمـود الزبـيري فقط. وقد دعاني الخادم رحمه الله إلى منزله بمفردي، وأطلعنـي على الميثاق وعلى التعليمات بحصر الموضوع بيني وبينه وبين الأستاذ الزبـيري. فقلـت له : "من الرأي ألا يعـرض الآن على الأستاذ الزبيري لأنه لن يـتمالك نفسـه مـن الفـرح بأن القوم جادون في الأمر بصنعاء وأنهم قد اتخذوا الترتيـبات وأعدوا العدة للقيام بحركة تطيح بالإمام يحيى ونظام حكمه ما داموا قد صاغوا هذا الميثاق وأعلنوا عن البديل وعن قيام حكم الشورى." وقلت للخادم: "أنا خبير بالزبيري. سيعتبر كتمان هذا الأمر عن بقية الإخوان خيانة وطنية وجـريمة لا تغـتفر. إنـه طيـب القلب، مسرف في حسن الظن، سريع التصديق. وأنا أريد الإحتـياط والحذر من أن ينتشر هذا السر فتكون الطامة على الذين رشحوا للحكم وصاغوا الميثاق وسجلت أسماءهم فيه. لكن الخادم كان هو الآخر متزمتا يرى أن عـدم إحاطة الزبيري خيانة للأمـانة التي كلف بها، وصـمم على إطلاعه ، قلت لـه : "لا تسارع في ذلك". ولم تدر أية مناقشة في عدن لهذا الميثاق غير الاعتراف بعـدم الإنصـاف في توزيع المناصب بين الشافعية والزيدية. وقد قال لي الأستاذ الزبـيري: "ينبغي أن لا تأتي الإشارة إلى هذا منك. دعني أقوم بذلك". وفعلا بعث

برســالة يعلــن فيها معارضته لهذا التوزيع ويطلب الإنصاف. كانت النسبة ضئيلة جــدا، لأنها المرة الأولى التي يشترك فيها الشوافع في السلطة. كانت االسلطة كلها بــيد الزيدية والشــافعية عبارة عن رعية عليهم تسليم الضــرائب. فاستشعروا في صــنعاء أنهــم لو فاجاءوا الناس بهذه المساواة لانقلبت الأمور عليهم. لم يكن عدم المســاواة في التوزيع عن سوء نية. وقد طلبوا من صنعاء أن لا تطبع سوى عشر نسخ من هذا الميثاق. ولكن اتفقت آراؤنا على طبع ما يزيد على ثلاثة آلاف نسخة حتى يصبح العهد الجديد ملتزما بما أعلنه للناس. وبعد الطبع احتفظنا بالمطبوعات عــندنا إلــى موعدهــا، كما أرسلنا بعض النسخ إلى القاهرة لنشرها بعد أن تتحقق الإطاحــة بحكم الإمام يحيى. وفجأة سرت إشاعة موت الإمام يحيى. وانتشرت في الــيوم الــذي كان محددا للانقلاب. وتلقى الخادم غالب برقية نصها هكذا: "ارسلوا الأعطــال". فهــم من هذه الإشارة أن الانقلاب قام ونجح. واتصلت حكومة عدن تسأل بعد هذه الإشاعة وصدقها الجميع ما عدا شخص واحد رفض التصديق ونصح بالتريــث. ولكــن كان وحده والأغلبية تطــالب بإعلان نهاية عهد الإمــام يحيى وتوزيع الميثاق الوطني. إلا هذا الشخص، وهو أنا، الذي عارض معارضة شديدة. ولكــن الجــنون بلــغ القمة ولم يصغ أحد لصوتي. فانسحبت إلى منزلي وتركتهم يوزعــون الميــثاق ويصيغون البرقيات ويبعثونها لوكالات الأنباء والصحف. ولم يطلــع صــباح اليوم الثاني إلا وقد صدر تكذيب للإشاعة وثبت عدم صحتها. وقد نشــرت صحيفة الإخوان المسلمين في القاهرة الميثاق في صفحاتها الأولي وأسماء أعضــاء الحكومــة الجديدة، واسم الإمام الجديد. فبهت الذين في صنعاء من هول الصــدمة. وكان أول المسارعين إلى التكذيب السيد عبد الله الوزير. وأصبح مركز الأحــرار فــي عدن في خطر. أما الإخوان في القاهرة فقالوا إنها هزيمة الخمسين عامــا. ولزم المتحمسون للإشاعة ولنشر الميثاق منازلهم ولم يجرءوا على الظهور من شدة الخجل. أما الخادم غالب فغضب وأوسع شتما وسبا. قلت له:

يداك أوقدتا وفوك نفخ

إنــك لم تسمع ولم تع. وهونت عليه الأمر. وصغت باسمه برقية إلى الســيد عــبد الله الوزير وللإمام يحيى ولولي العهد، نصرف بها الخطر عمن في الداخل، ونلقب الأحرار بالسفهاء الحاقدين الذين يريدون توريط الإمام يحيى لإنزال العقوبة

بالأبـــرياء مـــن رجالـــه، وأن هـــؤلاء السفهاء الأوغاد عند ما أحسوا بعدم جدوى معارضـــتهم أرادوا أن يمارسوا أسلوب الدس وإضرام نار الفتنة بين جلالة الإمام والمخلصـــين من رجاله، وإثارة الشكوك والشبهات. ثم عدت في نفس الوقت أهون علـــى أولـــئك المتشردين وأزورهم في منازلهم وأعاتبهم عتابا جميلا من التسرع. ونشرنا مقالا في "صوت اليمن" تحت عنوان "أحلام الأمس حقائق الغد" مع استطراد ذكر مثل هذه الإشاعات في التاريخ .

س ــ مع من كانت أغلب الاتصالات الهامة في صنعاء قبل الانقلاب؟

ج ــ كـــان السيد أحمد المطاع همزة الوصل بيننا وبين الذين في صنعاء. كما أن الخادم غالب وهو المرتبط بالكثيرين من المسؤولين والتجار في صنعاء والحديدة وتعز كان محل ثقة الجميع، والمركز الرئيسي في الاتصالات الهامة.

س ــ كيف شكلت حكومة الوزير وما هي في تقديرك أسباب فشله العاجل؟

ج ــ اتفــق على تشكيل الحكومة في صنعاء، وروعيت رغبة عبد الله الوزير في اختيار أعضـــائها حتى يضمنوا انضمامه وقبوله لتحمل المســـؤولية. فلم يقتنع إلا بعـــد جهـــد جهيد وبعد محاولة شاقة عسيرة قام بها الفضيل الورتلاني، وضمن لـــه الســـلامة وتأييد العرب وسائر دول العـــالم.

أمـــا أسباب الفشل العاجل فترجع في نظري إلى انهيار أعصاب السيد عبد الله الوزير بعدما علم أن ولي العهد أحمد حيا يرزق. فقد كانت الخطة التي قبل الوزير على أساسها الانضمام للحركة أن ينتهي يحيى وولي العهـــد أحمد في آن واحـــد ، إذ أن ســـبب التعجيل بالقضاء على الإمام يحيى كان الخشية من أن تمتد به الحياة إلـــى أن يصـــبح ابنه أحمد سيد الموقف مسيطرا على جميع الأمور. غير أن هذه العجلة جاءت بالإمام أحمد وأعطته سلاحا قويا للقضاء على خصومه وجمع القبائل والتفافها حوله. وهكذا من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

قد كان ما كان مما لست أذكره   فالظلم شر ولا تسأل عن الخبر

international relations in this pivotal period at the end of colonialism.

In 1969 Nu'man donated to the Jafet Library (American University of Beirut) a collection of very important personal archives. At the same time, he also presented a lengthy oral testimony of the most salient episodes of his personal and political life, as part of the Oral History Project which the Center for Arab and Middle Eastern Studies of the American University of Beirut conducted during the 1960s and 1970s. We wish to extend our warmest thanks to Ali Zayd, an attentive historian of Yemen, for agreeing to review and to edit the transcription of this text which inaugurates a series of publications based on the valuable archives in the Jafet Library.

Needless to say, neither the Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) nor the Center for Arab and Middle Eastern Studies (CAMES) at the American University of Beirut bestow any scientific, much less political, endorsement of the testimony reported in this book. Moreover, these Centers by no means wish to insert themselves into the debate, in Yemen or elsewhere, to which this book will inevitably contribute. But the Centers are proud to contribute, if only modestly, to the enrichment of that debate.

PROFESSOR AHMED NU'MAN

Yemen is no exception to the rule that understanding a political system requires a sound appreciation of its history. The alignments and rivalries, sympathies and animosities, solidarities and confrontations of Yemeni politics since 1962 – including the reunification of 1990 and the civil war of 1994 – illuminate the fundamental constants of the political system that are registered in the history of the 20th century. The social basis of the political system, its strengths and weaknesses, and the changes required for its survival can truly be interpreted only in light of the cultural and political journeys of the personalities that form the human aspect of the political system.

Ahmad Nu'man is one of the intellectual and political actors with a major role in the history of modern Yemen. His first political act, for which history has chosen to call him 'the professor', was founding a school. This act was his way of asserting the importance of education to the revolutionary process and to national development. The intellectual modernization that helped to give rise to the republican regime in 1962 owed much to his efforts. But soon finding himself in disagreement with the revolutionaries of September 26, he chose the road of exile. Neither he nor his alter ego Mohamad Mahmûd Zubayrî, who died prematurely during the civil war, has yet found his true place as a major figure in the pantheon of the founders of modern Yemen.

The Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa hopes that the essential testimony of a activist of Yemen's modernization – presented as part of a program devoted to the «Fondements historiques des appartenances politiques dans le Yémen contemporain» – might find a place within the necessary debate currently taking place in Yemen and in the Arab world, and more generally around the world. Only this debate will in fact allow writing the modern history of the region and the history of

majeurs n'a à ce jour véritablement trouvé sa place dans le panthéon des fondateurs du Yémen moderne.

Dans le cadre d'un programme consacré aux « Fondements historiques des appartenances politiques dans le Yémen contemporain » le Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa a souhaité que le témoignage essentiel d'un militant de la modernisation du Yémen puisse jouer son rôle dans le nécessaire débat en cours, tant à l'échelle yéménite et arabe qu'à l'échelle universelle. Seul ce débat permettra en effet d'écrire l'histoire contemporaine de cette région du monde et, au-delà, celle des relations internationales à l'époque charnière de la fin du colonialisme. En 1969, en même temps qu'un important fonds d'archives personnelles, Nu'man a confié à la Jafet Library de l'Université américaine de Beyrouth, un long récit oral des épisodes les plus marquants de sa vie personnelle et politique. Ce témoignage a été recueilli dans le cadre du projet d'histoire orale lancé au cours des années soixante et soixante dix par le Center for Arab and Middle Eastern Studies de cette université. Nos remerciement chaleureux vont aujourd'hui à Ali Zaid, historien attentif du Yémen, qui a accepté de revoir et d'éditer la transcription de ce texte, dont la parution inaugure, nous l'espérons, une série d'autres publications issues de ces précieuses archives.

Est-il besoin de préciser que ni le Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) ni le Centre for Arab and Middle Eastern Studies (CAMES) de l'Université Américaine de Beyrouth, à qui ce document a été confié, n'accordent de caution scientifique et encore moins politique aux témoignages rapportés dans ce livre. Ils n'entendent pas non plus s'immiscer dans le débat qu'il contribuera, inévitablement, à nourrir, au Yémen ou ailleurs. Mais ils sont fiers de participer, ne fût-ce que modestement, à son enrichissement.

LE PROFESSEUR AHMED NU'MAN

François BURGAT, directeur du Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) et Nadia Maria El Cheikh, Director of the Center for Arab and Middle Eastern Studies (CAMES)
Sanaa-Beyrouth février 2003

Le Yémen ne fait pas exception à la règle qui veut que la connaissance d'un système politique ne puisse faire l'économie du détour historique. Les alliances et dissidences, les sympathies et les défiances, les solidarités ou les discordes qui éclairent les constantes de l'assise du régime depuis 1962, la réunification de 1990 et la guerre civile de 1994, sont toutes inscrites dans l'histoire du 20ème siècle. La base sociale du régime, sa force comme ses faiblesses, les transformations nécessaires à sa survie ne peuvent être véritablement décryptées qu'à la lumière des itinéraires culturels et politiques des individualités qui en constituent aujourd'hui le substrat humain.

Ahmed Nu'man est l'un des acteurs intellectuels et politiques qui ont joué dans l'histoire du Yémen moderne un rôle de tout premier plan. Le premier acte politique de celui dont l'histoire a choisi de se souvenir comme « le professeur » a été de fonder une école, affirmant ainsi l'importance de l'éducation dans le processus révolutionnaire et dans le développement. Le travail de modernisation intellectuelle qui a participé à la naissance du régime républicain en 1962 lui doit beaucoup.

Nu'man s'est très vite trouvé en désaccord avec les révolutionnaires du 26 septembre et a choisi l'exil. Son alter ego Mohamed Mahmûd Zubayrî ayant trouvé la mort prématurément au cours de la guerre civile, aucun de ces deux personnages

2